الإعلام والتراث

د. نعيم فيصل المصري



الإعلام والتراث



دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

*

009722340035

Mjundi46@gmail.com

www.for-alquds.org

*

(الإعلام والتراث)

(د. نعيم فيصل المصري)

*

الطبعة الأولى (2016).

*

الإعلام والتراث

د. نعيم فيصل المصري

الطبعة الأولى

2016 م – 1437 هـ

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {25/20} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {26/20} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {27/20} يَفْقَهُوا قَوْلِي {28/20})

صدق الله العظيم

سورة طه: آية (25 – 28)

إهــداء

إلى والدي رحمهم الـلـه واسكنهما فسيح جناته.....

وجزاهم عني خير الجزاء وجعلني إبناً باراً لهما

إلى زوجتي الحبيبة........

أم محمد زادها الـلـه تديناً وحلما

إلى نبض القلب..........

محمد حفظه الـلـه ورعاه

إلى زهرات الحياة ونورها الرقيقات الصغيرات.........

ليان و تالين وجودي و تيما

أطال الـلـه عمرهن وأنبتهن نباتاً حسنا

إلى أستاذتي الفاضلة أ.د منى الحديدي

إني مدين لك ما حييت....وأدعو الـلـه لك بدوام الصحة والعافية

جزاها الـلـه عني وعن كل ساع في طلب العلم خير الجزاء

إلى الشهداء والجرحى والمخلصين من ابناء الوطن الغالي فلسطين

الفهرس

الفصل الثالث

الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني في مواجهة ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحوه

الفصل الرابع

التراث الفلسطيني أهميته وأنواعه

الفصل الخامس

دور التليفزيون في الحفاظ على التراث

الفصل السادس

دراسات حول التراث والثقافة والإعلام

مقدمة

يعد الحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية من المهام والمسئولية الملقاة على مختلف الحكومات والمنظمات والهيئات الرسمية والأهلية والشعوب، لاسيما في عصر العولمة وما يحمله من سمات الانفتاح على العالم عبر السماوات المفتوحة والاتصال الفضائي من قنوات فضائية وشبكات المعلومات.

ويعتبر تراث أي مجتمع من أهم الخصائص والسمات الثقافية التي تميزه عن غيره من المجتمعات نظراً لما يعكسه تراث أي مجتمع من حضارة اكتسبها على مدى السنين وتعاقب الأجيال، كإنتاج ومحصلة للتطور التاريخي على كافة الأصعدة سياسياً واجتماعياً وثقافياً ومعنوياً ووطنياً.

وتحتاج الدول في ظل متغيرات العصر إلى جهود مضاعفة للحفاظ على تراثها وحمايته من الاندثار باستخدام كافة الوسائل، ونظراً لأهمية التراث في الحفاظ على تاريخ وجذور أي دولة ؛ فأنه يمثل العنصر الأساسي في تماسك وترابط أبناء الشعب الواحد بما يعكسه من ثقافة وعادات وتقاليد، وتحاول معظم الدول إظهار ما يشكله التراث من حضارة وتسعى باستمرار إلى التأكيد على جذوره والحفاظ عليه بما يضمن وجودها عبر مراحل التاريخ المختلفة بكافة الوسائل والأساليب المتاحة ومنها وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية التقليدية منها والحديثة.

وتمارس وسائل الإعلام المختلفة دوراً بارزاً في التمسك والحفاظ على التراث الشعبي من خلال ما تقدمه من معلومات وصور تدعم ثقافة الجمهور وتشكل الصور الذهنية لديه ليكتسب الهوية الخاصة بوطنه، ونظراً لما يتمتع به التليفزيون كوسيلة إعلامية يتسم بالذيوع والانتشار والقدرة على التأثير في مجال المعرفة والاتجاهات بشكل خاص وقد يمتد ذلك إلى التأثير في السلوك مستثمر في ذلك مفردات لغة الصورة والجمع بين عنصري الصورة المتحركة والصوت والألوان، ومخاطبة جميع الأعمار وازدادت أهميته في عصر الاتصال الثقافي بما يحقق توجهه إلى المستوى الداخلي والمستوى الخارجي.

ونظراً للتطور والتقدم التكنولوجي وما صاحب الألفية الثالثة من انتشار للقنوات الفضائية العربية بمختلف أنواعها وتخصصاتها والإنتاج الإعلامي الغزير الذي يتناول كافة مجالات وميادين الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والرياضية والدينية والترفيهية.... إلا أنها لا تزال بحاجة إلى إعادة النظر في مضمونها الثقافي والفكري وخاصة التراث الذي يشكل جذور وتاريخ الهوية العربية والإسلامية والذي يندثر ويتلاشى تدريجياً مع التقدم الهائل والإنتاج المتنوع الترفيهي المتدني من حيث المضمون لتشيكل الوعي المستنير والفكري السليم لدى الأجيال وتحمل الموروث الثقافي وتحافظ عليه وتتمسك به وتطوعه لخدمة القضايا العربية الهامة كالقضية الفلسطينية والعراقية وغيرها.

وتكمن أهمية الكتاب في كونه يتعرض لأحد أهم مكونات الهوية الثقافية العربية والإسلامية ألا وهو التراث الذي أهمل أو تناسى من قبل المؤسسات والجهات المختلفة سواء الحكومية أو الأهلية وانعكس ذلك على وسائل الإعلام التي تعرض التراث في المناسبات أو عند حشو بعض الفقرات ما بين البرامج والمواد الإعلامية رغم مدى أهمية التراث في الحفاظ على الهوية والقضايا المصيرية للأمة العربية والإسلامية.

ويتعرض الكتاب ضمن محتوياته للعديد من الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالهوية الثقافية والإعلام وعلاقتها بالتراث حيث يتناول الفصل الأول التعريف بالتراث لغةً واصطلاحاً وأهميته وعلاقته مع المفاهيم الأخرى ومنها التراث الشعبي والفلكلور و(النص والتاريخ) والأنثروبولوجيا – Anthropology والتعليم، بالإضافة إلى مناقشة موضوع الازدواج الثقافي والغزو الثقافي والاتصال الثقافي ونقدهما وكيفية انتقال الثقافة بالتعليم والإعلام والعلاقة بين الاتصال والإعلام والثقافة.

ويناقش الفصل الثاني الإعلام ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية ويتناول تكنولوجيا الاتصال والثقافة وآليات اختراق الهوية الثقافية العربية وعولمة الإعلام والحفاظ على الثقافات الوطنية والعربية ومكانتها، والمثقف العربي ودوره في المجال الإعلامي، ودور وسائل الإعلام في تزييف الحقائق وتزييف الوعي، وتأثير البث

التلفزيـوني المبـاشر في الهويـة الثقافيـة، وأهميـة وسـائل الإعـلام في الحفـاظ عـلى الـتراث، والتلفزيون وسيلة ثقافية، والبرامج الثقافية والتراثية ودورها في الحفاظ على الهوية الذاتية.

ويمثل الفصل الثالث إضافة كيفية وكمية لهذا الكتاب لتناوله الجهود المبذولة للحفاظ عـلى الـتراث الفلسـطيني في مواجهـة ممارسـات الاحـتلال الإسرائـيلي لمحـوه وتوضـيح دور المنظمات الدولية في الحفاظ على التراث كاليونيسكو والأليسكو والأيسيسكو واستعرض بعض المعارض المحلية والإقليمية والدولية التراثية، وأهم الفرق الفنية التراثيـة ودور المراكـز كمركـز عمارة التراث وأهمية الأرشـيف، كـما يتعـرض لـدور الاحـتلال الإسرائـيلي في محـاصرة لثقافـة العربية الفلسطينية والاختراق الثقافي الصهيوني، ثم مع وقفة فلسطينية جـادة للحفـاظ عـلى التراث، واستعرض نماذج من تدمير الاحتلال الإسرائيلي للتراث الفلسطيني.

والفصـل الرابـع يتنـاول الـتراث الفلسـطيني أهميتـه منـذ بدايـة الاهـتمام بـالتراث الفلسـطيني وأنواعـه ومجالاتـه كـالتراث الفكـري (العـادات والتقاليـد الاجتماعيـة، الألعـاب الشـعبية الفلسـطينية، الأدب الشـعبي، لمواسـم في الـتراث الشـعبي) والـتراث المـادي "لـتراث المعماري كالأماكن المقدسة، البيت الفلسطيني، الأدوات تراثيـة" ، الملابـس والتطريـز "الأزيـاء الشعبية "، المأكولات الشعبية، العلاج الشعبي) والتراث اللفظي (الأمثال الشـعبية، الحكايـات الشعبية) والتراث الفني (الأغاني الشعبية).

ويعتبر الفصل الخامس نوعي لتناوله دور التليفزيـون في الحفـاظ عـلى الـتراث" رؤيـة مسـتقبلية للتليفزيـون الفلسـطيني " يوضـح أهميـة الـتراث الفلسـطيني في خدمـة القضـية الفلسطينية وأهمية التليفزيون في الحفـاظ عـلى التراث،ومتطلبـات النهـوض بوسـائل الإعـلام للحفاظ على التراث، بالإضافة إلى وضع خطـة عمليـة لكيفيـة قيـام التليفزيـون الفلسـطيني) تصلح لأي قناة تليفزيونية(بالحفاظ على التراث، ويتناول نشأة التلفزيون الفلسطيني وتطوره، نتائج ومقترحات لإحدى الدراسات المعنية بالتراث.

ويستعرض الفصل السادس التراث العلمي للدراسات حول التراث والثقافة والإعلام وتم تقسيمها إلى ثلاثة محاور المحور الأول: دراسات تتعلق باهتمام التليفزيون بالثقافة والتراث المحور الثاني: دراسات حول التراث والهوية الثقافية في ظل العولمة المحور الثالث: دراسات تتعلق بالتراث المادي (المعماري والعمراني) والفني .كما تم إضافة لبعض الملاحق في نهاية الكتاب لتعزيز الفهم والتوضيح لنماذج من نصوص الأغاني الشعبية الفلسطينية وصور من التراث الفلسطيني.

وأخيراً هذا جهدي الذي حاولت فيه أن أضيف، وأكشف النقاب عن صفحة زاهية من صفحات التراث الفلسطيني فما كان من نقص وتقصير فلا يُعزى لأحد سواي وما كان من سداد ورشاد فمن اللـه ذو الكمال.

أسأل اللـه تعالى أن يكون هذا الكتاب لبنة جديدة في صرح الاهتمام الإعلامي للحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية العربية الإسلامية والذي لم ينل حظه من الاهتمام الأكاديمي في المدرسة الإعلامية العربية، ونتمنى أن نرى مزيداً من الإصدارات في هذا المجال.

والحمد لله رب العالمين

د. نعيم فيصل المصري

إبريل - 2015

الفصل الأول

التراث والمفاهيم الأخرى

الفصل الأول

التراث والمفاهيم الأخرى

تمهيـد

لا شك في أن الـتراث ومـا يشـكله مـن حفـاظ للهويـة الثقافيـة مـن أهميـة في تعزيـز وتماسك المجتمعات من حيث معتقداتها وقيمها ودينها وحضـارتها... التـي اكتسـبتها وكونتهـا على مدى الأجيال من المخاطر الخارجية و خاصة في الـعصر الحـديث الـذي زال فيـه جميـع العوائق والحواجز وأصبح رهينة للغزو الثقافي والفكري الغربي.

و يتميز التراث بكونه يتصل بكافة العلوم الاجتماعية والإنسانية وبعلاقته مع المفاهيم والمصطلحات والفنون والعلوم التي اكتسب منها الكثير وأفادها وأرفدها بالكثير أيضاً لدرجـة التداخل وصعوبة التفرقة في الفهم فيما بينها أحيانـا مـما يسـتوجب ضرورة التوضـيح وازالـه الغموض واللبس ووضع نقاط الفروق أمام الباحثين والدارسين في هذا المجال.

ونظـراً لأهميـة الـتراث وتداخلـه مـع الكثـير مـن العلـوم سـعت العديـد مـن الـدول والمنظمات العربية والأجنبية وكذلك الأفراد من باحثين ومتخصصين لتوضـيح المفهـوم بوضـع تعريفات تحدد فيه المعنى والمفهوم وما يحتويه ويضمه من مكونات وأنواع وفقاً للجهة التي وضعته ورؤيتها سواء الشاملة التي تشمل كافة مناحي الحيـاة الحضـارية والماديـة والفكريـة واللفظية والفنية أو المحدودة التي تتمثل في التراث المادي فقط.

ونستطيع القول بأن الـتراث يشـمل كافـة أوجـه النشـاط والإبـداع والابتكـار الإنسـاني المادي والفكري واللفظي والفني ولا يزال حاضراً وموثقاً سواء في الطبيعة والواقـع أو يتداولـه ويتعامل معـه أفـراد المجتمـع ويشـكل الحضـارة التـي اكتسـبها مـن الحيـاة ولا زال يمارسـها ويحتفظ بها.

تعريف التراث : Heritage

التراث لغة: ما يخلفه الرجل لورثته، وأصله وِرْثُ أو وِراثُ، فأبدلت الواو تـاءً، فـالتراث والإرثُ والوِرثُ مترادفة، والـتراث في معـاجم اللغـة العربيـة، هـو" مـا ورثنـاه عـن الأجـداد " وأصلها من ورث ويقول ابن منظور في لسان العرب " ورثه ماله ومجده "[1]، وقـد ورد كلمـة (التراث) في القرءان الكريم مرةً واحدة بمعني الميراث في الآية الكريمة: (وَتـأْكُلُونَ الـتُّرَاثَ أَكْـلاً لما) والمعنى: تأكلون الميراث أكلاً شديداً لا تسألون مِنْ حلال هو أم من حرام[2].

اصطلاحاً: تشمل ما تركه الأوائـل مـن مؤلفـات لغويـة أو نحويـة تعـرف بـالتراث اللغوي وما خلفوه من أنماط مما كانوا يلبسون، وما كـانوا يسـتعملون مـن أواني وأدوات هو ما يمكن أن يسمى بالتراث الحضاري[3]، ويشير مفهوم التراث إلى كل ما هـو متـوارث من الماضي، أي مجموعة الأفكار والمعتقدات والرموز والصور والفنـون والعنـاصر الماديـة التي يرثها مجتمع من المجتمعات من الماضي أو تبقى على درجة من الثبات وتنتقل مـن جيل إلى جيل[4]، وعرفـه الميثـاق الـدولي للسـياحة الثقافيـة (المكسـيك 1999) عـلى أنـه مفهوم عام عريض يتضمن البيئة الطبيعية والثقافيـة فهـو يشـتمل عـلى تنسـيق الأرض، الأماكن التاريخية، المواقع والبيئات المبنيـة بالإضـافة إلى التنـوع البيولـوجي والممارسـات

(1) ابن منظور. لسان العرب. مادة "ورث".

(2) سورة الفجر. آية 19[تفسير الطبري 183/30].

(3) مصطفى مبارك. دليل الباحث القطري لجمع الفلكلور. ط1(الدوحة: وزارة الإعلام، 1985) ص26.

(4) " التراث والثقافة الشعبية والتغير الاجتماعـي: مقترحـات ومحـاولات بحثيـة ".تـأليف: مجموعـة مـن أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية. تحرير: محمد الجوهري وحسن حنفي. في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب الثالـث. ط1(جامعـة القـاهرة: كليـة الآداب - مركـز البحـوث والدراسـات الاجتماعيـة، 2002) ص49.

الثقافية السابقة والمستمرة والخبرات المعرفية والحياتية، فالتراث يسجل ويعبر عن العمليات الممتدة عبر الزمن والتطورات التاريخية التي تشكل جوهر الهوية الأصلية المحلية والقومية والإقليمية المتنوعة بحيث تمثل مكوناً متداخلاً مع الحياة الحديثة [1]، ونطلق لفظ التراث بالمعنى الواسع على نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الإنساني من علم وفكر وأدب وفن ومأثورات شعبية وآثار ومعمار، وتراث فلكلوري واجتماعي واقتصادي [2]، ويعرف التراث بأنه مجموعة السلوكيات التي يمارسها مجموعة من الناس في منطقة ما في زمن ما، شاملا بذلك أصول العادات والتقاليد والأغاني والملبس والمسكن وطريقة ممارسة الحياة في الزواج والزراعة والبيع والشراء [3].

أهمية التراث

التراث هو الهوية الثقافية للأمة، والتي من دونها تضمحل وتتفكك داخلياً، وقد تندمج ثقافياً في أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية، وبالنسبة للمسلمين فإنهم يتعرضون لهذا التفكك ويندفعون بقوة مطردة نحو التيارات العالمية المتباينة، ويمكن أن نتلمس أسباب ذلك أو بعضه في طبيعة التراث من ناحية، وفي طريقة الإفادة منه ثانياً، وفي القيم العامة التي تحكم إلى حد ما ولو على صعيد القيادات الفكرية عملية التفاعل معه ثالثاً [4].

فالتراث في ضوء مفهوم الأصالة إذن، يمثل الدرع الواقي للكيان الثقافي، وحمايته من أخطار الغزو الفكري، ولا سيما أن المفهوم العلمي للأصالة والمعاصرة، لا يعني

---

(1) International cultural Tourism charter, from the Introduction , mexico. 1999.p4

(2) محمد أحمد. دراسات في التراث العربي. ط1 (القاهرة: الأنجلو المصرية، 1979) ص5.

(3) خالد جمعة. الأغاني الشعبية الفلسطينية في قطاع غزة. ط1(غزة: الهيئة العامة للاستعلامات، 2001) ص3.

(4) أكرم العمري.التراث والمعاصرة.في: مجلة شهرية إسلامية – سلسلة فصلية. ط1 (قطر: دار الكتب القطرية، 1985) ص35.

"العزلة" عن الثقافات العالمية وإنما يقتضي دعم القدرة الانتقائية لدى المثقفين بالبرامج الثقافية في التليفزيون بصفة خاصة، وهي القدرة التي تتيح له التعبير بمختلف الأفكار والأساليب الحضارية الوافدة والتي يزيد من انتشارها التقدم في وسائل البث الفضائي والمباشر [1].

ومن الجلي الذي لا يقبل الجدل أو المراء أن الأمم كلها: المتقدم فيها، والذي يسعى إلى التقدم يهتم بما خلف آباؤه وأجداده من تراث، ويرى في هذا التراث الزاد الذي يمده بأسباب النمو، لأن هذا التراث يتضمن تجارب الشعوب الناجحة، فيأخذ الخلف بما كان سببا في نجاح السلف، كما يتضمن التجارب التي لم يكتب لها النجاح فيحاول الخلف البحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك، ونحن نرى شعوب الأرض قاطبة تهتم بهذا التراث، فتحيي ما مات منه وتسجل ما تخشى عليه من الضياع، حتى يظل تاريخها حياً، ويكون هذا التاريخ سندها الذي ترتكز عليه في شق طريقها إلى المستقبل الأفضل[2].

إن قضية التراث تطرح نفسها، وتؤكد أهميتها على الصعيد القومي كعنصر أساسي يؤكد أصالة الأمة العربية وصمودها أمام التحديات المصيرية التي تواجهها ومن الضروري أن نعتني بالتراث بروح المسئولية القومية، ومن خلال فكر الأمة العربية وتاريخها ومستقبلها وأن نسقط الدعوات المغرضة التي تدعى وجود تناقض بين الأصالة وأحياء التراث وبين المعاصرة والتقدم الحضاري فتراث الأمة هو سيرتها، والقوة الدافعة لبقاء المستقبل على ضوء التوازن المتفاعل بين الأصالة والمعاصرة، ولا أجد انفصاما بين ماض الأمة وحاضرها المشحون بما يحمل من ميراث الماضي الذي تكمن في أعماقه جذور ذاتنا [3].

---

(1) سهير جاد. البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون (القاهرة: دار الفجر، 1997) ص240.

(2) الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام. ط1 (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2005) ص557.

(3) محمد أحمد. مرجع سابق. ص7-8.

وتمتلك الأمة العربية تراثاً كبيراً يمثل حلقة ضخمة من حلقات تطور الإنسانية واطراد النشاط الفكري العالمي ويقدر عدد المخطوطات العربية الموجودة في العالم بنحو مليوني مخطوط على أقل تقدير، ويتعجب الطالع على الكتب التي عنيت بحصر التراث، وذكر أسماء المخطوطات من تلك الأعداد الهائلة التي نصت عليها، والتي ليس لها نظير في أية حضارة من حضارات العالم، فقد حصرت تلك المصادر مئات الألوف من الكتب التي تطلق عليها اسم التراث العربي، ومما يدل على كثرة المخطوطات التي خلفها لنا الأجداد أننا حين نطالع كتب تراجم العلماء منهم نجدها تذكر الكتب التي ألفوها والتي تعد بالعشرات أو المئات للعالم الواحد ولكننا حينما نبحث عن الموجود منها لا نجد إلا واحد أو أثنين، وقد لا نجد شيئاً[1].

ومن هنا يتحتم على الجميع أن ينظم نشاطاً إلى حركة إنعاش التراث إنعاشاً فعالاً لا يقف عند حد جعله متحفاً مسجلاً على ورق معروضاً على جدران، وخصوصاً دور وموقع وسائل الإعلام الشريفة والمربين في جميع المراحل والمواقع لأن عليهم دوراً تاريخياً يقومون به بالإضافة إلى الدور الذي مارسوه لغاية الآن، كما أن الأكفاء من أبناء وبنات أمتنا مطالبون بأن يجعلوا هذه الحركة، حركة الكشف عن التراث وإنعاشه إلى المبادرة والاستمرار في تطوير تراثنا من حيث القصص الشعبي والشعر أو الزجل والأغنية الشعبية والمعتقدات الشائعة والأساطير والخرافات لأن كل هذا يعكس وجوداً كان، ولكن هذا الوجود يأبى إلا أن ينتفض ليعود متجدداً متكاملاً منطلقاً نحو مستقبل يجسد فيه ذاته مؤكداً لحقيقة بسيطة ألا وهي أنه لم يذب وأنه سيعود ليبرز ساطعاً أصيلاً [2].

ومما يؤسف له أن هذا التراث الكثير تفرق في جميع أنحاء العالم نتيجة لكثير من العوامل التاريخية والاقتصادية والسياسية والفكرية التي مر بها الوطن العربي وما تعرضت له الأمة العربية من هجمات استعمارية من الخارج، ومحن فكرية وثقافية في

---

(1) محمد أحمد. المرجع سابق. ص15.

(2) سامي مرعي. الأرض والإنسان والجهر: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا (بيروت: الجليل للتجليد، 1993)ص12.

الـداخل، فقـد كـان للبعثـات التبشـيرية والتجاريـة والسـياح والرحالـة الأجانـب والغـزاة المستعمرين الأثر الكبير في جمع ما تضـمه بلادنـا مـن نفـائس المخطوطـات التـي نفتقـر إلى وجودها في مكتباتنا، ومما ساعد على تفرق المخطوطـات وتوزعهـا في كثـير مـن بلـدان العـالم اتساع رقعة الثقافة الإسلامية إبان عصور ازدهار الحضارة العربيـة الإسـلامية بحيـث شـملت جميع بقاع الوطن العربي والأقطار الإسلامية على ترامي المسافات وتباعدها (1).

إنه مما يـدعو إلى الحـزن والأسى أن كتابنـا الـذين ظهـروا في عصر النهضـة الحديثـة لم يجدوا زاداً ثقافياً بعد أن غطى التراب كتب التراث غير ما قدمه لهـم الغـرب، فهـم تقاعسـوا عن الكشف عن التراث واستمروا يعتقدون في قوة الثقافة الغربيـة، حتـى فاجـأهم الغـربيين نفسهم وأبان المؤرخون الذين اهتموا بدراسة الحضارات عظمة الإنجازات التي تحققت إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المفكرون الغـربيين هـم أيضـاً الـذين قالوا بأن الأمة التي لا ماضي لها لا حاضر ولا مستقبل لهـا، وبـذلك لفتـوا انتبـاه مفكرينـا إلى أهمية إحياء التراث (2).

وإننا لم نجد المعاصر طابعنا بعد، ذلك لأنه ليس إلا نتاجاً لـما نفعلـه نحـن في وجودنـا الإنساني وعلى هذا فيجب البحث عن أصـالتنا الراهنـة في الافتقـار إلى شروط تولـدها، أي في العناصر المجتمعة، في العلاقات الفعالة بـين الإنسـان والـزمن والمـادة، وأن الافتقـار إلى هـذه العلاقة هو الذي يفقد أعمالنا وسلوكنا ورؤانا أصالتها، وليس تباطؤ نشر وإحياء التراث وليس ضعف حركة الترجمة والنقل عن الغرب، وهذا يمكن أن يـفسر لنـا لـماذا مـازال الفـن العـربي بعيداً (3).

وربما حان الوقت للتفكير في إيجـاد علاقـات مبـاشرة وغـير مبـاشرة بـين أكـبر قضـيتين تشـغلان المحافـل العلميـة في الوقـت الـراهن ألا وهـما قضـيتا التنميـة المسـتقلة والـتراث،

(1) محمد أحمد. مرجع سابق. ص15-16.

(2) عبد الحكيم بدران. الإعلام والتوعية العلمية (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997) ص189.

(3) محمد الأسعد. الفن التشكيلي الفلسطيني (اللاذقية: دار الحوار للنشر، 2000) ص14.

فأصبح التراث يمثل مخرجاً ومرتكزاً لتنطلق منه عملية التنمية لعلها تجد الأرضية الخصبة لبناء مشروعاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية [1].

وفي الأمثال الشعبية:" من كان وريثك لا تحاسبه "، ومن أمثلة الموروثات الشعبية تعليم المرأة ابنتها الخياطة والتطريز والغزل والنسيج والعجن والطهي، وتدريب الرجل لابنه على عادات الفروسية والكرم واستقبال الضيوف وعمل القهوة لهم، ومجالسة الرجال والوجهاء ومعرفة أمور القضاء العشائري والقوانين والأعراف القبلية، وكذلك معرفة الفلاحة وزراعة الأرض وتربية المواشي من أجل العيش والرزق، ومن هنا نرى أهمية التراث في نقل كل ما هو جميل من العادات والقيم والأخلاق الحميدة من جيل إلى جيل، والحفاظ على التراث هو حفاظ على القومية، والهوية الوطنية واللغة من التلف والضياع [2].

في هذا التراث من القيم والمبادئ ما يجعل هذه الأمة تفخر بأنها قدمت للفكر الإنساني في مسيرة تطوره ما تقدم به خطوات في سلم الرقي، وهي تلك الفترة التي استظلت فيها مصر بالإسلام، لقد خلفت هذه الفترة تراثاً حضارياً قلما تتمتع أمة من أمم الأرض بمثله، يتمثل ذلك في إبداعها الأدبي والفني والثقافي، ففي تراثنا الأدبي نجد كماً هائلاً من الشعراء والأدباء عبروا عن تجارب الإنسان في عصورهم، وصوروا لنا هذا الإنسان في قوته وضعفه، في صراعه مع الحياة وفي صراع الحياة معه [3].

ومفهوم الأصالة يتضمن ويستغرق مفهوم المعاصرة، ولا يقف نقيضاً له، وذلك لأن الاستنتاج المنطقي أن ما ندعوه " معاصراً " أي غريباً لا يعدو كونه تفرد المجتمعات الغربية وطوابعها الخاصة التي وسمت بها أعمالها الفنية والأدبية والثقافية عموماً، ولم

---

(1) موزة غباشي. دراسات في التراث الشعبي لمجتمع الإمارات. ط1 (الإمارات: دار القراءة للجميع، 1994) ص7.

(2) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(3)الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. مرجع سابق. ص559.

تخرج هذه الطوابع عن حدود مجال مكاني وزماني محدد بمشكلات الحضارة الغربية وحلولها [1].

ومن المؤكد أن التراث، لا يمكن أن يكون كله خيراً، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الأشياء ونحن نرى بعض الأمور التي يتضمنها التراث قد جاوزها الزمن، ولم تعد صالحة لعصرنا ولهذا يصبح التمسك بها نوعاً من التعصب الأعمى الذي يكون ضرره أكثر من نفعه، إنه يصيب الأمة بالجمود، والجمود يؤدي إلى التخلف، ونتيجة ذلك كله الفناء، لكن من المهم أن نفهم أن تجارب السابقين ليست كلها صالحة، ولو كان الأمر كذلك لما وجدنا تمسك شعوب أخرى بمثل هذه التجارب وتطويرها والإفادة منها.

وإن الشعوب تشعر الآن بأهمية الاحتفاظ بالتراث الوطني، هذا ما عملت به من زمن قديم الأمم الغربية بشان مظاهر حياتها الشعبية، وما شرع فيه أخيراً بعض الأمم الشرقية كاليابان وتركيا فهي تجمع في متاحف أنتوجرافية وأنتولوجية طائفة من الثياب والحلي والمصوغ والشارات والأوسمة والأشياء التي يستعملها الشعب في قضاء مطالبة وتحتفظ بمجموعات من الأقراص التي سجلت عليها الأغاني العامية [2].

التراث الشعبي

ظهر في ثقافتنا المعاصرة مصطلح " التراث الشعبي " كمصطلح يدل على مواد التعبير المتوارثة الحية والمعاشة، بل أصطلح أيضاً على استخدام " التراث الشعبي الحي " كتأكيد لهذه الحيوية باعتبار أن عناصر من هذا التراث تضرب في عمر الزمان إلى أكثر من ألفي عام أو تمتد أصولها الحضارية إلى ما هو أبعد من ذلك، عموماً يعتمد المصطلح في العالم العربي على قاعدة من العموميات[3] ويشير مفهوم التراث الشعبي بصفة عامة إلى عناصر

(1) محمد الأسعد. مرجع سابق. ص14.

(2) محمد جمعة. حاجة الشعوب إلى جمع مأثوراتها الشعبية. مراجعة: رابح جمعة (القاهرة: عالم الكتب، 1999) ص40.

(3) مصطفى مبارك. مرجع سابق.ص46.

الثقافة الشعبية التي تتناقل من جيل لآخر[1] عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل مجتمع معين، أو جماعة اجتماعية محددة، ويستخدم التراث الشعبي مرادفا لمعنى الثقافة اليومية التقليدية أو الثقافة الشعبية [2] التي تنتقل اجتماعيا [3].

ويقصد بالموروث الشعبي العربي الحصيلة الشعبية المتبقية من الممارسات الشعبية لأبناء المنطقة كلها عبر التاريخ يتناقل شفاهاً وعبر قنوات متعددة وغير مرئية ولا مرصودة في المراحل الأولى للثقافة الشعبية المتوارثة [4].

ويشكل التراث الشعبي بجوانبه المتعددة المرجعية الأكثر دقة وصدقاً في رسم صورة حية ونابضة ومتحركة للمجتمع الذي أبدع هذا التراث وتعايش معه عبر مئات السنين [5].

ومفهوم التراث الذي يردده شعب بأسره منذ فترة زمنية طويلة استطاع أن ينسجها ويسجلها عبر صراعه وتجاربه مع وسطه البيئي، وهناك حتمية العناصر الجغرافية مع نسيج التراث الشعبي بجميع مجالاته، ولا نغالي في ذلك لو تذكرنا أن التراث معناه وقوامه "القديم" أو "الزمن الأول" إذا جاز التعبير أي ما نسجه الإنسان من إبداعات ثقافية مادية

---

(1) أيكة هو لتكرانس. قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور. ترجمة:محمد الجوهري. حسن الشامي، ط1 (القاهرة: دار المعارف، 1972)ص88.

(2) شارلوت سيمور سميث. موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998) ص343.

(3) محمد الجوهري. علم الفلوكلور. ج1، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية ط3، (القاهرة: دار المعارف، 1978) ص53.

(4) فاروق خورشيد. الموروث الشعبي (القاهرة: دار الشروق، 1992) ص24.

(5) التراث الشعبي. في: مجلة التراث والمجتمع. ع 31 (البيرة - فلسطين: مركز التراث الشعبي الفلسطيني،نيسان 1998) ص89.

ومعنوية كرد فعل لظروف البيئة الجغرافية المحيطة به منذ بداية النشأة الأولى التي لم يكن له فيها قدرة على الفكاك من واقع البيئة الجغرافية[1].

والتراث الثقافي الشعبي ظاهرة اجتماعية قادرة على تقديم تجارب وخبرات الأجيال السابقة في تعاملها مع مواقف الحياة اليومية كما كان قادر على تحريك جميع أفعالنا الحاضرة وتزويدنا بالحلول الجاهزة لمواجهة ما يمكن أن يعترينا من مشكلات أو أزمات [2].

وإن كلمة " تراث " في الآداب الأوروبية تعني عناصر الثقافة التي تناقل من جيل إلى أخر وفكرة انتقال شيء ما عبر الزمن هي المضمون الأصلي للمصطلح، ولكنه يتفرع من ثلاثة اتجاهات ويمكن تفسير مصطلح تراث إلى (تراث شفاهي - تراث شعبي - كرواية شعبية) وهذا يعني أن مصطلح تراث يتحدد في ضوء السياق الذي يستخدم فيه، وهذا يعني بالضرورة أن الاستخدام العلمي لمصطلح تراث في الثقافة الإقليمية الأوروبية لا يجب أن ينطبق على العالم العربي. فلكل ثقافة تاريخها المميز ومراحل تطورها، وفنونها وآدابها التي تختلف من بلد إلى آخر [3].

والتراث الشعبي فيه مقاصد في جمعه بحفظ الهوية الوطنية الفلسطينية لأن التراث الشعبي هو أصدق ما يقال لأنه يخرج عفوياً ولا يعرف صاحبه وأصدق من الشعر وأصدق من الكتابة لأنه يخرج عفو الخاطر والناس العاديين أثناء الأعراس، وأثناء الاحتفالات والأعياد مثلاً بعض العادات والتقاليد هذه تحدث عفوياً ولا يعرف قائلها لذلك لا تنسب لفلان ولفلان، ولذلك هي صادقة دائماً تعبر عن روح الشعب، تعبر عن شخصيته عبر التاريخ، والتراث الشعبي يجب الاهتمام به أكثر بكثير مما نحن عليه، لأن هذا التراث هو جزء من الشخصية الوطنية ومعبر عن شخصيتنا لذلك يحاول الصهاينة

---

(1) سليم المبيض. الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1986) ص4.

(2) محمد إبراهيم. الثقافة الشعبية: الثبات والتغيير (الإسكندرية: دار المعرفة، 2009) ص69.

(3) مصطفى مبارك. مرجع سابق، ص27-28.

سرقت هذا التراث بأي شكل من الأشكال حتى يمحو هوية الشعب الفلسطيني من الوجود فلذلك يجب الاهتمام به اهتماماً كبيراً [1].

فالتراث تلاحم عضوي وفكري بين عراقة الماضي وأمجاده بثقافة الحاضر ليخلق هذا التفاعل بينهما قوة دافقة وطاقة دافعة نحو المستقبل في اتجاه صحيح وزاهر، وهذا الإدراك بالوعي التراثي السليم من أبنائه في المقام الأول يحمينا ضد الاغتراب وتشويه الاستشراف وضد الانخداع بلمعان " الفكر الحديث " دون هضمه وغربلته [2].

التراث والفلكلور

وتنتسب أغلبية المراجع العلمية الفولكلورية إلى العلامة الإنجليزي (ومليـاك جـون تومز) الذي يرجع الفضل إليه في صياغته، وتحديد ماهيته، ويتألف مصطلح فولكلور من مقطعين بمعنى الناس أو الشعب وهي من الكلمة الإنجليزية القديمة وبمعنى معرفة أو حكمة، أي أن المعنى الحرفي للكلمة يعني " حكمة الشعب " [3].

والفولكلورFolklore مصطلح غربي يعني التراث الشعبي، وكل ما ينـدرج تحت باب التراث من الفنون الشعبية المختلفة، والكلمة مكونة من شقين Folk وتعني قوم أو شعب وLore تعني التراث والمعتقدات التقليدية، وبمجملها تعني التراث الشعبي، ولا ننصح باستعمال مثل هذه الكلمات لأن في لغتنا العربية المرنة، ما يسدّ مكانها ويعبر بشكل أفضل مما تعبر هي بعبارات بسيطة لا نجد صعوبة في فهمها وتبيان معناها [4].

---

(1) http://www.irib.ir/worldservice/ArabicRADIO/pages/culture/Leghaat/Legha06.htm

(2) سليم المبيض. الحصيدة في التراث الشعبي الفلسطيني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990) ص7.

(3) مصطفى مبارك. مرجع سابق. ص35.

(4) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

والفولكلور مجموعة من المعارف والخبرات والفنون عبر الإنسان بواسطتها عن أحاسيسه ورغباته وتجربته، وجعلها هدياً له في تنظيم أموره الحياتية والاجتماعية ويحافظ المجتمع على نقلها من جيل إلى الجيل الذي يليه [1].

والفولكلور في العالم كله وعند كل شعب من الشعوب على حدة هو وجودها الثقافي التلقائي الموروث، إذ هو حصيلة نشاطها العملي والفكري القائم على استغلال ظروف البيئة والمناخ والمتأثر مع البيئة والمناخ بعوامل النحت الاجتماعي والتغير السياسي والنمو الاقتصادي معاً.

وعكس الفولكلور المادي من متبقيات المصنوعات البدائية الأولى، من أدوات الحياة والصيد والزراعة جهد الإنسان البدائي الخارق في تطويع الوجود المادي حوله لإرادته وجهده البناء في استغلال كل موجودات الطبيعة للإبقاء على حياته، وحياة الجماعة التي ينتمي إليها كما سجل صراعه الدرامي في الانتقال من مرحلة تكثيف جهوده للنفع وحده، إلى تطوير هذه الجهود لتعكس حسه الجمالي الذي أنعكس على أدواته الحياتية النفعية فجملها وزينها، منمياً قدراته الأخرى المكنونة فيه، من خيال وعاطفة، وشوق إلى الجمال، فاتسمت مصنوعات هذه المرحلة وأدواتها بأنها جمعت بين النفع والجمال [2].

ويبدو أن الطابع الشفهي للفولكلور، هو المحك الهام لتميزه " وهذه الميزة لا يلفت لها مؤيدو التراث " لكن كل ظاهرة فولكلورية إذا ما تجسدت في صورة مادية، غدت في الواقع من ظواهر الفن الشعبي والأقنعة، والعمارة، وجميع الأشكال التشكيلية التي تنتمي بصفة عامة إلى الثقافة المادية تدخل في إطار فئة قريبة من الفولكلور، وهذه النقطة غاية في الأهمية، وهي تعني بوضوح أن الفولكلور يمكن أن نجده في الثقافة المادية والروحية معاً.

---

(1) نبيل علقم. الفولكلور (رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، 1976) ص14.

(2) فاروق خورشيد. أدب السيرة الشعبية.ط1 (القاهرة: المصرية العالمية، 2002) ص34.

إن التراث والفولكلور يتفقان في أنهما ينحدران من الماضي السحيق، ولكن الفولكلور لازال يتطور، أو يعيش في المجتمع ويتفاعل معه، وهو ملتصق بالثقافة الشعبية التي تنتقل من جيل إلى آخر شفاهة، كما أن الفولكلور يمتاز بفنيته [1].

وهو يشبه العلوم التاريخية والاجتماعية في كونها تسعى جميعاً إلى جمع الحقائق أولاً ثم تفسيرها بالاعتماد على نظرية معينه قد تتعدل أثناء البحث على ضوء حقائق جديدة، ولقد وصفه " ألكسندر كراب " بأنه علم، لأنه يحاول أن يصل إلى أغراضه، لا عن طريق التأملات والاستنتاجات المبنية على أفكار مجردة يسلم بها سلفاً، بل باستخدام طرائق القياس التي تحكم التحليل الأخير لسائر الأبحاث العلمية الطبيعية أو التاريخية [2].

ونرى الكثرة من المتخصصين في الفولكلور اليوم وأن كل عصر يترك أثره في المادة الفولكلورية، وأن الفولكلور يتعدل ويتغير بعضه في كل عصر وبهذا يمكن القول أن المادة الفولكلورية، مادة متطورة غير جامدة، فيها جزئيات تعود إلى عشرات السنين، والجزئيات المختلفة في الفولكلور تتعايش معاً بانسجام، إذ تموت تلك التي تفقد القدرة على البقاء وتظهر جزئيات أخرى جديدة حسب الظروف الحضارية في كل عصر من العصور، فالعناصر الثقافية تتسم بالمرونة، إذ أنها ليست موروثات جامدة [3].

والفولكلور كما يقول الأستاذ أحمد رشدي صالح: إبداع شعبي يجمع بين القديم والجديد وكل ما ينبض على خاطر المجتمع الحديث هو جزء من الفولكلور [4].

وفي ذلك يقول أحد العلماء الألمان: أن دراسة التراث يجب أن تكون المنطلق لدراسة الفولكلور فليس المهم هو التراث الشعبي، وإنما الناس الكامنون وراء هذا التراث[5].

---

(1) مصطفى مبارك. مرجع سابق. ص45.

(2) الكسندر هجرتي كراب. علم الفلكلور. ترجمة: أحمد صالح (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968) ص18.

(3) عبد الحميد يونس. دفاع عن الفولكلور (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973) ص13.

(4) أحمد صالح. المأثورات الشعبية والعالم المعاصر. في: مجلة عالم الفكر القاهرة: ع1.1980، ص65.

(5) قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور. ص95.

وتكاد الوظائف المتعددة التي تؤديها المواد الفولكلورية المختلفة أن تكون متشابهة إلى حد كبير على الرغم من اختلاف الشكل والظروف التي تستخدم فيها هذه المواد [1].

وإن دراسة الفولكلور أو المأثورات الشعبية تعتمد في مضمونها العام دراسة أسلوب التعبير الفني وأنماط السلوك الجمعية لشعب من الشعوب أو لجماعة من الجماعات [2].

وهكذا باتت دراسة الفولكلور تنطوي على أهمية متعددة الجوانب، فعلم الفولكلور يسعى مع غيره من العلوم الاجتماعية إلى جعل حياة الإنسان أكثر استمراراً، وخاصة وأن إنسان هذا العصر يعيش أزمة حضارية، ناجمة عن فقدان التوازن، بين سرعة التقدم التقني وبين التقدم البطيء في العلوم الإنسانية، وتتمثل هذا الأزمة الحضارية في شتى الآثار الناجمة عن مختلف أشكال الصراعات التي تطبع العصر بطابعها العميق، وبشكل لم يكن له مثيل فيما مضى فإنسان هذا العصر أحوج ما يكون إلى إعادة ثقته بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التي تشكل جانباً أساسياً من الفولكلور [3].

التراث و(النص والتاريخ)

في الحديث عن التراث الماهية والمفهوم، ينبغي أن نميز بين ثلاثة مفاهيم تتشابك فيما بينها ويختلط فيها الحديث بطريقة ملتبسة، تؤدي إلى حالة من سوء الفهم، وإلى تفسيرات خاطئة هذه المفاهيم هي: التراث، النص، التاريخ ولعل منشأ الالتباس وسوء الفهم في النظر إلى هذه المفاهيم، هي أنها تنتمي من حيث المصدر إلى الزمن الماضي.

---

(1) أحمد مرسي. الأغنية الشعبية: مدخل إلى دراستها (القاهرة: دار المعارف، 1983) ص183.

(2) أحمد مرسي. كل يبكي على حاله: دراسة للعُديد. ط1 (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1999) ص7.

(3) لويس عوض. ثقافتنا في مفترق الطرق (بيروت: دار الآداب، 1974) ص40.

والتراث له صفة المنجز الفكري الإنساني، وهو من حيث الطبيعة له خاصية النسبي المتغير الذي يقبل الصواب والخطأ على مستوى النظر، وموافقة الحق والواقع أو مخالفتهما على مستوى العمل ومصدره الإنسان، ومجاله الفكر.

أما النص فهو ما كان مصدره الوحي كتاباً وسنة، وصفته التنزيل الإلهي، ومن حيث الطبيعة له خاصية المطلق والثابت، الذي لا يقبل إلا الصواب، وموافقة الحق والواقع.

وأما التاريخ فإن مصدره ومجاله هي الوقائع والحوادث والحوليات التي تؤرخ للأشخاص والأحداث والقضايا في كافة مجالاتها وأبعادها، ومن هذه الجهة يكون التاريخ أوسع وأشمل من التراث الذي يتقيد ويتحدد بالمجال الذي يتصل بالفكر والمعرفة والعلوم، في حين أن التاريخ يتصل بكل الحوادث والوقائع التي حصلت في الماضي على اختلاف مجالاتها وموضوعاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية وغيرها.

وحسب تلك الحدود المعرفية فإن التراث يقبل الزيادة والإضافة، ويقبل أيضاً النقد والنقض وحتى الطرح والإسقاط، فلا نقبله بكليته وعموميته، وبدون فحص ونقاش، ولا نرفضه بكليته وعموميته أيضاً بدون فحص ونقاش، والحاجة إلى الفحص والنقاش لكي لا يكون الأخذ والرفض محكوماً بمعايير الرغبات والعواطف، أو باقي المؤثرات والضغوطات الأخرى، وإنما ليكون الفحص والنقاش مستنداً على أسس علمية ومنهجية تنظم العلاقة مع التراث، وهذا يعني أن التراث ليست له قداسة النص، هذه هي الإشكالية الملتبسة التي أعاقت طرائق التعامل مع التراث، وجعلت من التراث يتحول إلى سلطة فكرية وثقافية ودينية يكون من الصعوبة التعامل معه [1].

ورغم الفارق بين مصطلحي التراث (PATRIMAOINE) و (HERITAGE) إن المرجعية الأوروبية لا تصلح لقراءة الموروث العربي، باستثناء الاستفادة من بعض المنهجيات

(1) http://www.alghad.jo/?news=33554

الأوروبية فالمفاهيم تختلف لهذا فإن تطبيق المرجعيات الأوروبية لمفاهيم الثقافة الشعبية يقتضي توطين المناسب من هذه المرجعيات بعيداً عن القداسة الحرفية [1].

الأنثروبولوجيا - Anthropology

وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته، وهذا المصطلح يستخدم كثيراً في الأبحاث التراثية المختلفة [2].

والتراث الاجتماعي والاقتصادي يضم نوع من الحياة التي كان يحياها أجدادنا في عاداتهم وتقاليدهم، وأنواع الأطعمة التي كانوا يتناولوها والألبسة التي كانوا يلبسونها وطرقهم في التكسب وفي السكن وفي الاحتفال بالأعياد والمواسم، واستعداداتهم للطوارئ والكوارث الناشئة عن الحروب والأخرى الناجمة عن الطبيعة وكثير من هذه العادات التي تفرض نفسها علينا في حياتنا الحاضرة وأصولها العريقة [3].

التراث والتعليم

أكد معظم مفكري القرن العشرين على ضرورة مراعاة الجذور الثقافية عند صياغة السياسات التعليمية ووضع الأهداف التربوية، وأن هناك ثلاث جوانب رئيسية لطبيعة التعليم وأهدافه التراث والمشاركة والإسهام، فالتعليم على الرغم من أنه يركز على المستقبل فأنه لا يهمل الماضي، بل أنه يعتني بالتراث ليستخرج منه عناصر القوة التي يخدم عن طريقها الحاضر والمستقبل، وتؤثر الثقافة العلمية بصورتها الشاملة على كل مجتمع من خلال تأثيرها على الإنتاج الذي يحتاج إلى حد معين من الكفاءة في توليد المعرفة العلمية والمهارة وستظل المجتمعات إن عجزت عن الوصول للمعرفة لتبعية البلاد المتقدمة تلك التبعية التي يكرسها بشتى الطرق حيث أن الثقافة الغربية في البلاد النامية

---

(1) محمد السهلي. موسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفلسطينية. ط1 (عمان: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية، 2001) ص1.

(2) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(3) محمد أحمد. مرجع سابق. ص5-6.

هي التي مكنت البلاد الأوروبية من تحقيق انجازاتها العلمية والتقنية [1]، لذلك يجب توسيع المدارك بالنواحي الثقافية لقبول جميع أنواع الإبداعات من موسيقى وتأليف والتصوير والمواهب وغرائب الطبيعة والتاريخ الثقافي والفني والمسرح والحرف الشعبية والتراث [2].

أنواع الثقافة

يمارس المثقفون دوراً مزدوجاً مع وسائل الإعلام فهم مستهلكون لما تقدمه وسائل الإعلام وهم أيضا منتجون لمضامينها وفي هذا الإطار لابد من التفريق بين ثلاث أنواع من الثقافات [3]: الثقافة الراقية high culture، والثقافة الشعبية popular culture، والثقافة الجماهيرية mass culture.

فالثقافة الراقية: هي ثقافة الصفوة التي سجلت بالكتب الدراسية والأدبية والفنية وفي الأعمال الفنية الراقية التي أنتجت للنخبة المتعلمة.

أما الثقافة الشعبية: تتسم بالتلقائية التي يصنعها الشعب وتنمو نموا وتصنعها الجماهير لتعبر بها عن نفسها من خلال مواهب طبيعية لدى الفنان الشعبي، وتتسم بالتلقائية وتنمو من القاعدة.

فالثقافة الشعبية كانت حتى قيام الثورة الصناعية ثقافة الجماهير العادية التي تنفصل عن الثقافة الرفيعة، وكانت تلك الثقافة الشعبية تأتي من أعماق الجماعة تعبر بتلقائية أصيلة عن أحاسيس أفراد الجماعة دون أن يستعينوا في ذلك بالثقافة الرفيعة التي لا تتناسب واحتياجاتهم الخاصة، أما الثقافة الجماهيرية فقد جاءت مفروضة من أعلى،

---

(1) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق، ص195.

(2) أحمد عبد الملك. فضائيات. ط1 (عمان: دار مجدلاوي، 2000) ص127.

(3) صالح أبو أصبع. تحديات الإعلام العربي. ط1 (عمان: دار الشروق، 1999) ص193.

وقام بصنعها الفنيون الذين استأجرهم رجال الأعمال أو الساسة لفرض سيطرتهم السياسية على الجماهير من خلال الأنماط الفكرية الموجهة [1].

وكان فصل الثقافة الشعبية عن الثقافة العليا قبل ظهور وسائل الاتصال الجماهيرية يتفق مع الخط الجماعي الحاد الذي رسم في وقت ما ليفصل بين أفراد الشعب والطبقات الأرستقراطية وقد عمدت الديمقراطية السياسية إلى تحطيم الجدار الذي يفصل بين الثقافة الرفيعة والثقافة الشعبية وأصبحت وسيلتها إلى ذلك هي الثقافة الجماهيرية، وقد خلطت الثقافة الجماهيرية بين الثقافات وخلقت ما يمكن إن يسمى بالثقافة المتآلفة، يمكن أن يرفع من مستوى الثقافة الجماهيرية كما أنه يمكن أن يزيدها هبوطاً وهذا يتوقف على عدة عوامل في مقدمتها قرب المسافة أو بعدها بين ثقافتي الصفوة والغالبية، كذلك السياسة الثقافية في المجتمع [2]، ويتسع مصطلح الثقافة الشعبية ليشمل إنتاج الجماعة الشعبية بشقيه الذهني والمادي ويتمثل الشق الذهني للثقافة الشعبية في العادات والتقاليد والأدب واللغة التي تتناقلها الجماعة الشعبية جيلاً وراء جيل كما يمثل الشق المادي للثقافة الشعبية في شتى الأدوات والمخترعات التي تستخدمها الجماعة الشعبية في حياتها العملية [3].

الثقافة الجماهيرية: وهي تستمد مضمونها من المزاوجة بين الثقافة الراقية والثقافة الشعبية وهي التي تقدمها لنا وسائل الاتصال الجماهيري المقروءة والمسموعة والمرئية كالراديو والأفلام والتسلية والقصص التلفزيونية والسينما، وهي معدة للاستهلاك الجماهيري بالتماثل وتعمل على إرضاء أذواق الجماهير وتعمل على توحيدها وهي ثقافة مفروضة على الجماهير من أعلى فالثقافة الجماهيرية هي الوسائل التي تبثها وسائل

---

(1) Gurevith, Michel and Others (ed): Culture Society And The Media. London، Methuen & Co, Ltd, 1982, p. 367.

(2) علي عجوة. الإعلام وقضايا التنمية. ط1 (القاهرة: عالم الكتب، 2004) ص151.

(3) الأخر في الثقافة الشعبية. تأليف: سيد إسماعيل ضيف الله. تقديم: أحمد مرسي (القاهرة: مركز القاهرة لحقوق الإنسان، 2001) ص30.

الإعلام الجماهيري غير موجهة إلى طبقة محددة.

وتشير الثقافة الجماهيرية إلى الإنتاج الثقافي الذي يقدم إلى جمهور وسائل الاتصال الجماهيرية المعروف بالمجتمع الجماهيري Mass Society ، واستمدت الثقافة الجماهيرية مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية، وكانت ثقافة الصفوة قبل انتشار وسائل الاتصال الجماهيرية في القرن التاسع عشر منفصلة تماما عن الثقافة الشعبية، ولكن الثقافة الجماهيرية التي استمدت مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية أصبحت تختلف تماماً عن هاتين الثقافتين [1].

مكونات الثقافة العربية الإسلامية

تنقسم مكونات الثقافة العربية إلى ثلاثة هي: الثقافات الشعبية - الثقافات الدينية - الثقافات الحديثة (المعاصرة) و الثقافات الشعبية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية هي: المعتقدات، العادات والتقاليد، الآداب والفنون والعلوم، وعناصر الحياة المادية، ويمكن عرض هذه المكونات بالنسبة للثقافة الشعبية العربية على النحو التالي:

1- المعتقدات الشعبية العربية: يقصد بالمعتقدات الشعبية أنها المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي وهي معتقدات تكون نابعة من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية إسلامية أو مسيحية، ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال [2].

2- العادات والتقاليد الشعبية العربية: العادات والتقاليد هي فعل اجتماعي متوارث يرتكز على تراث يدعمه ويغذيه لها قوة معيارية تتطلب الامتثال الجماعي والطاعة الصارمة وتكون مرتبطة بظروف المجتمع التي تمارس فيه، وهناك الأعياد

---

(1) جيهان رشتي: الأسس العلمية للنظريات الإعلامية. ط1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1975) ص390

(2) أمين عبد الغني. الثقافة العربية والفضائيات. ط1 (القاهرة: ايتراك، 2003) ص68.

والمناسبات وتشمل:

- الأعياد الدينية: رأس السنة الهجرية - أوائل الشهور العربية عاشورا - مولد النبي - شهري رجب وشعبان - شهر رمضان - العيدان – الحج.
- الأعياد القومية: وفاء النيل - شم النسيم - ليلة النقطة - العيد القومي - عيد الأسرة - عيد العمال.
- المواسم الزراعية:العادات المرتبطة بمواسم الحصاد مثلا.
- الفرد في المجتمع المحلي وتشمل المراسم الاجتماعية وتضم مراسم الاستقبال والتوديع والعلاقات بين الكبير والصغير والغني والفقير والذكر والأنثى والعلاقات بين الفرد والمجتمع والطبقات والمهن.

3- الأدب الشعبي والفنون الشعبية: الأدب الشعبي هو الإبداع الشعبي في مجموعة الفنون الأدبية وتنقسم الفنون الشعبية إلى أربعة أقسام هي [1]:

أ - الموسيقى الشعبية

ب- الرقص الشعبي والألعاب الشعبية

ج- الدراما الشعبية

د- فنون التشكيل الشعبي

أشغال يدوية على الخامات المختلفة: الأثاث والأواني - الأزياء – الوشم - أشغال التوشية - الدمى والتعاويذ - الحلي والرسوم الجدرانية - أدوات الزينة.

4- عناصر الحياة المادية وتشمل: العمارة الشعبية وأدوات العمل والأدوات والمعدات المنزلية والحرف والصناعات الشعبية.

ويعرض الدكتور "حامد عمار" لبعض الموضوعات والتي تعتبر من العناصر الأساسية في مكونات الثقافة العربية والإسلامية، وما ينبثق عنها من محاور تفصيلية لبرامج القمر الصناعي العربي، وهذه الموضوعات هي بالضرورة متشابكة، ويمكن

(1) المرجع السابق، ص71.

معالجتها في سلسلة متنوعة من الإنتاج والإخراج شريطة أن يكون فيها طابع التشويق والجدية والتحدي لفكر المشاهد ووجدانه وهذه الموضوعات يمكن إجمالها في التعريف بواقع الأقطار العربية ومجالات وحدود التفاعل الثقافي السائد في الوطن العربي وحركة التاريخ السياسي والاجتماعي للإسلام ومصادر التراث الثقافي ومكوناته الفكرية والوجدانية والسلوكية وتقييم جهود السلف في مواجهة التحديات ثم مدى أهمية كتب التراث وموقعها من الإسهامات العلمية في إطارها الزمني،وأيضاً في إطار المعرفة المعاصرة ودور الفقهاء والعلماء واجتهادهم في إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات المعاصرة [1].

والثقافة العربية هي امتداد للثقافة العربية الإسلامية في الماضي وهي حاضر لثورة تنسجم مع متطلبات مرحلة النهضة القومية التي تجتازها الأمة العربية [2] وهي عنوان لشخصية الأمة العربية وتكمن عظمة هذه الثقافة في التزاوج بين العروبة والإسلام فالعرب مادة الإسلام حملوا لواءه والإسلام وحد العرب وعزهم حتى رفعوا أعلامه في مشارق الأرض ومغربها [3].

لذلك يوجد ارتباط وثيق بين الهوية الثقافية العربية والهوية الثقافية الإسلامية، فالثقافة العربية واحدة من بضعة ثقافات قومية انتشرت بظهور المسيح وانتشار الإسلام، وعلى أية حال كانت الثقافية العربية هي المستودع الرئيسي للفكر الإسلامي، بل مازالت حتى اليوم فالإسلام رسالة عالمية تناشد الناس البعد عن العنصرية ورفض الظلم الاجتماعي، كانت الشخصية الثقافية والعقلانية للعرب توافق مع هذه المبادئ الإسلامية، ولذلك كانت الرسالة الإسلامية مصدر جذب للناس فتسابقوا إليها وتعلموا العربية وقرئوا القرآن الكريم ودرسوه، وقد ازدهرت الدعوة الإسلامية في القرون الستة الأولى لانتشار الإسلام حيث طور المسلمون دراسات حول القرآن الكريم وعلم اللغة واستفادوا من شتى مجالات المعرفة الإنسانية التي أنجزتها الحضارات السابقة، واستطاعوا

---

(1)محمد مهنا. في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية (القاهرة: المكتبة الجامعية، 2002) ص293.

(2) حسين أبو شنب. مدخل إلى فن الراديو والتليفزيون. ط1 (غزة: دار المنارة، 1998)ص130.

(3) حسين خريس. بين العروبة والإسلام. ع2في: مجلة شئون عربية. تونس، 1981، ص146.

ترجمة ما وقع بين أيديهم في هذه المجالات إلى العربية، بل ابتكروا بعض الدراسات الهامة في العلوم النظرية والتطبيقية وجلوا التعليم وعلموا أولادهم المسلمون وغير المسلمين وازدهرت الجامعات ومختبرات البحث عبر الدول الإسلامية [1].

وللعرب باحثين جادين في مجالات المعرفة كافة، لكن ما الذي كان يحفزهم على ذلك ؟ أنهم كانوا ذوي خلفيات اثنوجرافية متعددة، جاءوا مع تحت مبدأ عالمية الإسلام وعقلانيته وبحثوا في كل مجالات المعرفة الدينية وحسب، فكانوا أعضاء في الجماعة العلمية الإسلامية ولهم رؤية مشتركة نحو العالم، ويتمتعون بثقافة مشتركة، وهم جزء من ثقافة عامة، وعلاوة على ذلك كان العرب رياضيين وفلكيين وصيادلة وأطباء وجغرافيين وفيزيائيين وفلاسفة ومؤرخين وشعراء وفقهاء وعلى سبيل المثال فقد ولد بينهم ابن حيان والخوارزمي وابن رشد والكندي وابن الهيثم وابن يونس والمتنبي والبحريني والبيروني وسيبويه والفراهيدي، وآلاف آخرون سعوا إلى رؤية الإسلام بشكل صحيح من خلال تحرير العقل، وتتميز الثقافة العربية بميزتان رئيسيتان هما العروبة والإسلام [2].

ولقد تمكن الإنسان في هذه المرحلة من تجاوز المكان والزمان معاً، فقد تحولت الثقافة العفوية والتلقائية المتوارثة إلى ثقافة متوارثة حقاً، ولكنها منظمة وممنهجة ومدروسة معاً لقد تحول العطاء العفوي إلى عطاء درامي يساير تحول الإنسان من البدائية التلقائية، كما أنها مرحلة راقية في رصد الوجدان البشري، ومحاولة التعبير عنه، إذ خرجنا من الحصيلة التلقائية لثقافة الإنسان التي يتوارثها ويضيف إليها بحكم تجاربه الجديدة، وخبراته المكتسبة إلى محاولة تنظيم هذه الخبرات للتعبير عن أشواق الإنسان وطموحاته، ورصد التطور الوجداني له عبر مراحله الحضارية المختلفة [3].

---

(1) www.alhewar.com/culture.htm/p:2Sadek jawad Susaiman, understanding our culture: A question of identity, 2003.

(2)ibid.

(3) فاروق خورشيد. أدب السيرة الشعبية.ط1 (القاهرة: المصرية العالمية، 2002) ص34.

الازدواج الثقافـي

هناك بعض الدول تتميز بوجود ازدواج في ثقافة مواطنيهـا وهـذا يقسـم المجتمـع إلى مجتمعين يختلفان عن بعضهما، فهناك ثقافة مستوردة من الخارج سواء من الدول الصـناعية الغربية أو الدول الاشتراكية، وثقافة أخرى محلية عميقة الجذور وذات ماض بعيد متأصـل في نفوس المواطنين، ويقول المفكر العربي المعاصر الدكتور " زكي نجيب محمود " في معرض كتابه " تجديد الفكر العربي " هناك ثقافة ذات طـابع عـربي صـميم مسـتمدة ينابيعهـا مـن تـراث العرب الأقدمين وثقافة عصرية مستحدثة [1].

انتقال الثقافة بالتعليـم والإعـلام

ينهض التعليم بدور أساسي في تنمية المهارات، واستمرار التراث العلمي والأدبي والفنـي بنقله من جيل إلى جيل، ولما للتعليم من أثر كبـير عـلى الـنشء فقـد اسـتغلته الحكومـات في تكوين الجيل الجديد على نحو معين يخدم أهـدافها، كـما أن الاسـتعمار في عصـوره المختلفـة لجأ إلى التعليم وبذل من جهود لمحو شخصية الأمة أو إذابتها في شخصـية المسـتعمر، أو لـكي يفصلها عن الشخصية القومية التي تنتمي إليها [2].

فمن خـلال الجامعـات أو المـنح التعليميـة أو الأفـلام والمسلسـلات والـبرامج الإذاعيـة والتليفزيونية أو كتب أو المجـلات والصـحف أو المعـارض والمتـاحف أو الفـرق الموسـيقية أو المسرحية أو غيرها من الفنون تحاول الدول الكبرى أن تغزو العـالم، وتـنشر أنماطـاً جديـدة أو مخططات جديدة للحياة توجه السلوك البشري في مجتمع معين بما يتفـق مـع ثقافـة الدولـة الغازية وقد أصبحت وسائل الاتصـال الجماهيريـة هـي الأداة التـي تسـتخدمها هـذه الـدول بإرادة بعض المجتمعات التي تتعرض لما تصدره تلك الـدول مـن بـرامج وأفـلام، كـما تتعـرض بعـض المجتمعـات لهـذه المخططـات رغـم كـل الجهـود التـي تبـذلها لمنـع هـذه الـبرامج أو

(1) محمد حجاب. الإعلام والتنمية الشاملة. سلسلة دراسات وبحوث إعلامية. ط3 (القـاهرة: دار الفجـر، 2000) ص25.

(2) إبراهيم أمام. العلاقات العامة والمجتمع. ط2 (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968) ص239.

فرض الرقابة عليها أو استخدام أجهزة التشويش للحيلولة دون تعرض مواطنيها لما يبث عـن طريق الموجات القصيرة [(1)].

العلاقـة بيـن الاتصـال والإعلام والثقافـة

تشكل وسائل الاتصال في المجتمع الحديث أدوات فعالة لنشر الثقافة وتمارس دوراً كبـيراً في التوصيل الثقافي، وانتقاء المحتوى الثقافي وابتداعه، والتبادل الثقافي، وتحقيق الذاتيـة الثقافيـة والاتصـالية، والقضـاء عـلى المخـاطر التـي تهـدد هـذه الذاتيـة، وتحقيـق الديمقراطيـة الثقافيـة الحقيقية عن طريق توسيع نطاق انتفاع الجماهـير بمختلـف وسـائل تحصـيل الثقافـة وتفعيـل الحق في الاتصال بمعناه الشامل، حق الفرد في أن يعلم وحقـه في أن يعلـم عـن نفسـه، وإتاحـة الفرصة للمبدعين للتعبير عن أنفسهم، بما يسهم في حفز الإبداع ونشر الثقافة الرفعية [(2)].

وتتداخل العلاقة بين الاتصال والثقافة وتتشابك إلى الحد الـذي جعـل بعـض البـاحثين ينظـر إلى الاتصـال والثقافـة باعتبـاريهما وجهـان لعملـة واحـدة، فقـد أوضـح (ادوارد هـول E.Hall) في كتابه عن اللغة الصامتة (أن الثقافـة اتصـال عـلى اعتبـار أن العـادات والتقاليـد والتراث والخبرات والقيم والمعارف المختلفة كلها تنتقل بين الأشخاص والجماعـات والأجيـال)، وهذا الانتقال والنقل ما يعطيها صفة الاستمرارية والبقاء في الوجود [(3)].

ويعتبر الاتصال أداة فاعلة في إحداث التغيير الثقافي داخل المجتمـع كـما قـد يمتـد تأثيره من مجتمـع إلى مجتمعـات أخـرى، والفضـل في ذلـك يرجـع إلى تطـور تكنولوجيـا الاتصال والاتصال له تأثير قوي على التنظيم الاجتماعـي والتجمعـات الإنسـانية، وبـذلك

(1) علي عجوة . مرجع سابق، ص146.

(2) منى الحديدي وشريف اللبان. فنون الاتصال والإعلام المتخصص. ط1(القاهرة: الدار المصرية اللبنانيـة، 2009)ص31.

(3)أحمد أبو زيد. الاتصال. ع2، (عالم الفكر، 1980) ص 326.

فإن السيطرة على الإعلام إنما تعني السيطرة على كل من وعي المجتمع والتنظيم الاجتماعي [1].

والاتصال هو العنصر الأساسي في الحياة البشرية الذي يجعلها ممكنة وهي وعاء الثقافة وناقلها وهو أيضا أسلوب التعبير عنها، ووسائل الاتصال لها الدور الأساسي في حماية الثقافة ونقلها وتغيرها أيضاً، وهي كما يرى تقرير اليونسكو " أن وسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي وهي تمارس أو يتعين عليها أن تمارس دوراً أساسياً في تطبيق السياسات الثقافية وفي تيسير إضفاء طابع ديمقراطي على الثقافة وهي تشكل بالنسبة لملايين من الناس الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق كذلك، وللاتصال دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها وهو يستطيع احتمالا على الأقل إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع ومع ذلك ففي هذا المجال كما في سائر المجالات فان التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة ونمو البنى المصنعة التي تمد سيطرتها على الثقافة وعلى الإعلام يخلق مشكلات وإخطارات [2].

كذلك تعتبر طرق الاتصال ذاتها جزء من الثقافة السائدة، فاللغة والمحركات والإشارات والإيماءات، هي عناصر ثقافية وأدوات في الوقت ذاته لنقل الثقافة وتوصيلها، وقد أصبح " مارشال ماكلوهن " صاحب العبارة الشهيرة " الوسيلة هي الرسالة " أن أدوات الاتصال جميعاً تعتبر امتداداً لحواس الإنسان لها دورها في تغيير هذا الإنسان والتأثير على أسلوب حياته أي ثقافته [3].

---

(1) ويليام ريفرز وآخرون. وسائل الإعلام في المجتمع الحديث. ترجمة:إبراهيم إمام (القاهرة: دار الفكر العربي. 1971) ص35.

(2) صالح أبو أصبع. مرجع سابق، ص55.

(3) وليام ريفرز وآخرون. مرجع سابق، ص 49.

وحق الاتصال يجب أن يتسع ليشـمل حـق البشريـة في أن تعـبر وسـائل الإعـلام عـن التنوع الثقافي وفي الوقت نفسه من حق الدول اتخاذ الإجراءات التـي تكفـل حمايـة ذاتيتهـا الثقافية والعمل على تنمية الدول لوسائل إعلامها القادرة على نشر المعلومات الصحيحة عـن حضارتها وثقافتها واستخدام مواردها الاتصالية، وتشجيع شعبها على استخدام ثـورة الاتصـال للدفاع عن هويتها وذاتيتها الثقافية[1].

الغزو الثقافي والاتصال الثقافي

إن الصلة بين الثقافة والإعلام تقودنا إلى مناقشة ما يتم تداولـه تحـت عنـاوين الغـزو الثقافي والاتصال الثقافي، وقد أشارت دراسة (شون ماكبرايد) إلى أن الثقافة لا تتطور بانغلاقهـا على نفسها داخل قوقعتها، وإنما تتطور بالتبادل الحر مـع الثقافـات الأخـرى والحفـاظ عـلى الصلة بكل قوى التقدم الإنساني حيث أن التبادل الحر لا بد أن يكون أيضاً على قدم المساواة وقائماً على أساس الاحترام المتبادل، فقـد يـؤدي تعـدد قنـوات الإرسـال الـذي أتاحتـه التوابـع الصـناعية للبـث المبـاشر إلى تنـوع الأهـداف والمشـاهدين والمسـتمعين، ومـن خـلال اشـتداد المنافسة قد يؤدي هذا التعدد إلى توحيد نمط المحتوى كما قد يؤدي على الصـعيد الـدولي إلى زيادة حدة التبعية الثقافية بزيادة البرامج المستوردة [2].

ويبدو أن القضية الأساسية التي تطرحها الثقافة العربية هي تـأمين التواصـل بـين الماضي والحاضر والمستقبل، والتعبير عن تطلعات عربية اجتماعية مشتركة تجسـد هويـة الأمة، مع الحفاظ على الأصالة والقيم الايجابية في الذات العربية للحضارة العربية، لكـن الثقافة العربية هذه تحمل أيضـاً بصـمات أوضـاع التخلـف والتبعيـة وتخضـع لضـغوط الهيمنة الغربية على كل المستويات وبالتالي فإن جانباً كبيراً من الثقافة العربية استهلاكي يعتمد التقليد والاجترار والسطحية على مستوى الأفكار والقيم ويتحاشى النقـد الجـريء

---

(1)سليمان صالح. ثورة الاتصال وحرية الإعلام. ط1 (الكويت: مكتبة الفلاح، 2007) ص373.

(2) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق، ص119.

لتحليل المتعمق والنقاش الصريح كما يلتزم الحذر والخجل في طرح معالم الخصوصية عناصر الأصالة وبالتالي فهو قاصر بذاته وعاجز بفعل عقمه عن مواجهة الآخر [1]. ويذهب المفكرون إلى أن مشكلة الأصالة والمعاصرة من أحدث المشكلات التي أخذت تستحوذ على اهتمام المثقفين، وترجع جذورها إلى المرحلة التالية لفترة النهضة الحديثة ويتمثل جوهر المشكلة في كيفية التعايش أو الامتزاج بين التراث الإسلامي والثقافة الحديثة " الغربية " [2].

فالغزو الثقافي والاتصال الثقافي لا يمكن الفصل بينهما في عالمنا المعاصر فصلاً قاطعاً ولم يعد في مقدور أمة في عالمنا المعاصر أن تقيم ستاراً حديدياً بينها وبين العالم، فتستغني عن الاتصال الثقافي وتتفرغ لمواجهة الغزو الثقافي وحسب، إن طبيعة العصر جعلت لهذين المفهومين المتناقضين الغزو الثقافي والاتصال الحضاري تلازماً وثيقاً في المجال والتأثير[3].

وقد أدى تفكك النظام الثقافي الوطني في دول الجنوب إلى إفساح الطريق لآليات العولمة الثقافية التي تسعى لتوحيد العالم في منظومة قيمية وفكرية واحدة تستجيب دون مقاومة لمتطلبات السوق العالمية، وتعتمد ثقافة العولمة على وسائل الإعلام السمعية والبصري التي غطت الكرة الأرضية عبر الأقمار الصناعية وعرضت جميع القارات والدول والعواصم في أحدث صورها لأسباب ترتبط بالمستجدات التي طرأت على الواقع الثقافي الدولي خصوصاً بعد اختفاء الاتحاد السوفييتي وانحسار الصراع الأيديولوجي من الساحة الدولية وحلول الاختراق الثقافي محله[4].

---

(1) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق، ص76.

(2) حامد طاهر. دراسات عربية وإسلامية. ج9، 1989، ص52.

(3) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق، ص119.

(4) عواطف عبد الرحمن. الإعلام العربي وقضايا العولمة. ط1 (القاهرة: العربي للنشر، 2003) ص21.

وهنا تكمن الخطورة إذا تحول الانسياب الثقافي الطبيعي إلى تدفق ثقافي موجه للتأثير على شخصية الأمة وطمس معالم ثقافتها، وقد استطاعت اليابان أن تحافظ على شخصيتها إلى حد بعيد، رغم المحاولات الأجنبية للضغط عليها والتأثير على ثقافتها [1].

فإن كانت السياسة الثقافية تستهدف تقديم ما يرضي الأذواق الحالية للجماهير وإشاعة السطحية وقتل التفكير أدى ذلك إلى هبوط المادة الثقافية المقدمة للجمهور، وحينما تعمد السياسة الثقافية إلى رفع المستوى الفكري، وإيقاظ العقول وتقدم للجمهور ثقافة هادفة ترقى بمستوى الأذواق وتخاطب عقولهم وعواطفهم، وبذلك ينتشر الفن الراقي ويرتفع مستوى الأداء الفني وهذا يؤدي إلى ارتفاع مستوى الذوق العام بين الجماهير [2].

إن المسئولية لوسائل الاتصال الجماهيرية لا تقتصر على تقديم هذا النوع من الثقافة الذي خلفته هذه الوسائل بحكم مخاطبتها للجمهور العام، وهو الثقافة الجماهيرية، فمن المعروف أن وسائل الاتصال الجماهيرية تخاطب بالإضافة إلى الجمهور العام أي قطاع المثقفين ثقافة عالية وتتحمل أيضاً مسئولية إشباع جزء أساسي من احتياجات هذا القطاع بما تقدمه من برامج أدبية وفنية وعلمية جيدة الإعداد رفيعة المستوى كما أن مسئولية وسائل الاتصال الجماهيرية في تقديم الفن الشعبي وإحياء التراث الشعبي الهادف ينبغي أن تنال الرعاية والاهتمام [3].

كما أن التهديد الذي تمثله وكالات الإعلان العالمية بما تفرضه من أساليب إعلانية غربية رأت فيها (اليونسكو) تهديداً للذاتية الثقافية والتحقيق الذاتي لكثير من البلدان النامية، فهي تعرض على جماهير غفيرة قيماً أخلاقية أجنبية، وقد تحول طلبات المستهلكين في البلدان النامية إلى مجالات استهلاكية قد تعوق أولوياتها الإنمائية، وهي

(1) إبراهيم إمام. مرجع سابق، ص454.

(2) علي عجوة. مرجع سابق، ص152.

(3) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق، ص187.

تؤثر في أنماط المعيشة وأساليب الحياة وكثيراً ما تشوهها وفضلاً عن ذلك فإن تهديد المصالح الخاصة أو الحكومية بحسب إعلاناتها قد يشكل تهديداً لحرية الصحافة [1].

والاختراق الثقافي أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة العالمية التي تستكمل الدور الذي تقوم به الشركات المتعددة الجنسية وصندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيره الذين يشكلون مجلس إدارة اقتصاد العالم، وهو كآلية متطورة تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الرفيعة تتفاعل داخل المجتمعات ببطء ولكن مخترقة بثبات منظومة القيم [2].

في العام 1978م اقترحت اليونسكو نظاماً إعلامياً جديداً، وشكلت له اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال برئاسة وزير خارجية ايرلندا (شام ماكبرايد) وقدمت اللجنة تقرير متشائم لأحوال الثقافة الإعلامية الدولية في التقرير وأن هناك وضع مأساوي قد يضر التفاهم الأمم والتعاون بين الشعوب في ثقافة الدول الاجتماعية وسياستها ومشاريعها وخاصة دول العالم الثالث التي تسعى لطرح برامج تنموية للحاق بالغرب المتقدم [3].

والواقع أن مخاطر الاختراق الثقافي الذي يشكل أبرز التحديات المعاصرة لثقافة الدولة التي لم تقتصر على دول الأطراف جنوب العالم بل بدت أوروبا التي تنتمي لدول المركز ونشعر بالتفتت الثقافي الناجم عن عالمية السوق وإن كانت دول الجنوب تشكل الساحة الرئيسية لمشاكل الاختراق الأنجلو الأمريكي والفرنسي [4].

وارتفعت أصوات الوطنيين من دول الجنوب الفقير مطالبة بالحماية الاجتماعية والثقافية وإيقاف السيطرة الاتصالية من قبل الدول المتقدمة وهذا في حد ذاته ولد العديد من النقاشات الحادة وفي المنظمة الأممية اليونسكو التي أصدرت العديد من التوصيات التي

---

(1) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق،ص116.

(2) عواطف عبد الرحمن. 2003. مرجع سابق، ص22.

(3) عبد اللـه الطويرقي. صحافة المجتمع الجماهيري. ط1 (الرياض: العبيكان، 1997) ص217.

(4) عواطف عبد الرحمن. 2003. مرجع سابق، ص22.

تحفظ للآخرين حقوقهم كشعوب وهذا التوجه الوطني تجاه الثقافة والإعلام أزعج مثل أمريكا وبريطانيا ودفع بها للانسحاب من المنظمة والتخلي عن دعمها مادياً في فترة لاحقة [1].

يركز)مالكلوهان (اهتمامه بدراسة وسائل الاتصال الجماهيري على مستوى مختلف حيث تتناول نظرياته الإعلام بأنه يقوم " بتغيير طبيعة الثقافة نفسها من الجذور حتى الفروع " كما يرى أن الثقافة المختلفة تستخدم حواس مختلفة وبذلك فإن مفاهيمها عن العالم تصبح مختلفة ثم يضيف أن متابعة التليفزيون تستلزم حواس أكثر من مجرد حاسة الإبصار ذلك أن الصورة التي يبثها التليفزيون توجه وتحيط بالمشاهد مما يعطي إحساسا انه مشارك في العمل الذي يعرضه التليفزيون الأمر الذي لا يحدث لنفس المشاهد عندما يقرأ، وربما تكون الاختلافات تأثيراً عندما يعرض التليفزيون برنامجاً بالصور الحية لأحداث وقعت في بلاد تبعد عن المشاهد بآلاف الأجيال إلا أنه يشاهدها في لحظة وقوعها[2] .

ومن الضروري الاهتمام بالبعد الثقافي عند الحديث عن قضايا الشباب، خاصة ونحن نعيش عصر المعلومات والإعلام الفضائي، إذ لا بد من إشباع الاحتياجات الثقافية لفئات الشباب شريطة أن يكون هذا الإشباع بالقدر والكيفية الملائمة، وبما يحقق الأصالة والمعاصرة في آن واحد، بحيث يكون انفتاح في مختلف الثقافات دون الانصهار في الثقافات الأجنبية، ولقد وجد في السنوات الأخيرة أن نسبة الأمية الثقافية بين المتعلمين آخذة في الازدياد، حيث أن المتعلم قد يكون من الكفاءات المميزة في مجال تخصصه،أما خارج هذا التخصص فان ثقافته تكون ضئيلة للغاية في المجالات الأخرى[3].

ما يؤثر على التراث عاملين أساسيين: عولمة اقتصاد السياحة والذي نمت

---

(1) عبد اللـه الطويرقي. مرجع سابق، ص218.

(2) ويليام ريفرز وآخرون. مرجع سابق، ص278.

(3) منى الحديدي. الإعلام والمجتمع. مهرجان القراءة للجميع (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004) ص 211.

وتطورت في السنوات الأخيرة بالرغم من بعض المحاولات التعديلية التي تجـرى الآن لتتكيـف ضمناً مع الهوية الأصلية للـتراث الـوطني المتمثـل بالخصوصـية الثقافيـة، بالإضـافة إلى إتبـاع الرأسمالية كنموذجا للأحداث مؤخراً [1] وهيمنة الـدول الرأسـمالية ذات القـوة والنفـوذ عـلى سياسات العالم الثالث الخاصة [2] .

نقد مفهوم الغـزو الثقافـي

يوجد افتراض أساسي يوجه أغلب المناقشات التي دارت حـول قضـية الهويـة الثقافيـة ومؤداه أن ما نشهده اليوم من تطور في تكنولوجيا الاتصال يحمل في طياتـه تهديـداً أو غـزواً ثقافياً للدول والثقافات تتضح آثاره في عناصر البناء الاجتماعـي ومكوناتـه وتشـكيل العـادات والتقاليد وأساليب الحياة، وتلك هي المقولة التي رددها أصحاب مدرسة التبعيـة الثقافيـة أو منظرو الاستعمار الثقافي ورغم أن أصحاب مدرسة التبعية يرون بشكل أرحب وأوسع وأشمل ويعبرون عن شمولية في النظر، وفهم حقيقي للعلاقات التي تحكـم دول العـالم المعـاصر ومـا يترتب على ذلك من تبعية أو ندية [3] .

ولقد أثبتت الأبحاث أن الشعوب المحليـة في العـالم الثالـث تتعلـق أكـثر بفنونهـا مـن موسيقى ورقـص ولغـة وعـادات، وأن فكـرة الثقافـة الكونيـة تكـون سـائدة أكـثر في الأمـاكن الحضرية بالعالم الثالث التي يتقبل فيها الأهالي الأفكار والاتجاهـات الجديـدة ويكـون لـديها القدرة المالية على الصرف عـلى هـذه المنتجـات، والنتيجـة الوحيـدة التـي يمكـن استخلاصـها

---

(1) Carman, John (2005) Against Cultural Property: Archaeology, heritage and ownership. London: Dukworthm, p79.

(2) Ferguson,james (2004) Power Topographies. In A Companion to the Anthropology of politics. D. Nugent and J. Vincent, eds, Oxford: Blackwell.pp383-399.

(3) شبل بدران. غزو ثقـافي. أم تبعيـة ثقافيـة. بحـث مقـدم لنـدوة د/ عـاطف غيـث العلميـة الخامسـة. المجتمع العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين، أبحاث ومـداخلات النـدوة، الجـزء الأول (القـاهرة:دار المعرفة الجامعية. 1994) ص 230.

هو أنه بينما تتعرض الهويات الثقافية الآسيوية للتأثير فهي لا تتشكل بالضرورة بالرسائل الإعلامية الكونية التي تتعرض لها [1].

وإن قضية المحلية العالمية قد طرحت في مجال الأدب والفن كما طرحت في مجال الاتصال الجماهيري وفي كل مكان هناك من يرى أن الإغراق في المحلية يعتبر أساساً للعالمية ويعتقد أن المحلية يمكن أن تكون أساساً للعالمية فيما إذا توافرت عدة متطلبات منها أن الإغراق في المحلية لا يعني تقليداً لأنماط ثقافية غريبة عن واقع المجتمع وثقافته، كما يعني أن تعطي وسائل الإعلام القومية والمحلية والإقليمية صورة صادقة عن مجتمعاتها، وأن تكون انعكاساً لها ولثقافتها وفنونها ولهجاتها، فوسائل الإعلام المحلية في حاجة إلى تطوير رؤية واضحة في إطار المماثلة الاجتماعية للمجتمعات المحلية التي تحاول أن تخدمها كما أن وسائل الإعلام المحلية يجب أن تستحث جمهورها باستمرار كي ينظروا فيما وراء المحلية والإقليمية، وراء آفاق منطقتهم الثقافية والجغرافية، أو وراء منطقتهم الجغرافية وواقعهم الثقافي لكي يتجنبوا الخطر المزدوج لمحلية التفكير، وإن وسائل الإعلام المحلية يجب أن تشجع المشاهدين والمستمعين على إدراك ما الذي يشتركون فيه مع أناس آخرين في مناطق جغرافية واجتماعية وثقافية ودينية أخرى، وإن هذه النظرة للخارج سوف تشجع المشاركين في وسائل الإعلام المحلية على الشعور بأنهم جزء من ثقافة ودولة أوسع وحينئذ يمكن أن يمثل التشبث بالخصوصية إحدى سبل التعامل مع العالمية [2].

المواجهة – المنطلقات والآليات

تشير بعض الدراسات إلى وجود أربع ثقافات تتصارع الآن على الساحة العربية هي: الثقافة العربية والثقافة الأمريكية والثقافة الغربية الأوروبية والثقافة الإسرائيلية وإذا كان الهدف الأساسي للغزو الثقافي للوطن العربي يتركز حول حماية مصالح القوى الأكثر

---

(1)ألفت الأغا، مرجع سابق، ص31.

(2) jan driyvers, community broadcastings, a manifesto for the media policy of small European countries, media, culture and society, vol 14, no, 2, soge، London, 1992, p,.200.

سيطرة على الساحة العالمية مدعومة ومعززة بمصالح النخب السياسية والاقتصادية المحلية، فإن الدول الاستعمارية الأوروبية التي مارست في الماضي سيطرتها وغزوها الثقافي في العالم العربي أصبحت الآن تشكو من الغزو الثقافي الأمريكي، فالغزو الثقافي في المرحلة الراهنة الممتدة من أعقاب الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أصبح ذا صبغه عالمية تتزعمه المراكز الاحتكارية الضخمة العابرة القوميات والتي تنطلق معظمها من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك فإن الغزو الثقافي للوطن العربي لم يتخذ شكلاً واحداً عبر تاريخه الطويل بل تجسد في ممارسات وأشكال متنوعة لعل أكثرها رسوخاً في المرحلة الراهنة أسلوب الاستعمار الاقتلاعي والاستيطاني في فلسطين والذي توسع باحتلال مناطق عربية أخرى ويعبر عن نفسه ثقافياً فيما يسمى " ثقافة التطبيع "[1].

المستوى الاستراتيجي للمواجهة الثقافية

ينطلق التصور الاستراتيجي للمواجهة الثقافية من حقيقتين جوهريتين تشير الحقيقة الأولى إلى أن الواقع الثقافي الراهن في الوطن العربي الذي يتزامن فيه القديم والجديد والوافد والموروث دون تفاعل حقيقي وتهيمن السياسة على الثقافة وتتسع الهوة بين التقليدي والعصري في مختلف مجالات الحياة العربية المعاصرة ويخضع في مجمله لطغيان الثقافة الاستهلاكية التي تمارسها القوى العالمية المسيطرة على وسائل الإعلام المرئي والمسموع والتي تعمل بإصرار على تخريب الثقافات القومية وتفتيتها، كل ذلك يفرض ضرورة تبني إستراتيجية ثقافية فاعلة وقادرة على تجاوز الثنائية والانشطار الثقافي في الواقع العربي الراهن وقادرة على مواجهة الاختراق الثقافي من خلال ثورة ثقافية شاملة متعددة المراحل تستهدف إعادة بناء التراث الثقافي من الداخل، لأن أي محاولات جادة لتجديد الثقافة العربية لا يمكن أن تتم إلا من داخلها وهذا يثير قضية العودة إلى التراث التي تجد صدى كبيراً في العالم العربي وخاصة خلال العقد الأخير حيث ينتشر

---

(1) عواطف عبد الرحمن. قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي. ط1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1997) ص44.

الرأي الذي يؤكد أن الرجوع إلى الأصول الأولى - ويقصدون بها في الأغلب العصر الذهبي للإسلام - هو الدرع الحقيقي الذي يحمينا من كل ضروب التبعية والاختراق الثقافي.

وهناك مفارقة أساسية في العلاقة بين التبعية الثقافية والعودة إلى الجذور، فالمجتمعات العربية تسعى في آن واحد إلى تحقيق هدفين يبدو أن كلاً منهما يتناقض مع الآخر فهي تسعى إلى مسايرة العصر كي تحتل المكانة اللائقة بها على خريطة العالم المعاصر، وفي ذات الوقت تحرص على التمسك بالهوية القومية والجذور التاريخية فكيف يتحقق ذلك، أي كيف يتحقق الجمع بين الأصالة المعاصرة؟ وهنا تثار إشكالية الفرز بين الجوانب السلبية في التراث القائم على الطاعة والاستسلام والمعادي للنقد والإبداع والتفكير الحر، والجوانب الإيجابية في التراث التي تضم جميع الإنجازات الرائعة في ميادين العلوم والآداب والفلسفة والتي شكلت رافداً حضارياً متميزاً استطاع أن يصب في نهر الثقافة الإنسانية ومسيرتها وقد تعرض للجمود بسبب عوامل الغزو والسيطرة الأجنبية ولكنه يتميز بأنه قابل للنمو والتطور كذلك فإن الحداثة أو التحديث المرتبط تاريخياً في العقل العربي الجمعي بالتبعية والخضوع للغرب يملك جوانب أخرى إيجابية تتمثل في التراث العلمي والعقلي الذي أضافته الثقافة الغربية إلى التراث الإنساني المعاصر، هذا الجانب لا يمكن إغفاله أو تجاهله إذ تزداد حاجتنا إلى الاستعانة به في مواجهتنا لتحديات العصر[1].

(1) عواطف عبد الرحمن. المرجع السابق، ص48.

الفصل الثاني

الإعلام والحفاظ على الهوية الثقافية

الفصل الثاني

الإعلام والحفاظ على الهوية الثقافية

تمهيـد

تشكل الثقافة بمكوناتهـا المختلفـة الرافـد الأسـاسي والـرئيسي لتكـوين الفكـر والـوعي والتنمية والمخزون المعرفي الاستراتيجي الذي تستمد منه الشعوب معارفها وخبراتها وتجاربهـا في ميادين العلوم والأدب والفنون... على مدى السنين والأجيال.

ولا تقـل أهميـة الإعـلام ودور وسـائله المختلفـة المطبوعـة والمسـموعة والمرئيـة والإليكترونية في تشكيل هذه الثقافة والاتجاهات والميول وقد يمتد إلى تغيير السـلوكيات بمـا يساهم في بناء المجتمع وتحقيـق التفاعـل والتماسـك الاجتماعـي والعمـل عـلى تقـدم ورقـي المجتمع للنهوض بالواقع الثقافي إلى منارة الـدول المتقدمـة التـي اسـتثمرت وطوعـت وسـائل الإعلام لخدمة أغراضها وأهدافها لحماية تراثها في حين أن الإعلام العربي يترنح مـا بـين الإعـلام الترفيهي والإعلام المنفلت والإعلام المتصارع على أبسط القضايا والموضوعات مع تـرك القضـايا المصيرية التي تربط جميـع الـدول العربيـة والإسـلامية معرضـة للخطـر بـل النهـب والسرقـة وخاصة القضية الفلسطينية والتراث الفلسطيني مما يطرح تساؤل هام ما دور هذه القنـوات الفضائية العربية (ما يقارب 500 قناة) ؟ ومـا القضـايا التـي تتناولهـا في ظـل تهويـد القـدس والحفر تحت المسجد الأقصى والاستيطان وبنـاء الجـدار بخـلاف القتـل والتجريـف والقصـف والتدمير لكل ما هو فلسطيني عربي إسلامي في الأراضي الفلسطينية؟.

وأصبح الاهتمام بالهوية الثقافية العربية أمراً ضرورياً وذلـك لمـا آلـت إليـه أحـوال الأمـة العربيـة وتشـتتها وضـياع معـالم القـوة الذاتيـة مـما جعلنـا نتيـه في عـالم متفـاوت الاتجاهات والرغبات تنازعه قوى السيطرة والأيديولوجيات الاستعمارية، حيث تسعى كـل جهة لطمس حضارات الشعوب وثقافتها، وقد حاول الاستعمار فـرض التجزئـة عـلى عالمنـا

العربي بقوة البطش فتوزعت الدول التي حظيت بالسيادة الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية عالمنا العربي ونتيجة للنضال المرير الذي خاضته الشعوب العربية من أجل الحرية والاستقلال لجأت هذه الدول إلى وسيلة أشد إيلاماً وأكثر فتكاً، إذ سيطرت على منابع الفكر والثقافة العربية والإسلامية [1].

وتمارس وسائل الإعلام دوراً أساسياً في تشكيل اتجاهات الجماهير والمحافظة على الشكل الاجتماعي للمجتمع، وهذا ما ذهب إليه علماء الاجتماع، إذ رأوا أن وسائل الإعلام تستطيع التأثير في سلوك الأفراد والعمل على إبراز العادات والتقاليد التي تعمل على زيادة الارتباط بين أفراد المجتمع الواحد وقد ربط العلماء قديماً بين التقدم المادي والإعلامي في المجتمع وزيادة وعي الأفراد، أي أن هناك إنتاج آخر غير الإنتاج المادي وهو إنتاج ذهني واجتماعي وتلعب القوانين الاجتماعية والنظم الثقافية دوراً هاماً في المجتمع، ويأتي ذلك من خلال مواكبة التقدم في مجالات التكنولوجيا المتعددة [2].

والإعلام بما يمثله من قوة باستخدامه أجهزة تقنية معقدة ومتطورة يستطيع أن يفعل الكثير من أجل خير المجتمع وتقدمه، وهذا التقدم المذهل في عالم الاتصال وأدواته يشير إلى خطورة الدور الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في مواجهة قضايا أمتنا على اختلاف أنواعها ومضامينها وذلك كله يعتمد على التوجيه الذي يعني الإعلام بالإلحاح عليه، والأفكار التي يعرضها عبر أجهزته وصفحاته وشاشاته فهو قوة خطيرة إن استخدام لحقيق الإيجابيات والأهداف النبيلة حيث يكون قادراً على تثبيتها وإنجاحها.

ومن هنا نجد أن الإعلام يتحمل المسؤولية إزاء قضية الهوية الثقافية أو الذاتية الثقافية التي قوامها عدد من الركائز الأساسية تتمثل في الدين واللغة العربية والانتماء إلى

---

(1) سعيد سلمان. الهوية العربية والإسلامية في الخليج العربي. ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي، مسقط 21 – 22 أبريل 1985(الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1987) ص17.

(2)Hall. culture , The media، and the ideological effects, in James Curran , mass communication and society, The openuniversity,1979,Stuart, pp:315316-.

تراث حضاري وثقافي له أسسه وملامحه الواضحة والثابتة، لكي يكون درعاً واقياً يصون هذه الهوية الثقافية ويحميها مما يداهمها من محاولات الغزو الفكري والإعلامي التي تأخذ شكلاً وألواناً متعددة لكي تظل الهوية الثقافية بمنأى عن الاختراق، ولكي تظل منسجمة مع نفسها ومع رسالتها ومع دور هذه الأمة ومكانتها على خريطة البشرية [1].

وتقوم وسائل الإعلام بدور - إن لم يكن أكبر الأدوار - في توجيه الدعوة إلى إحياء التراث ورسم إطار أسلوب العمل في تنفيذ هذه المهمة، ونحن في أمس الحاجة لإحياء التراث حتى نسترد الوعي بالميراث الثقافي والشخصية الحضارية التاريخية، والإنجازات العلمية للأمة الإسلامية [2].

وإن للتراث أهمية كبرى في حياة الأمم، إذ يحمل مقوماتها التي ثبتت على مر الزمن فمنه حضارتها، ومقوم أصالتها وشخصيتها المتميزة ومنه تستمد أصول تطورها وازدهارها الفكري والمادي، ويظهر هنا مفهوم الأصالة على أن التراث الفلسطيني والعربي والإسلامي يزخر بمواد يجب الحفاظ عليها وتوثيقها والإفادة بما تحتويه من قيم ومعارف، والتعريف بها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال التليفزيون بصفة خاصة [3].

تكنولوجيا الاتصال والثقافة

إن المزج بين أكثر من وسيلة اتصال، أو المزج بين وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات فيما يعرف الآن بتكنولوجيا الاتصال التفاعلي أو الاتصال متعدد الوسائط ، فقد تم مزج الهاتف مع الحاسبات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة البريد الإلكترونية، ومزج التليفزيون بالحسابات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة النصوص المتلفزة وتم مزج

---

(1) تيسير أبو عرجة.الإعلام والثقافة العربية. الموقف والرسالة. ط1 (عمان: دار مجدلاوي، 2003) ص46.

(2) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق، ص187.

(3) سهير جاد. البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون (القاهرة: دار الفجر، 1997) ص239.

أنظمة الأقمار الصناعية مع أنظمة الإرسال التليفزيوني فيما يعرف بأنظمة البث المباشر عبر الأقمار الصناعية [1].

والتطور الهائل الذي شهدته وسائل الاتصال الجماهيرية كان له أثر كبير في انتقال الثقافات بين المجتمعات المختلفة وداخل المجتمع الواحد وهو أمر يمكن أن يساعد في تحقيق التقارب بين هذه المجتمعات، بالإضافة إلى ما يحققه في مجال الانتقال بما يخدم قضايا التفاهم والسلام العالمي[2].

كما أن الدخول في عصر الأقمار الصناعية، وهو عصر يحمل كثيراً من المتغيرات يتطلب وضع سياسات اتصالية جديدة في الاعتبار للعديد من المتغيرات التي حدثت في العالم في مجالات السياسة والاقتصاد والبيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والسكانية [3].

ومن ناحية أخرى يرى البعض أن هذا التطور التكنولوجي الهائل يعتبر تهديداً لبعض الثقافات الوطنية التي تتعرض لهيمنة الثقافات الوافدة عبر وسائل الإعلام الكونية وسيطرتها فرغم أنه من المتفق عليه أن الثقافات المحلية تنمو وتزدهر باتصالها بالثقافات الأخرى، يسود التخوف منه أنه من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة تتعرض بعض الثقافات لخطر فقدان هويتها وتنغمس في ثقافات من يملك تلك التكنولوجيا الحديثة [4].

والتطور التكنولوجي في وسائل الاتصال لاسيما في دول الشمال أوجد ما يسمى بعالمية الثقافة التي أزالت الحواجز بين الشعوب وأثبت عدم فاعلية وسائل المنع أو مقص

---

(1)محمود علم الدين. تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول والثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب(القاهرة: عالم الفكر، 1994) ص97.

(2) علي عجوة. مرجع سابق، ص159.

(3)سعد لبيب، نحو سياسات تليفزيونية جديدة في عصر أقمار الاتصال والبث المباشر، الدراسات الإعلامية. ع61 (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإعلامية، 1990) ص 34.

(4)ألفت الأغا. البث المباشر والهوية الثقافية، تجربة الآسيان، الدراسات الإعلامية.ع 79 (القاهرة: المركز العلمي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والبيئة، 1995) ص 26.

الرقيب، وإن عالمية الثقافة تطرح بظلال قاتمة على الواقع الحضاري للدول الفقيرة، إذ أن عالمية الثقافة تزيد من الانتشار المعلوماتي للدول الغنية مالكة التكنولوجيا [1].

وإزاء العديد من وجهات النظر المتفائلة والمتشائمة بشأن ما يترتب علي ظهور تكنولوجيا جديدة أو حتى بشأن دور الاتصال الجماهيري في المجتمعات البشرية عامة يمكن التمييز بين اتجاهين أو وجهتي نظر يستندان إلى بعد أيديولوجي أولهما يرى أن الثقافة عالمية، والآخر يؤكد على محلية الثقافة، وعلى الرغم من الترابط بين الثقافات فإن الرؤيتين متباعدتين إلى حد بعيد فالاتجاه الأول يلغي فكرة الحواجز الثقافية، فالثقافة من وجهة النظر هذه عبارة عن مخزون جماعي للمعرفة العامة المتداولة بين الشعوب، ولذلك كان التركيز على إلغاء الحواجز بين الثقافات ومن المتوقع أن يكون أنصار هذا الاتجاه من المدافعين عن ضرورة نقل التجارب الغربية إلى الدول الأخرى وهي رؤية تقترب من الرؤية الاقتصادية في التنمية، التي تعرف في علم الاجتماع بنظرية التحديث، التي تؤكد أن الثقافات التقليدية هي العقبة الأساسية في تنمية المجتمعات المختلفة وتحديثها وبالتالي فإن الخروج من هذا المأزق يتطلب تغيير الثقافات التقليدية بمحاكاة النمط الحديث وتبني القيم الغربية وهذا ما يعرف بالاحتكاك الثقافي، أما الاتجاه الثاني: فيرى في الثقافات الأخرى خطراً على ثقافة المجتمع المحلي على أساس أنها تلغي الهوية والتراث، نظراً لعدم التكافؤ وبالتالي إتاحة الفرصة للغزو الثقافي والارتباط بالثقافات الأخرى التي لا تتلاءم معها ومن هنا تأتي فكرة تبعية الثقافات الدنيا للثقافات الكبرى وتنطلق هذه الرؤية من نظرية التبعية التي تؤكد أن التقدم والتخلف وجهان لعملة واحدة ومن ثم فالاحتكاك أو بالأحرى التغلغل الثقافي يؤدي إلى تهميش أبنية المجتمعات الأضعف [2].

(1) عبد الرازق الدليمي. الإعلام والعولمة. ط1 (عمان: مكتبة الرائد، 2004) ص17.

(2) أحمد حجازي. التغريب الثقافي وسوسيولوجيا الاتصال.مجلة القاهرة. ع 116 (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1992) ص60.

وإن التطورات في تكنولوجيا الاتصال قد جددت الحديث عن قضية الحفاظ على الهوية الثقافية والدفاع عن الذاتية الوطنية والقومية في مواجهة ما يسمى بالغزو الثقافي والهيمنة الإعلامية التي تحاولها الدول الكبرى والاحتكارات الضخمة بالاستخدام الأوسع والأكفأ للمعلومات لتكنولوجيا الاتصال وبقدراتها المالية والفنية غير المحدودة وغير القابلة للمنافسة [1].

ولقد آثار الجيل الحالي من الأقمار الصناعية المعروف بأقمار البث التليفزيوني المباشر مخاوف سياسية وثقافية ودينية وحضارية بحكم ما سوف يحمله من مواد تليفزيونية تصل إلى البيوت دون مرور بأي عنصر اختيار أو تحكم أو حذف [2].

تكنولوجيا الاتصال وآليات اختراق الهوية الثقافية العربية:

جسدت تكنولوجيا الاتصال أو الموجة الثالثة على حد تعبير (الفين توفلر Alfen Tofler) احتياجات الإنسان المعاصر، الذي يرتبط بنظام اقتصادي واجتماعي وثقافي جديد، وأن النظام الإعلامي العالمي الجديد ينتج حسب الطلب، منوعاً صور منتجاته مرسلاً عروضاً وأفكاراً ورموزاً مختلفة لشرائح سكانية معينة ولفئات عمرية ومهنية ولمجموعات عرقية أو اجتماعية مستهدفة، ويعد هذا التنوع الجديد والمتطور للإعلام تكتيكا ومضموناً، أمراً ضرورياً [3].

والهوية الثقافية العربية شأنها شأن بقية الهويات في كثير من دول العالم الثالث، لم تسلم من مخاطر هذه التكنولوجيا الإعلامية المتقدمة، ولقد أصبح التوجه الجديد في المجال السياسي والتكنولوجي للعالم الثالث مجهزاً للولايات المتحدة لتستفيد من أدواته الهائلة،

---

(1) صلاح الدين حافظ. حق المعلومات وحرية الرأي (افتتاحية العدد) في: الدراسات الإعلامية،ع 74 (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإعلامية، 1994) ص11.

(2) محمود علم الدين، تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي. مجلة القاهرة، ع116. ص71.

(3) الفين توفلر. تحول السلطة. ترجمة: لبنى الريدي. ج2 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) ص144 - 145.

واستطاعت أن تسلط الأضواء على نماذجها وأيديولوجياتها الثقافية والاقتصادية ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية وتستغله في التجارة الدولية، وأصبحت ثقافة الشعب الأمريكي واتجاهاته هي المسيطر من خلال الفيلم السينمائي والمواد التلفزيونية والاتصالات الالكترونية [1].

كما أن اختراق الهوية الثقافية العربية قد تتم بوسائل متعددة ومنذ زمن طويل، لكن انتشرت هذه العملية في الآونة الأخيرة، ولاسيما بعد تطور تكنولوجيا البث التليفزيوني المباشر، وقدرة الولايات المتحدة من خلال إمكانياتها التكنولوجية والاقتصادية والسياسية على التأثير في نشر ثقافتها وطمس بقية الثقافات العالمية، حتى بدت بوادر أزمة في الهوية الثقافية في دول أوروبا الغربية نفسها، وبدأت مشاكل الأقليات الأجنبية تظهر في كثير من دول العالم وأخذت بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا تجاهر بالقول بضرورة تمييز الثقافة الفرنسية عن الثقافة الأمريكية وتبدي تخوفها من الغزو الثقافي الأمريكي، إذن عملية اختراق الهوية الثقافية العربية ليست وليدة ساعة وغير مقصورة عليها، علاوة على ذلك ساعد البث التليفزيوني المباشر إلى حد كبير في إتمام عملية الاختراق [2].

وهناك خطر آخر اكتسب أبعاداً كبيرة، هو السيطرة الثقافية التي تتخذ شكل الاعتماد على نماذج مستوردة، تعكس قيماً وأساليب حياة غريبة، وتتعرض الذاتية الثقافية للخطر من جراء التأثير الطاغي للأمم القوية على بعض الثقافات القومية واستيعابها رغم أن الأمم صاحبة هذه الثقافات الأخيرة هي وريثة ثقافات أقدم عهداً

(1) Deborah Wheeler, New communication technologies, human rights، development and the defense ofmiddle eastern cultural space، wrl.ulexas. edu/ 'monitors'/ l.l/wheeler /onedocwheeler.htm/

(2) طه نجم. الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الإسكندرية: دار المعرفة، 2005) ص235.

وأكثر ثراءاً، بحيث أن التنوع والتباين هما من أهم خصائص الثقافة وأقيمها فإن العالم بأسره هو الخاسر من جراء هذا [1].

وفي ظل هذا التوجه الأمريكي بشأن استغلال تكنولوجيا الإعلام المتقدمة في فرض توجه ثقافي معين على بقية شعوب العالم، تباينت الآراء بشأن ما يسمى " بالعولمة الثقافية " إذ انبرى بعض الباحثين للدفاع عنها، بينما دافع آخرون عن ضرورة وجود هوية ثقافية تميز كل مجتمع عن الآخر[2].

ومن بين العديد من القضايا الاقتصادية والقانونية والاجتماعية والثقافية التي تناولتها المناقشات الدائرة حول عالمية وسائل الإعلام ثمة موضوعان يفوقان غيرهما في الأهمية: يدور الأول حول موضوع الهوية الثقافية، والثاني يتعلق بالتأكيد على المحلية في الإعلام في مقابل ظاهرة العالمية وهما موضوعان مرتبطان دون شك وربما ترجع أهميتها إلى أن دعاوى الحفاظ على الهوية قد تكون مبرراً لبعض النظم السياسية لفرض سيطرتها وزيادة هيمنتها على وسائل الإعلام، والتحكم فيها إضافة إلى أن قضية الهوية والذاتية الثقافية تثيرا أيضاً الحديث عن دعم نظم الإعلام اللامركزية (محلية وإقليمية) وتطويرها كمحاولة لإبراز تمشي نظام إعلامي معين مع قضايا العالمية [3].

وهنا تبرز قضية الآثار الثقافية المترتبة على التبعية لبلدان الغرب الرأسمالي، ولقد ناقش جلال أمين العديد من الآثار الثقافية التي تترتب على تبعية دول العالم الثالث لدول الغرب الرأسمالي، وذكر أنه تحت شعار تنمية هذه البلاد يتم الغزو لاقتصاديات بلدان العالم الثالث وثقافته وافترض أن القدرة على التمتع بالسلع والخدمات التي يبتدعها مجتمع معين - والتي تصور على أنها غاية التنمية وهدفها - وتقتضي أن يغير المجتمع قيمه وعاداته لتتفق مع قيم وعادات المجتمع الذي ابتدعها، ومن ثم فإن إخضاع المجتمع الفقير

(1) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق، ص114.

(2) عبد القادر الهيتي. ثقافتنا والعولمة، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية (مسقط: بحث غير منشور، 1999) ص2-3.

(3)طارق أحمد. الإعلام المحلي وقضايا المجتمع (الإسكندرية: دار المعرفة، 2004) ص 114.

لاستهلاك سلع معينة قبل أن تتغير قيمه وتقاليده هو أقصر طريق لإجباره على ثقافته وقيمه الخاصة [1].

عولمة الإعلام والحفاظ على الثقافات الوطنية

في ظل العولمة التي تشهدها المجتمعات المعاصرة في كافة المجالات فقد أصبحت قوى العولمة تمارس دورا هاما في فصل الثقافة المشتركة عن المكان، وتشكل تحدياً أولياً للثقافات القومية، ولذلك على العالم العربي أن يتحرك نحو عولمة تتجه إلى اهتماماته الوطنية، وما يشجع هذا الاتجاه أن الصهيونية تسعى لتطوير آلياتها التنظيمية الدولية منذ بداية القرن العشرين فهي تبحث عن طريقة للسيطرة على قنوات الإعلام الدولية من أجل تثبيت مشروع الصهيونية الذي تتبناه، ولذلك يجب على العرب أن يتحركوا بشكل سريع لبناء وحدة إقليمية تستطيع أن تؤثر في الاقتصاد العالمي، فهذه البلدان في حاجة ماسة إلى ذلك، لأن عمليات العولمة مفروضة عليهم والوحدة العربية هي الإطار الأكثر صحة ليس بسبب تراثنا التاريخي والثقافي فقط [2].

والتدفق المحكوم للمضامين الإعلامية والثقافية عبر الحدود الوطنية جعل الحكومة الوطنية بلا قوة وفتح الباب على مصراعيه لقوى الإمبريالية الثقافية، وفي هذا الصدد يدور الجدل حول الآثار الثقافية السلبية لقوى العولمة، والحاجة إلى تبني إجراءات جماعية تؤكد الحقوق الثقافية والسيادة الوطنية على المستوى الدولي [3] .

(1)جلال أمين. تنمية أم تبعية اقتصادية ثقافية (القاهرة: مطبوعات القاهرة. 1983) ص 38 – 39.

(2) www.arab-americans and globalization, Arabs, houda gammal abdula Nasser alhewar.com/hganasser.htm.1999,pp:2.

(3) Calabresse. A, (1999) "communication and the end of sovereignty? " Info: The journal of policy, Regulation. And Strategy for

(4)Telecommunications,1

والعولمة تمثل تهديداً للذاتية الثقافية للأمم والشعوب، والذاتية الثقافية ليس تراثاً جامداً ولا مجرد مجموعة من التقاليد، بل هي دينامية داخلية، وهي عملية إبداع مستمر للمجتمع بموارده الذاتية تغذيها التنوعات الداخلية القائمة بصورة واعية مقصودة، وتقبل الإسهامات الآتية من الخارج باستيعابها وبتحويلها عند الحاجة [1].

والهجوم الثقافي على المحيط العربي كان أولاً باتجاه الموروث الثقافي العربي عبر استهداف القاعدتين المرجعتين الأساسيتين في تشكيل خلفية الثقافة والمثقف العربي، وهما مرجعية الفكر الإسلامي ومرجعية الثقافة المحلية والقومية، وتفاعلاتهما وأطروحاتهما الإيديولوجية وثانياً نحو المثقف ذاته وفي إطار تعطيل دور النخب الثقافية في بناء ثقافة عربية مستقلة وتسويق فكرة عزل المثقف عن السياسة، وإبقائه في صومعة البحث والتأليف، وانكفائه عن الارتباط بالقضايا الرئيسية في حياة شعبه وإفراغ مفهوم الثقافة، من كونها ناتجاً إنسانياً إبداعياً إلى ناتج مبسط مفرغ من محتواه المعزز المدعم بالقيم، وبالتالي إشغال المثقف بوظيفة الثقافة وليس بمضمونها وأهدافها [2].

ومع أن كلمة العولمة أصبحت تكرر في كل اللقاءات العربية على كل المستويات ومعها الإعلان عن خطط وأفكار لمواجهة مخاطر العولمة على الهوية والثقافة العربية، إلا أنه لم يظهر وجود مشروع واحد يدل على الرغبة أو القدرة على مواجهة مخاطر العولمة، فإن مظاهر التبعية الإعلامية تزداد في الإعلام العربي عموماً، وتجد أن الحضور الغالب في وسائل الإعلام العربية للثقافة الأمريكية وأن النظام العالمي الجديد في السياسة القائم على هيمنة القطب الواحد، هو ذاته النظام الاقتصادي العالمي الجديد، والنظام الإعلامي العالمي الجديد وكلها وجوه لحقيقة واحدة وفي الوقت نفسه فان التباكي مستمر على انهيار نظام القيم والأخلاق العربية ضعف الثقافة العربية وتراجع اللغة العربية،

---

(1)سعيد نجيده. العولمة وحرية الإعلام (القاهرة: ظافر، 2002) ص158.

(2)صباح ياسين. الإعلام والنسق القيمي وهيمنة القوة. ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006) ص60.

والشكوى من انتشار الولاءات خارج الأوطان العربية وتقليد الأجيال الجديدة من الشباب للسلوك وأسلوب الحياة والتفكير الأمريكي وانتشار العنف على الطريقة الأمريكية التي تؤمن بأن القوة هي الوسيلة الوحيدة لحل النزاعات على أي مستوى بين الأفراد أو بين الجماعات وأن كل فرد عليه أن يكون مستعداً لحماية نفسه وفرض إرادته على الجميع [1].

وعولمة الإعلام تتيح للعرب منفذاً ولو محدوداً للاستفادة، وربما المشاركة في ثورة تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلوماتية، كذلك فإن كثرة وتعدد وسائل الإعلام ونفاذها عبر الحدود السياسية للدول، وتوافر تطبيقات الوسائط المتعددة (Multi Media) قد يقلل من قدرة الإعلام المحلي على إخفاء الحقائق والهيمنة السياسية وتزيف وعي مواطنيه، كما أن انتشار تكنولوجيا الاتصال قد يدعم من التنوع الثقافي داخل الثقافة العربية، حيث سيتيح فرصاً أفضل لكل الجماعات والثقافات الفرعية في إطار الأمة العربية ضمن الالتزام بالهوية الثقافية [2].

والغزو الثقافي الإعلامي ظاهرة العصر لما له القدرة على التأثير لا سيما أنه يخضع لدراسات علمية وميدانية تحدد أسرع الطرق وأقواها للتأثير وإن كانت هذه الدراسات تتخذ مظهراً علمياً إلا أنها تهدف في أغلب الأحيان إلى بحث أفضل الطرق لتزييف عقل الإنسان في اتجاهات مرسومة وتسير عملية التزييف في طريقين [3]: الأول تجاري هدفه ترويج السلع بأنواعها مما نشط شركات الإعلام والثاني سياسي حيث تسيطر النظم الحاكمة على الإعلام وتوجهه لخدمة أهدافها وإن تنافت مع مقومات الطريق السليم.

---

(1)محمد مهنا. مرجع سابق، ص 451.

(2)أسعد ملي. مسألة الهوية في عصر العولمة الإعلامية. في كتاب: الدكتورة حكمت أبو زيد من القرية إلى الوزارة: دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي. تحرير: علي المكاوي (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية 2008) ص215.

(3) فؤاد زكريا. التفكير العلمي. ع3 (الكويت: عالم المعرفة، 1978) ص112.

ولا شك أن التدفق الذي يصل في كثير من الأحيان إلى 60% ويزيد ويؤثر على الذاتية الثقافية ويختلف في المضمون من خلال عرض مضمون مختلف عن المضمون المحلي ويعكس قيما تختلف عن القيم القومية ويتيح لأنماط الثقافة الأخرى على حسب الثقافة القومية وتنبهت الدول النامية لهذه الحقيقة تجاه عقد المؤتمرات بحثاً عن نظام إعلامي جديد وآخر يصوغ عملية التبادل المنظم في البرامج وفي هذا أكدت اليونسكو على تأكيد الذاتية الثقافية على أنه عامل مهم على حد سواء فهي عامل تحرير للأمم في المقام الأول ومن ثم تبدو مبرر للحركات الاستقلالية ومقاومة الاستعمار [1].

ويتأثر التراث بالعولمة كما هو الحال في المجال السياسي والاقتصادي منذ فترة مما يتطلب اتخاذ إجراءات وسياسات وطنية واضحة لمواجهة المشاريع التي تقوم على التغيير في الإستراتيجية المحلية إلى العولمة في مجال التراث، الذي يعد الوسيلة الأساسية التي يمكن من خلالها تحقيق البناء الوطني في ظل مزاحمة ومنافسة العولمة [2].

الحفاظ على الهوية الثقافية العربية

ويتطلب الحفاظ على الهوية الثقافية العربية ضرورة إنشاء مراكز للدراسات والوثائق وجمع الموروث الشفوي أو المخطوطات القديمة وإنشاء المكتبات ومراكز القراءة ودور الثقافة وقاعات العروض الموسيقية والمسرحية وتنمية صناعة الكتاب ونشره، وتعزيز الصناعات السينمائية والتوسع في نشر المطبوعات، وأخيراً إنشاء مؤسسات أو صناديق خاصة من أجل تمويل الفنون والبحوث. كما أن حماية الهوية الثقافية أو ممارستها

---

(1) سهير بركات. مرجع سابق، ص90.

(2)AL-Sayyad, Nezar (2001) global norms and urban forms in the age of tourism: manufacturing heritage, consuming tradition. in consuming tradition, manufacturing heritage: global norms and urban forms in the age of tourism NewYork: Routledge, pp, 1-33.

في عصر المعلومات أصبحت أمراً صعباً للغاية، ولا سيما في ظـل تـدفق البيانـات والمعلومـات، التي أصبحت تنفذ الحدود [1].

ولمواجهة الاكتساح الإعلامي العولمي يجب تنمية الحس الجـمالي الصـائب مـن خـلال التأكيد على خصوصية الروح القومية وميراثها المتطاول في الآداب والفنون والعمارة والتشكيل والموسيقى والغناء والشعر والأدب وغيرها، وإبراز الجوانب المشعة في هذه المسيرة [2].

والثقافة الحية والمتجددة المقرونة بالفكر الناضج الـواعي تعـد هـي العامـل الـرئيسي والأساس والمنهج المتكامل لعلاج وحـل مـا يواجـه المجتمـع الإنسـاني مـن مشـكلات متعـددة ومتراكمة عبر تاريخه الطويل، فإذا كانت الثقافة ضرورية في الحالة الوظيفية الطبيعيـة لسـير حركة المجتمع واستقراره وثباته النسبي، فإنها دون أدنى شك تكـون بالغـة الضرورة والأهميـة في مراحل التطور والانطلاق والتغير المقصود التي يمر بها المجتمع [3].

وقد أكـد معظـم البـاحثين أهميـة الثقافـة وفاعليتهـا في المجتمـع، وضرورة الاهـتمام بالقيم والعادات التي تساعد على تنمية المجتمع وإهمال القيم السلبية، وأكدوا أيضاً أن كـل هذا يتم من خـلال عامـل واحـد هـو الإعـلام ووسـائله المختلفـة، فالثقافـة والإنتـاج المـادي وجهان مختلفان لعملة واحدة أي أن الثقافة هي عبارة عن الجزء النظري الذي يمد الإنتـاج بالقوانين والنظريات والأفكار وهناك رأيان في الدور الثقافي لوسائل الاتصال الجماهيرية، أولهما يرى أن هذه الوسائل هبطت بمستوى الإنتاج الثقافي والأعـمال الفنيـة والفكريـة التي يحتاج إليها المجتمع وثانيهما يـرى أن هـذه الوسـائل قـدمت خـدمات جليلـة في

---

(1)سعيد سلمان. مرجع سابق، ص 27.

(2) ماجد يوسف. العولمة والإعلام والثقافة في العـالم الثالـث. في: مجلـة الفـن الإذاعـي. ع 180 (القـاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، أكتوبر 2005) ص117.

(3) محمد إبراهيم. الثقافة والشخصية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2009) ص 183-184.

مجال نشر الثقافات وترويج الأعمال الفنية التي ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه من الذيوع والانتشار لو لم تقدم من خلال وسائل الإعلام [1].

ولتحديد هويتنا الثقافية تحديداً دقيقاً، يجب التركيز على إبراز تراثنا والتحقق فيه لنشل أعمال الفنانين والمهندسين المعماريين والموسيقين والكتاب والعلماء، وانتشال الأعمال المادية وغير المادية المعبرة عن قدرات أجدادنا الإبداعية مثل اللغات بما فيها من ترجمة وتفسير وآداب ومثل الآثار التاريخية التي تركوها في مختلف المجالات، ويجب أن نقتنع بأن الذاتية الثقافية والواضحة والمتميزة هي المنطلق الأساسي للعطاء الثقافي والمشاركة الايجابية والتعاون البناء المستمر، علماً بأن تحديد هذه الهوية سيسهل علينا عملية الممارسة الكاملة للسيادة على وطننا ويدفعنا لرفض العزلة والتسلط الاستعماري، ولتحقيق هذا الهدف هناك عدة اعتبارات أساسية يجب مراعاتها هي [2]:

- رعاية المفكرين والمبدعين وتأكيد مكانتهم في المجتمع وتذليل ما يعوقهم من مصاعب.
- تعاون أجهزة الثقافة والتعليم والإعلام والتقنية في الدول العربية لدراسة هذه الهوية وإخراجها إلى حيز الوجود.
- توفير الأمن الثقافي الدائم من خلال إيجاد حالة من الاكتفاء الذاتي عن طريق إيجاد مراكز البحث ومصادر الدراسات ووسائل النشر وتوفير مصادر التمويل الخاصة بمشروعات التنمية الثقافية وتوضيح الهوية الثقافية.

ويشهد استقراء التاريخ بأن الأمم التي تشرع في النهوض من كبوتها تبدأ أولا بإحياء تراثها وتراث الحضارات المتصلة بها، هكذا فعل العرب في عصر النهضة الإسلامية وهكذا فعل الغربيين في عصر النهضة الأوروبية، حتى في عصرنا الحاضر تحرص جامعات الدول المتقدمة على تدريس تاريخ العلوم وفلسفتها وتضم العديد من

(1) علي عجوة. مرجع سابق،ص157.

(2)سعيد سلمان. مرجع سابق، ص 24 – 27.

المستشرقين والمؤرخين لما عرفنا شيئا عن إسهام أسلافنا في تقدم العلوم الطبيعية الأساسية مـن كيمياء وفيزياء ونبـات وحيـوان وفلـك وتطبيقاتهـا في الهندسـة والطـب والزراعـة والتعـدين وغيرها [1].

والحفاظ على الذاتية الثقافية عملية تتيح للمجتمـع أن يتغـير ويتطـور دون أن يفقـد هويته الأصلية وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيـه، إنـه التفاعـل بـين الأصـالة والتجديـد، وتأكيد الذاتية الثقافية لا ينفصل عـن القـيم المرتبطـة بـالتراث وإحيائـه عـلى أن يكـون هـذا العمل مرتبطاً بالفعل الإبـداعي ومنطلقـاً للثقافـة الحيـة ومنبعـاً لتجديـد مسـتمر لإبداعيـة تتغذى من كل أشكال الثقافة الذاتية الموروثة ولقد حاولت بعض الدول إقامة اسـتراتيجيات إعلامية تؤكد هويتها الثقافية وسنغافورة على سبيل المثـال: تقـود تيـاراً يؤكـد أهميـة وجـود منظور آسيوي في الساحة العالمية ويرتكز على القيم الآسيوية في وسائل الإعلام [2].

ويناط بالإعلام العربي أيضاً حمايـة خصوصـية الثقافـة العربيـة في ظـل جهـود تنمـيط الثقافة العالمية في عصر العولمة، من خلال التأكيد على إيجابيـات الثقافـة العربيـة، والثوابـت القوية التي تعتمد عليها، ودورها في حمايـة الـتراث والحضـارة العربيـة، ودورهـا في اسـتقرار القيم التي تحمي الشباب العربي من الانبهار بالقيم الشكلية والمادية التي تروج لها الثقافات الوافدة [3].

وقد حاول الكاتب الإيراني المعاصر بهرام بيضائي أن يتواصل مع الـتراث وأن يعـبر عن قضايا مجتمعه وموقفـه منهـا، وقـد شـغلته قضـية العدالـة والحريـة بصـفة خاصـة وحرص أن يظهر أهمية العلم بصفة عامة وعدد فوائده في ثنايا قصـة كتبهـا عـلى لسـان

(1) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق،ص190.

(2)الفت أغا. البث المباشر والهوية الثقافة. دراسات إعلامية، ابريل - يونيو 1995، ص10.

(3) عادل عبد الغفار. الإعلام العربي في مواجهة قيم العولمة. رؤية مستقبلية. في: مجلـة الفـن الإذاعـي. ع 187 (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، يوليو 2007) ص39.

الشخصية الأساسية وهي شخصية الملك جمشيد الذي بث على لسانها الكثير من الخصال التي يجب أن يتميز بها الحاكم العادل، كالاهتمام بأحوال الرعية وتخفيف آلامهم وحل مشكلاتهم[1].

وإن تأكيد الذاتية الثقافية لكل شعب من الشعوب سواء كان يتمتع بالسيادة أم لا سواء كان من الدول الكبرى أو غيرها أو لديه فائض من المواد والإمكانيات أو ما يزال نامياً هو مطلب حتمي على أساس من المساواة والعدالة والكرامة ولأن الذاتية هي تحقيق الشخصية المتكاملة والقادرة على العطاء والتفاعل مع الثقافات الأخرى، وإذا كانت الثقافة كحقيقة سلوكية تنبع من مدركات ذاتية جماعية،تترسب فيها الخبرة التاريخية والقيم الدينية والوجدان الجماعي في إطار واحد ومتكامل[2].

وخطاب الهوية يتفاوت في خصوصياته من موقع لآخر، فللعرب خصوصياتهم التي يبرزونها أما الآخر الغربي.. وللغرب القديم (أوروبا) خصوصياته أما الغرب الحديث (أمريكا) يخشى على هويته من الأمركة، وداخل الغرب القديم نفسه هناك خصوصيات، فالفرنسيون أغلبهم يخشون على هويتهم من الهوية الأوروبية [3].

و تبرز أمامنا شروط المواجهة الفعالة للغزو والاختراق الثقافي ويتصدرها ضرورة الاستفادة من الجوانب للتراث في إطار الدراسة النقدية للتاريخ الثقافي للوطن العربي وتوظيف هذه الجوانب في إطار مشروع حضاري يستند إلى بنى اقتصادية واجتماعية مناهضة تماما للبنى التقليدية السائدة حالياً ولا يتحقق ذلك إلا بنشر العقلانية كإطار فكري وكأسلوب للعمل والعلاقات السياسية بين الحكام والشعوب والعلاقات

---

(1)فاطمة نبهان. ثقافة التواصل مع التراث: بهرام بيضائي نموذجاً، حرره: عفت الشرقاوي. ثقافة التواصل في عصر العولمةرؤية عربية. ط1 (القاهرة: دار العلوم، 2008) ص249.

(2) سعيد لبيب. مرجع سابق، ص403.

(3) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. أعمال المؤتمر الدولي السادس (البحرين: مركز الدراسات العربي الأوروبي، 1998) ص74.

الاجتماعية بين الأفراد وبين الدول العربية على المستوى القومي ثم مع العالم الخارجي على المستوى العالمي[1]، وإن الهوية العربية المهددة من الآخر في وجودها الجغرافي والثقافي والنفسي ويتجسد الآخر لدى هذه الهوية بعدد من التحديات [2]:

التحدي الماثل لإسرائيل واحتلالها لأراضٍ فلسطينية وعربية، ومجابهتها المسلحة لشعب أعزل وتهديدها الدائم للمحيط العربي، وثانيها التحدي السياسي والاقتصادي والعسكري الذي فرضته قوى الغرب المهيمنة على العالم منذ الحرب العالمية الأولى، وثالثها التحدي الثقافي الحضاري الذي تفرضه اليوم عوامل نزع هويات مجتمعات الجنوب وإلحاقها بمعايير كونية في شكلها وأمريكية في جوهرها.

ويبقى البعد الأكثر ضراوة في المواجهة الثقافية ويعنى به التحدي الاستيطاني الصهيوني وتهديده المستمر للوجود والعقل العربي من خلال الترويج لما يسمى ب " ثقافة التطبيع " وقد عني العمل القومي العربي بمواجهة خطر التطبيع الثقافي الصهيوني عقب بدء التطبيع الرسمي بين مصر وإسرائيل وتمثل ذلك في عدة مؤتمرات أبرزها مؤتمر دمشق (يونيو1998) الذي شاركت فيه وفود (16دولة عربية) عدا الجامعة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد أصدر المؤتمر (31) توصية لمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني باعتباره جزءاً من مخطط إمبريالي صهيوني معادٍ للأمة العربية ولحركة الثورة العربية، وأوصى المؤتمر بضرورة تقديم كافة أشكال المساندة والدعم للهيئات الثقافية والنقابات والشخصيات الثقافية المصرية التي تنتهج خطاً وطنياً معادياً للصهيونية وأكد على ضرورة تشجيع ونشر وتوزيع نتائج العلماء والكتاب والمثقفين المصريين المؤكد لعروبة مصر المتعلق بمقاومة الغزو الثقافي الصهيوني، كما أوصى المؤتمر بدعم المؤسسات الثقافية والعلمية الفلسطينية داخل وخارج الأرض المحتلة واتخاذ الإجراءات العلمية الكفيلة بحماية التراث الشعبي الفلسطيني والآثار الفلسطينية وخاصة بمدينة القدس ولدعم

---

(1) عواطف عبد الرحمن. 1997. مرجع سابق، ص48.

(2) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق، ص75.

مؤسسات النشر الوطنية في فلسطين المحتلة ولقد بدأت تتبلور وتتصاعد المبادرات الشعبية لمواجهة التطبيع في مصر وفي مناطق متعددة من الوطن العربي، وكانت أبرز آليات العمل الشعبي لكشف المخطط الإسرائيلي للتطبيع واستجابات النظم العربية، وقد خاض المثقفون العرب المواجهة على عدة جبهات أهمها مواجهة فكرة التطبيع والتصدي لمحاولات ترويج ما يسمى" بثقافة التطبيع " [1].

وينبغي على القائمين على الإعلام الإسلامي ضرورة وضع الخطط المدروسة لإنتاج البرامج التي تجذب الأجيال الجديدة وتوجيههم التوجيه السليم، ولا تحرمهم في الوقت نفسه من الاستمتاع بالفنون الراقية في كافة المجالات وأن تتميز هذه البرامج بالتنوع والمصداقية، وهذا يقتضي إعطاء أهمية كبيرة لتدريب الكوادر الإعلامية والفنية لتواكب معلومات وأساليب أحدث ما في العصر من وسائل الجذب والإبهار والسعي إلى امتلاك وإنشاء الشبكات الخاصة بالعالم العربي والإسلامي وإمدادها بهذه الكوادر المدربة لتستطيع المنافسة بين الشبكات العالمية، وبما يلاءم عادات وتقاليد الإسلام الحنيف وفي نفس الوقت التعرف على مجالات المعرفة الثقافية العالمية التي تعرض عبر الأقمار الصناعية[2].

مكانة الهوية العربية في العالم العربي

سؤال تجيب عليه طبيعة الإعلام العربي ومعالمه، فهو إعلام عاجز عن أن يرسخ بشكل مقنع القيم التي تؤكد وحدة الثقافة وتلاحم المجتمع وقوة المثل والأبعاد التاريخية المشتركة للمنطقة، هذا على الرغم من أن قضايا الهوية تطرح نفسها يومياً وبإلحاح في المنطقة من خلال المواجهات مع الآخر المتمثلة في مخلفات عقود الاستعمار الماضية ووجود إسرائيل ومظاهر التخلف في الحاضر وتحديات العولمة ومحاولات طمس الهويات بشكل سافر بكل الوسائل.

---

(1) عواطف عبد الرحمن. 1997. مرجع سابق، ص48-49.

(2)محمد مهنا. مرجع سابق، ص 293.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن قضايا الهوية في المنطقة تتضمن أبعاداً وانتماءات متعـددة ومتداخلة وهذا الجانب يمكن أن يكون عنصر قوة لو كانت المنطقة في حالة نهـوض وتطـور كما يمكن أن يكون مصدر ارتباك وتشويش في حالـة الضـعف والتراجـع، ومـما يؤسـف لـه أن التيار السائد في الإعلام العربي اليوم هو تيار الاستسلام للإعلام الغربي، واستهلاك منتجاته يتم ذلك عن وعي أو عدم وعي على حساب قضية أساسية هي الحفاظ على الأصالة وبناء الذاتية والعمل على المساهمة في التنمية الوطنية بشكل مدروس وفعـال، وقضـية الهويـة التـي تـبرز على السطح أكثر من أي وقت مضى بسبب التحديات التي تواجهها الذات العربية، وقد تعود هذه الهوية إلى سكينتها عندما تهدأ التحديات بشكل يبعد مخاطرها، وتبقى القضية المركزية لهذه الهوية هي الحفاظ على الذات ماثلة في الواقع الثقافي العربي وتجسد تطلعات الأمة [(1)].

الإعلام والهوية الثقافية العربية

وتتمثل قوة وقـدرة الإعـلام وأجهزتـه عـلى الوصـول إلى مختلـف فئـات المجتمـع وفي القدرة على احتلال مساحات واسعة مـن وقـت الإنسـان المسـتهدف بالرسـائل الإعلاميـة وفي القدرة على تشكيل الرأي العام والإسهام الفعلي في تكوينـه مـن خـلال الإلحـاح عـلى الفكـرة وتكرارها وتقديمها بوسائل وأساليب قادرة على غرس الفكرة وتثبيتها، وهي القـدرة الإقناعيـة التي توظف من أجلها إمكانيات تقنيـة كبـيرة في الصـوت والصـورة والحركـة خاصـة بالنسـبة للإذاعة المسموعة والمرئية وفي القدرة على مخاطبة الفئـات العمريـة وخاصـة الناشـئة الـذين تستطيع الوسائل الإعلامية التأثير فيهم [(2)].

وحيث أننا نبحث عن دور الثقافة العربية في الإعلام العربي، فلن يصيبنا الدهشـة عند اكتشاف تأثر ثقافتنا وإعلامنـا عـلى حـد سـواء بـالاختراق الثقـافي والإعلامـي الغـربي لمنطقتنا العربية حيث يمارس هذا الاختراق دوره المهدد لهويتنـا، ووسـيلته في ذلـك هـي

---

(1) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق، ص75.

(2) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق، ص45.

السيطرة على الإدراك وهي الصورة السمعية والبصرية التي تسعى إلى " تسطيح الوعي " وجعله مرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري مثير للإدراك وانطلاقاً منها ويتم إخضاع النفوس وتعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق وقولبة السلوك والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع تشكل في مجموعها ما يمكن أن نطلق علي " ثقافة الاختراق "[(1)].

ويناط بالإعلام العربي حماية خصوصية الثقافة العربية في ظل جهود تنميط الثقافة العالمية في عصر العولمة، من خلال التأكيد على إيجابيات الثقافة العربية، والثوابت القوية التي تعتمد عليها ودورها في حماية التراث والحضارة العربية، ودورها في استقرار القيم التي تحمي الشباب العربي من الانبهار بالقيم الشكلية والمادية التي تروج لها الثقافات الوافدة[(2)].

وإن الإعلام مطالب بالجدية فيما يطرحه من القضايا وما يقدمه من البرامج التي تساهم في إثراء الواقع الثقافي، وتناقش المسائل الحيوية بطريقة تجعل الإنسان عضواً أساسياً في المجتمع قائماً بدوره ومسؤولياته بعيداً عن الاهتزاز والضعف والتقوقع، وبتشجيع الإبداع والإشادة به وتوفير المناخات اللازمة لنمائه وتطويره، لأن في ذلك طريق الاعتزاز بالقدرات الذاتية وعدم الاعتماد على الغير والاعتزاز بطاقات المجتمع والثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية اللازمة وكذلك الحرص على مواكبة ثورة المعلومات التي يشهدها عصرنا الحاضر، لأننا لا نستطيع أن نكون وجهة نظر خاصة أو نعلن رأياً أو نؤكد موقفاً معيناً دون الحصول على كم المعلومات المناسبة للإنسان عبر وسائل الاتصال نفسها.

---

(1) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل . مرجع سابق، ص76.

(2) عادل عبد الغفار. الإعلام العربي في مواجهة قيم العولمة: رؤية مستقبلية. في: مجلة الفن الإذاعي. ع187 (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، يوليو 2007) ص39.

والإعلام مطالب بتشجيع النتاجات المحلية والعربية التي تتفق مع ما ندعو إليه في أدبياتنا من أننا ننطلق من أسس ثابتة لشخصية عربية إسلامية ذات مقومات ثقافية معلومة، وذلك تخفيفاً من حدة النتاجات المستوردة التي مهما كان الضبط لمراقبتها إلا أنه يتسلل عبرها الكثير مما يخالف قيمنا وعاداتنا، وإذا كانت بعض الدول الكبرى تقول إنها تخشى على ثقافتها وشخصيتها الوطنية من خطر الإعلام الوافد عليها من دول أخرى وثقافات مغايرة، وذلك بعد أن تيسرت للإعلام أجهزة غاية في التطور والتعقيد، وأصبح بالإمكان التقاط البرامج بشكل مباشر من بلدان بعيدة بواسطة الأقمار الصناعية، فماذا تقول بلادنا العربية التي تعيش في داخلها هموماً ثقافية عديدة لعل بعضها يتمثل بضعف اللغة العربية وما تتعرض له هذه اللغة من إهمال وازدراء وتأثيرات سلبية وعدم الولاء لها من قبل فريق من المتعلمين، بالإضافة إلى التشجيع الذي تلاقيه اللهجات العامية المحلية سواء في الجامعات والمعاهد أو في وسائل الإعلام، علماً بأن هذه العاميات كانت دائماً وليدة الشتات والتمزق بينما اللغة العربية الفصحى كانت وستظل أداة النهضة الثقافية للأمة العربية [1].

إن هامش تناول الإعلام العربي لقضايا الهوية والثقافة محدودة جداً ويفتقر إلى التنسيق والتخطيط ولا ينتج مادة إعلامية أصيلة معبرة عن الواقع العربي المعاش وعن تطلعات العرب الثقافية والاجتماعية السياسية الاقتصادية الإستراتيجية، ولاحظنا أن الفروق الشاسعة ما بين قدرات الإعلام الغربي لتلبية الاحتياجات التي تتطلبها الدول المتقدمة تقابلها محدودية قدرات الإعلام العربي على تنفيذ قدر معقول من الاستقلالية الإعلامية لتلبية الاحتياجات المحلية الوطنية الرامية إلى أحداث التغيير الاجتماعي ليكون في خدمة التنمية الوطنية[2].

(1) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق، ص47.

(2) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق، ص77.

إن المثقف العربي هو منتج ومستهلك لمضمون وسائل الإعلام، ومن هنا فان دوره ينجم عن هذا الواقع فهو يكتب لوسائل الإعلام ويقرا أو يسمع أو يشاهد ما تقدمه وسائل الإعلام وكلا الدورين يحتاجان منه إلى الالتزام بثوابت الثقافة، وتحتاج منه أن يعبر عن التحديات سواء فيها يكتب أو يعبر أو يبدع، ولكي يكون دوره في المجال الإعلامي فانه لا بد أن ينتهج ما يلي [1]:

1- التفتح والحوار: وذلك بأن يكون مستعدا لتلقي الآراء المختلفة سواء اتفق معها أو اختلف ومن ثم أن يكون قادرا أو قابلا لان يفتح الحوار حولها بصدر رحب.
2- النقد والنقد الذاتي: على المثقف أن يمتلك القدرة والاستعداد لإبداء أرائه بصراحة وانتقاد ما يراه ضروريا من أجل مجابهة التحديات وعليه أيضا أن يمتلك الجرأة لممارسة النقد الذاتي وحينما يدرك أن مواقفه أو أفكاره لم تكن صائبة.
3- الشجاعة الأدبية والتعبير عن الرأي: أن النقد والنقد الذاتي لا يمكن أن يتحقق إذا لم يمتلك المثقف الشجاعة الأدبية والقدرة على التعبير عن الرأي مع تحمل المسؤولية.
4- الموضوعية والأمانة العلمية: إن من أهم مستلزمات التعبير أن يلتزم المثقف بالصدق والأمانة العلمية والقدرة على عرض جوانب القضية التي يطرحها لتجرد من المصالح الذاتية وبعيدا عن التحيز والهوى والالتزام بالحقيقة والموضوعية مهما كان ثمن ذلك الالتزام.

(1) صالح أبو أصبع. مرجع سابق، ص195.

دور وسائل الإعلام في تزييف الحقائق وتزييف الوعي

لوسائل الإعلام مهمات أساسية تتمثل في نقل ونشر الأفكار والمعلومات لأن بعض وسائل الإعلام في الوطن العربي تسيطر عليها الأنظمة أو تسيطر عليها فئات ذات مصالح مرتبطة بهذه الأنظمة فإن من مصالحها الحد من نشر المعلومات وتدولها ونشر الأفكار المختلفة والحوار حولها وتتستر في ذلك تحت شعار حماية الثقافة (الوطنية - القطرية) وضرورة الالتزام بالخصوصية الثقافية وحماية التعليم والتراث وغير ذلك من الشعارات وهذا الأسلوب يؤدي إلى أن يلعب الرقيب الخارجي والرقيب الذاتي الكاتب نفسه دورا أساسيا في وضع الخطوط الحمر التي لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن القضايا الحية الأساسية التي تحدثنا عنها، ولذلك فان أي مراقب لوسائل الإعلام الجماهيري يمكن أن يلحظ الدور الترفيهي المتميز لهذه الوسائل ويلاحظ كذلك حجم ما يقدم من برامج أجنبية في التلفاز تؤدي بالمواطن إلى السلبية والانعزال والى خلق أنماط من السلوك الغربية في المجتمعات العربية وأن تقديم نماذج غربية تمثل التفوق الأسطوري وتخلق ثقافة الاغتراب والعزلة وتسهم إسهاماً كبيراً في صنع النمط الاستهلاكي كسلوك مهم عند الناس ولا شك أن هناك مجموعة من الأساليب التي تزيف بها وسائل الإعلام الحقيقية، وكما استوردنا معدات وسائل الاتصال الجماهيري فإننا استوردنا كذلك معها أنماط تزييفية للحقيقة [1].

تأثير البث التلفزيوني المباشر في الهوية الثقافية:

ظهر التأثير التراكمي للتلفزيون ومخرجاته على اختلاف أنواعها وقوالبها ومضامينها، مما أدى إلى تضاعف وظائف التلفزيون على المستوى الأفراد والمجتمعات والأنظمة وتنوع وعمق تأثيره على المشاهدين على مستوى المعرفة والاتجاهات والسلوك، وتعدد الوظائف المتعارف عليها من قبل (الإخبار والترفيه والتوجيه الإعلان) لتمتد

(1) صالح أبو أصبع. مرجع سابق، ص191-192.

وظائف التليفزيون ذك الجهاز الصغير الحجم الكبير التأثير وخاصة الفضائي والمتخصص منه ليشمل التأثير في تشكيل الأفكار وتوجيه وتكوين الاتجاهات وتشكيل السلوكيات واختيار نماذج القدوة وتحديد أولويات الاهتمام على مستوى القضايا والأحداث فضلاً عن نقل التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال وعبر الثقافات [1].

وقد أصبح التلفزيون متخطياً الحواجز الجغرافية، حيث أصبحت المحطة التلفزيونية الفضائية بكامل إرسالها في متناول المشاهد العادي بعد أن كان الأمر مقصوراً على نوعيات من الإنتاج تشتريها المحطات المحلية أو تهدي إليها أو تتبادلها، ومن ثم بدأت تأخذ ظاهرة البث التلفزيوني المباشر مكانة هامة بين الباحثين والمتخصصين، إذ يرى بعضهم أن تأثيره على المشاهد العربي قد يكون إيجابياً وسلبياً، فمن الآثار الإيجابية أنه يجدد الثقافة الوطنية الراكدة في بعض الأحيان بتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة تتعلق بالإبداع والأداء الرفيع والإيقاع السريع من تشجيع التبادل الحضاري ونشر التسامح الثقافي بين الأمم والشعوب، وكذلك يساهم في تطوير وسائل الاتصال المحلية وبخاصة التلفزيون، إذ تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها، ومن إيجابيات البث المباشر أيضاً اختفاء فكرة السيادة الإعلامية التي كانت تتمسك بها الدول، الأمر الذي سوف يثير قلق الحكومات الاستبدادية والنظم العنصرية [2].

وما أسفرت عنه مجموعة البحوث الميدانية المقارنة التي أجراها اتحاد إذاعات الدول العربية حول الانعكاسات الثقافية والاجتماعية للبث الأجنبي المباشر، وأن المقارنة بين الإنتاج الوطني والإنتاج الغربي غالباً ما يكون لصالح الأخير، فهو مزود العينة بالمعلومات وهو مصدر إطلاعها على المكتسبات العلمية والتقنية وهو قبل كل شي إعلام جذاب، واضح، مؤثر يتمتع بمصداقية واضحة وهي صفة لا يحظى بها الإعلام الوطني العربي، لأنه إعلام بعيد عن المجتمع، ضعيف من حيث مضامينه وتقنياته ويعرض

(1) منى الحديدي وشريف اللبان. مرجع سابق، ص213.

(2) طه نجم. 2005. مرجع سابق، ص21.

مضامين غير جذابة وغير مقنعة بحكم انعزاله عن الواقع، وإعلام غير متلائم مع احتياجات الشباب وتطلعاته ويفتقد شرط الإبداع والحرية، ولذلك تجمع العينة على تأثرها بالنماذج الحضارية الغربية ورغبتها في تغيير واقعها تأثراً بالنماذج الإعلامية الغربية [1].

والبث التليفزيوني المباشر فيه من المظاهر الإيجابية التي لو استغلت الاستغلال الأمثل لنهضت الأمة واستعادت مكانتها ولحقت بالتقدم العلمي، وفي الوقت نفسه فيه من المظاهر السلبية والتي لو لم يتم مواجهتها بحزم لضاعت هوية الأمة وذابت ثقافتها بين الثقافات الوافدة علاوة على ذلك تبقى حقيقة هامة وهي أنه أصبح ضرورة تمليها ظروف العصر، إذ لا يستطيع الفرد أن يعيش في عزلة عن العالم لكن ما يجب أن نفعله تجاه هذا الخطر الداهم هو تصحيح الطريقة التي نعامله بها كما فعلت الصين واليابان وحافظتا على هويتهما الثقافية، بالإضافة إلى رسم سياسة إعلامية مشتركة تضع الخطط والمبادئ لمعاملة هذه الظاهرة، وإذا بدأت الأمة العربية مجتمعة في تنفيذ مثل هذه الإجراءات سوف تكون النتيجة عظيمة، لأن ما يميز هويتنا الثقافية أن لها جذوراً مستمدة قواعدها من الدين الإسلامي [2].

ومن ضمن سلبيات البث الفضائي العربي ابتعاد القنوات الفضائية العربية عن الهوية العربية الإسلامية وانغماسها في تقليد القنوات الغربية بما تقدمه من الكليبات المصورة والبرامج الواقعية التي تقدم نسخاً عربية شبيهة لبرامج الواقع الغربية والتي تثير جدلاً واسعاً من حيث تأثيرها على أخلاقيات الشباب العربي وقيمه الثقافية وبما يدعم مفهوم العولمة ويضعف الانتماء للحضارة العربية والإسلامية [3].

وتشكيل العقول والتلاعب باتجاهات الرأي العام وتوجيه رغبات الناس بما يوافق مع سياسات أصحاب هذه المحطات ومصالحها في الدول الصناعية الغربية وفي

---

(1) عاطف العبد ونهى العبد. المدخل إلى الإذاعة والتلفزيون. ط1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 2008) ص39.

(2)طه نجم. مرجع سابق، ص264.

(3) هبة شاهين. التليفزيون الفضائي العربي (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2008) ص34.

مقدمتها الولايات المتحدة، كما يستطيع البث المباشر إشاعة الميول الاستهلاكية والرغبة في التقليد والمباهاة، وأخيراً حقن الوجدان القومي بقيم ومعايير وسلوكيات قد لا تتفق مع الثقافة التقليدية، الأمر الذي يهدد النسيج الاجتماعي[1].

والمجتمع العربي اليوم يواجه خطر تحويله بواسطة سلبيات الإعلام الأجنبي الوافد إلى مجتمع مفكك لا يلتزم بدين ولا بعقيدة ولا بخلق ولا بتقاليد إسلامية عربية إيجابية، كما أنه يشكل معول هدم لبناء الأسرة، وما لم يع هذا المجتمع العربي حقيقة ما يحاك ويدبر له من مكائد وما يدس له من حيل ومكر بواسطة مغريات الإعلام الأجنبي بطريقة "دس السم في العسل" وإن حكومات الدول العربية والإسلامية التي تتأثر بمجتمعاتها سلباً بتلك الإفرازات الإعلامية المشبوهة وبهذه الحرب الإعلامية الشرسة، مطالبة بعمل كل ما في وسعها لإيجاد القنوات المناسبة والكفاءات العلمية الخبيرة وتقديم الدعم اللازم بكل وجوهه لمقابلة هذا الغزو الفكري الخطير ومحاربته وإيقاف مدده، وذلك بإعلام إسلامي عربي متقن ومتمكن بأساليب علمية مدروسة ذات كفاءة عالية، وذلك لتفويت الفرص والمآرب لتلك المخططات الهدامة والخبيثة الهادفة إلى التغلغل في أعماق مجتمعنا العربي وإزاحته عن الطريق السوي الذي يسير فيه والذي يكفل له القوة والمجد والسمو، كما أنه من الضروري والواجب على كل رجال الفكر الأوفياء والإعلاميين العرب والتربويين في كل مكان أن يتحدوا ويتعاونوا لمواجهة هذه المعضلة الخطرة بغض النظر عن توجهاتهم السياسية والحسابات الشخصية فيما بينهم حتى يكونوا جميعاً يداً واحدة وقلباً واحداً ليقفوا متكاتفين سداً منيعاً في وجه الإعلام الأجنبي السلبي الوافد وتحجيمه وإيجاد البدائل المناسبة الهادفة والبناءة [2].

ولا نستطيع إغفال تأثير البث التليفزيون المباشر وسواء القادم من الخارج أو ما نبثه نحن إلى مواطنينا في العالم العربي في هويتنا الثقافية، إذ تشير معظم النتائج

---

(1)محمد سيد محمد. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. ط1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1994) ص 92-93.

(2) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق،ص133.

والدراسات إلى الإمكانيات الفنية الهائلة التي تتمتع بها المحطات الفضائية الأجنبية وما تقدمه من مواد إعلامية جذابة تخفي وراءها مخاطر عديدة يجعلها موضع اهتمام بعض الفئات من المواطنين في المجتمعات العربية، وتكمن الخطورة في أن هذه الفئات تتمثل في الشباب، ودون الدخول في التفاصيل، يوجد في العالم العربي الآن كثير من مظاهر التقليد والمحاكاة للثقافة الغربية على نطاق غير محدود، ويتمثل ذلك في عادات المأكل والملبس وممارسات الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية بين الناس وسيادة الحاجات المادية على المعنوية، أما ما نقدمه نحن في محطاتنا الفضائية، فيبدو تأثيره أخطر من البث القادم من الخارج، وربما ذلك لأننا نقدمه باللغة التي يفهمها مواطنونا، ولذلك تكون درجة الإقناع والتأثير مرتفعة ويزيد الأمر خطورة عندما نقوم بترجمة الأعمال الإعلامية الغربية إلى العربية وعرضها في محطاتنا التليفزيونية علاوة على ضعف الإنتاج المحلي في مجال البرامج والمسلسلات والأفلام [1].

ويجب على الفضائيات العربية أن تحاول فهم الخطاب الدولي لعالم الثقافة وأن يكون لها دور إيجابي في التفاعل مع الثقافات العالمية، وإعطاء قسطاً أكبر وأوفى للثقافة العربية وهوية الثقافة الوطنية العربية وعدم الجرى وراء الربح السريع بالإنتاج الرخيص غير الهادف [2].

ونظرا للأهمية القصوى لتواصل ثقافي عربي يجدر بالفضائيات الإلتفات إلى المخزون الثقافي العربي ومحاولة تعويض المشاهد عن فقدانه عادة القراءة وشيوع الأمية بين الجماهير العربية التي بهرها الإعلام الغربي بالرقص وكرة القدم [3].

فالثقافة العربية هي حصيلة تندرج في إطارها كل عناصر التراث الإسلامي وهي ثقافة قديمة بل أقدم الثقافات الثلاث العربية واليونانية والعبرانية [4] وهي ثقافة متفتحة

(1) طه نجم. 2005. مرجع سابق،ص240-241.

(2) فارس عطوان. الفضائيات العربية ودورها الإعلامي. ط1 (عمان: دار أسامة، 2008) ص 34.

(3) أحمد عبد الملك. فضائيات. مرجع سابق،ص71.

(4) عباس العقاد. الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين (القاهرة: د.ن، 1974) ص3.

أعطت غيرها وأخذت حتى كانت جسراً للمرور إلى الثقافة الغربية التي تشهد اليوم حالة التقدم الهائل فيها، ولأن للثقافة العربية هذه القيمة وهذا البعد، تعرضت لحالة الغزو وتعزيز الغزو منذ بدأ الاستشراق الذي مهد للغزو الاستعماري للمنطقة بوجه عام، من هنا تأتي أهمية الإعلام وبخاصة التليفزيون في مواجهة هذا الغزو وتعزيز الذاتية الثقافية وحمايتها، ويري البعض أن المواجهة مهمة الإعلام اليومي من صحافة وإذاعة وتليفزيون لالتصاقه المباشر بالجماهير بينما يري البعض أن الغزو الثقافي في حقيقته حرب فكرية وهو نوع من أنواع السيطرة على عقل الإنسان تمهيداً للسيطرة الشاملة [1].

ومواجهة الغزو الثقافي عملية فكرية ترتبط بالتقوية الذاتية والوعي الثقافي والنضج الإعلامي ويمكن من خلال هذه المفاهيم الثلاثة أن نحدد دور التليفزيون في هذه المواجهة [2] من خلال دعم الذاتية الثقافية بتقديم برامج منوعة وجادة تهتم بتعميق الارتباط بالتراث القومي وتقديمه في صورة حية وليس شكلاً من أشكال الانعزال والتعصب.

إن مهمة الإعلام العربي بعامة، والمصري بخاصة شاقة، لأن القوى المعوقة له كثيرة وهو يحارب في أكثر من جبهة، وعلى الرغم من ذلك عمل الإعلام المصري في هذه الظروف وقدم أعمالاً من التراث تكشف عن روعة التراث وعظمته[3].

وعلى القيم التقليدية أن تتجدد وتنبثق عنها قيم جديدة تكملها وتحافظ على خصائص الشخصية الثقافية القديمة ودمجها بالحضارة العالمية والتقنية التي تغزو العالم بالتأكيد [4].

---

(1) عبد الملك التميمي. الاستثمار الثقافي الغربي في منطقة الخليج العربي (الكويت: د.ن، 1979) ص30.

(2) حسين أبو شنب. مدخل إلى فن الراديو والتليفزيون. ط1 (غزة: دار المنارة، 1998) ص131.

(3)الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. مرجع سابق. ص573.

(4) صالح أبو أصبع. مرجع سابق،ص52.

لا يكفي أن يكون للعرب قناة تليفزيونية تبث عبر الأقمار الصناعية، بل لابد أن تكـون برامج هذه القناة في مستوى فكـري وفنـي يمكنهـا مـن اجتـذاب المشـاهد العـربي ومنافسـة القنوات الأجنبية عليه ولابد كذلك من أن تكون هذه البرامج من نتـاج عمـل عـربي مشـترك ليجد فيها المشاهد العـربي مـا يعـبر عـن خصوصـيته القطريـة وهويتـه العربيـة وطموحاتـه الإنسانية، وأهم من ذلك كله لا بد أن يكون مضمون تلك البرامج من النـوع الـذي يعـبر عـن أحاسيسه وعن طموحاته وآماله [1].

وأن معظم ما يشاهده الجمهور العربي من أعـمال دراميـة وأفـلام وأخبـار تأتينـا مـن الغرب وعلى وجه التحديد من الولايات المتحـدة وهـذه الـبرامج عـلى اختلافهـا تحمـل معهـا رؤاهـا الثقافيـة وتعـبر عـن قـيم المجتمعـات التـي أنتجتهـا، وهـي تـترك تأثيراتهـا في الأفـراد والجماعات وليس بالضرورة أن تكون تلك التأثيرات مباشرة لكنها تتسلل وتختزن، حيث تظهر تأثيراتها مستقبلا في الأفـراد والجماعـات مـما يـؤثر في قـيمهم وأفكـارهم ويـؤدي إلى ظـاهرة الاستناد الثقافي إذ يقع الأفراد في أزمة الاغتراب وخاصة فئة الشباب [2].

أهمية وسائل الإعلام في الحفاظ على التراث

فمنذ فترة طويلة عمد عدد كبير من دول الغرب إلى إيجـاد وسـائل إعلاميـة مختلفـة كان من أهدافها محاولة التغيير من حال وواقـع مجتمعنـا العـربي الـذي يحمـد لـه تمسـكه بدينه وتراثه وتاريخه عبر الآلاف من السنين الماضية، وقد سعت تلك الدول لتفكيك اللحمـة في منطقتنا العربية على وجه الخصوص بواسطة وسائل الإعـلام المختلفـة لعـدة أغـراض مـن أهمها العمل على تثبيت ما يسمى بـ"دولة إسرائيل" وقـد أدركـت تلـك الـدول والمؤسسـات الغربية أن السياسة لوحدها بأشكالها وأسـاليبها التقليديـة لا تكفـي للتـأثير الـلازم والفعـال لإقناع الرأي العام العملي للوصول إلى أهدافهم المقصـودة إلا إذا سـبق ذلـك تهيئـة مناسـبة وبأساليب وطرق خاصـة محكمـة ومـؤثرة فوجـدوا الضـالة الهامـة والمـؤثرة فعـلاً في مجـال

(1) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق،ص120.

(2) صالح أبو أصبع. مرجع سابق،ص53.

الإعلام حيث استغلوه بدقة متناهية وبأساليب مدروسة بعناية حتى يصل تـأثيره الفعـال إلى السود الأعظم من الناس وبأي شكل من الأشكال والطرق الإعلامية المختلفة وإدراكاً من تلك الدول والمؤسسات الغربية بأهمية ذلك وتأثيره السحري على الشعوب وإمكانيـة الوصـول إلى أهدافهم والمرجوة بواسطته فقـد أنفقـوا عليـه الأمـوال بسـخاء كبـير وأقـاموا لـه المؤسسـات الإعلامية المتخصصة الضخمة بكل صورها مما هو مقروء أو مسموع أو مرئي [1].

انتشار المحطات الفضائية ودورها في الحفاظ على الهوية العربية:

إن انتشار أجهزة استقبال القنوات الفضائية بشكل متزايد، وملفت للنظر سواء الثابتـة أو المتحركة المفتوحة أو المشفرة، فلقد أدخل التليفزيون البيوت العربية عبر البوابة الفضائية وانتشرت المحطات الفضائية من أوسـع أبوابهـا ويتزايـد تأثيرهـا المبـاشر عـلى عقـول الصـغار والكبار وذلك بامتلاك ومشاهدة القنوات الفضائية حيث تقع المنطقة العربية في بصمة قـدم حوالي ستين قمراً منها أقمار عربية وأوروبية وآسيوية وبعضها أقـمار محليـة وأخـرى إقليميـة وثالثة عالمية [2].

وتمثل الفضائيات من الوجهة العربية الثقافية والمعرفية إطار مادياً لإعـادة تشـكيل وتشييد الأفعال والسلوكيات، كما تمثل مجالات فعلياً لمراقبـة وتوجيـه المقاصـد والغايـات وليس تعليق الفضائيات الغربية، بمعنـى ضرورة أن تعنـي القنـوات العربيـة فعـلاً كيفيـة تشغيل آليات إنتاجها على الصعيد الثقافي للوصول إلى مرحلـة ناضـجة للحسـم، لأن الأمـر يتطلب من جهة أولى انفتاح المسئولين عن التواصل في القنوات العربيـة عـلى مسـتجدات الميدان الإعلامي دون تغليب الهاجس الأمني الـداخلي ويقـتضي مـن جهـة ثانيـة تعميـق

(1) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق،ص131.

(2) عاطف العبد ونهى العبد. الإذاعات والقنـوات المتخصصـة. ط1 (القـاهرة: دار الفكـر العـربي، 2008) ص7.

التكوين المهني للإعلاميين حتى يتسنى لهم ضبط حيثيات الجوانب التقنية والفنية في معالجة الثقافة العربية معالجة إعلامية وفي الوقت نفسه الحفاظ على أصالتها [1].

وتعد القنوات الفضائية العربية بمثابة التراث المنطقي للأمجاد التاريخية العربية الغابرة وفي هذا الإطار إبراز الدور الذي تضطلع به القنوات الفضائية في دعم التلاحم وتعزيز التضامن بين المجتمعات العربية في الخارج، حيث تعكف هذه القنوات على أن توفر للمغتربين العرب والجاليات العربية مناخاً ثقافياً واجتماعياً يحقق لهم التواصل مع أوطانهم كي لا يفقدوا هويتهم العربية وشعورهم بالانتماء إلى الوطن العربي الكبير، ويمكن للقنوات الفضائية العربية أن تنهض بدور رئيس وفعال في رسم التوجهات والرؤى الصحيحة للجاليات العربية في الخارج بغية حمايتها من الأفكار الراديكالية ومخاطر الازدواجية الثقافية والفكرية،ثم طرح رؤية تحليلية للوضع الراهن الذي آلت القنوات الفضائية العربية في أداء دورها، مع التأكيد على الاحتمالات الكامنة في التطور والتقدم في المستقبل [2].

ولابد للمحطات الفضائية العربية أن تعزز من القيام بدورها الإعلامي على الوجه الصحيح وأن تهتم بالثقافة والأدب والفكر والسياسة وان تراعي الهوية الوطنية الثقافية العربية وأن تجابه العولمة وأن تخصص برامج ثقافية إلى جانب البرامج الترفيهية والسياسية والدراما الجادة [3].

---

(1)محمد مهنا . مرجع سابق، ص381.

(2) محمد عابد الجابري. العولمة والهوية الثقافية: عشر اطروحاتفي: المستقبل العربي، ع 228، فبراير، 1998م، ص 17.

(3) فارس عطوان. مرجع سابق،ص170.

التلفزيون وسيلة ثقافية

يـذهب البـاحثون في الإعـلام إلى أن الراديـو والتليفزيـون أصـبحا مـن أقـوى الوسـائل الإعلامية وأكثرها تأثيراً على الجمهور، وكما ساهمت الحرب العالمية الأولى في تطـوير الراديـو، ساهمت التطورات الالكترونية التي حدثت خلال الحرب العالمية الثانية في تطوير التليفزيون الذي سرعان ما انتشر وأصبح من أقوى وسائل الإعلام وأكثرها تأثيراً في مجالات الترفيه والإعلام والتعليم وأيضاً في مجال بيع السلع، وكان للتطورات التكنولوجيـة التـي حـدثت منـذ الحـرب العالمية الأولى تأثير كبير جداً على حياة الـبشر عـزاه الكثـيرون إلى مـا يسـمى بثـورة الاتصـال الجماهيري، ومن هنا يصبح التليفزيون في إطار ثورة الاتصال وسيلة ثقافية هامة من وسـائل الثقافة تختلف عن الوسائل التقليدية، لأنها وسيلة في متناول الجميع وليس الصـفوة المثقفـة أو القادة فقط ؛ ولأنها بين الوسائل الجماهيريـة أقـدر عـلى أداء أي وظيفـة تتطلـب الصـورة والصوت معاً [1].

ولقد دلت كثير من البحوث الميدانية التي أجريت في عدد من الدول العربيـة عـلى أن التلفاز أصبح المصدر الأول للإعلام وللثقافـة العامـة بالإضـافة إلى كونـه أداة للإمتـاع والترفيـه متفوقاً بذلك على وسائل الاتصال الأخرى، وهذا بـالطبع يعنـي اتسـاع رقعـة انتشـاره وسـعة نفوذه ومن ثم تأثيره في مجال تنمية اللغة على أساس أنها الوسيلة الأولى التي يتم بها توصيل المواد الإعلامية والثقافية وربما المواد الترفيهية أيضاً من خلال هذه الأداء[2].

يدور نقاش كثير حول الدور المتميز للتكنولوجيا في فهم أنفسنا، فضلاً عن فهم تاريخنا المشـترك فالتكنولوجيـا بصـفة عامـة ثقافيـة منـذ البدايـة، فهـي تعبـير عـن وجهـات النظـر والطموحات وفي كتاب " جميس كـاري " James Caery " الاتصـال كثقافـة أوضـح (كـاري) التحلـيلات الثقافيـة للتلفزيـون مـع تحليـل العنـاصر البنائيـة والسياسـية والصـناعية في

(1) جيهان رشتى: النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية (دار الفكر العربي: القاهرة، 1977) ص أ .
(2) تيسير أبو عرجة. مرجع سابق،ص113.

تكوين الوسيلة، ووصف التلفزيون باعتباره وسيلة تنهض على مقومات مختلفة ومتنوعة منها الاستراتيجيات والجماهير وأساليب الأداء، وتوضح تحليلاته إمكانية وجود فروع لدراسات التلفزيون تتضمن تحليلات النصوص المقدمة ودراسات عن الإنتاج وأبحاث التأثير وأخرى متعلقة بموضوعات تقنية [1].

وقدم " إيريك ميكلس Eric Michales " مناقشة مطولة عن العلاقة بين الثقافة وتكنولوجيات الإعلام من جانب آخر، فهو يفهم هذه التكنولوجيات على أنها أشكالاً ثقافية متلازمة، وهكذا فإن التكنولوجيا الفيزيائية نفسها يمكن أن نعتبرها أشكال ثقافية مختلفة، وفي مقارنة بين الثقافات الشفهية والإلكترونية ذكر " ميكلس " أن التلفزيون كوسيلة ثقافية يتميز بأن معلوماته تصل إلى كل المشاهدين في المجتمع بالإضافة إلى أن معلوماته تنتشر جغرافياً عبر الأقمار الصناعية بسرعة، وأخيراً يخلق التلفزيون سلطة غير شخصية ومعرفة أصلية [2].

وكان من نتائج الثورة في مجال تكنولوجيا الإعلام أن روجت لمفهوم القرية العالمية وسنحت الفرصة لأن نرى برامج عن جميع أنحاء العالم يمكن أن تساعد في فهمنا للعالم الذي نعيش فيه ويستطيع التلفزيون العالمي أن يلعب دوراً هاما في تنمية الثقافات واحترامها ونقلها إلى المجتمعات الأخرى وتستطيع القنوات العالمية المتعددة تقديم اختيارات متعددة ومتنوعة، وتقديم خدمات خاصة مثل قنوات الأطفال والرياضة والمنوعات والأخبار وغيرها من القنوات المتخصصة [3].

---

(1)Tom Oregan، TV as cultural technology: The work ofEric Michaels، The Australianjournal of media & culture، vo1.3 no1.2، 1990. http://Kalimurdoch.edu.an/continuum/3.2/EM work.

(2) ibid.p:3

(3) http//Ka.Li,Murdoch.edu.au.htm Moira Rayner , cultural identity in the age of global Television.

ولقد طرأت بالفعل تغيرات حقيقية وملموسة في جوانب هامة للثقافة المحلية منذ ظهور وانتشار السينما والتليفزيون والفيديو ومن أمثلة ذلك، ما طرأ على الفنون الشعبية وخاصة في القرى وفي الطرز المعمارية المنتشرة في المدن والقرى حديثاً التي لا تلائم البيئة العربية ولا الروح العربية وفي الأغاني والموسيقى الحديثة وفي طرق ومظاهر السلوك اليومي للمواطنين المباشر الذي ستتجاوز تأثيراته حدود ذاته، لأنه يصبح مع الوقت والاستمرارية والإلحاح واعتبار الجمهور والمهارة الفنية نموذجاً أصلياً سرعان ما يستلهمه الجمهور المحلي [1].

كما أن التليفزيون أشد خطراً وأكثر تأثيراً من أساليب الاتصال الأخرى، وهي مسلمة مشكوك أيضاً في سلامتها، فضلاً عن عموميتها، ذلك أن التليفزيون لا يتحدد تأثيره بقدرته فقط على تقديم الصوت والصورة، ولكن بعناصر ومتغيرات عديدة ليس أقلها النظرة الثقافية للجمهور إلى التليفزيون والظروف المحيطة بإنتاج وتلقي المضمون، والثقافة الشعبية السائدة التي في إطارها تفهم المعاني ودلالات المشهد التليفزيوني[2].

ويمكن القول إن التلفزيون- خاصة بعد انتشار ظاهرة البث المباشر وتزايد المحطات الفضائية - أصبح يشكل محوراً مركزياً في حياتنا اليومية، وجزءاً من ثقافتنا، ويعد أيضاً وسيلة تساهم في تكامل المجتمع ثقافياً، وقد وصف سيلفر ستون (Silver Stone) التلفزيون بأنه وسيلة ساحرة معقدة مليئة بالتناقض، كما أنه وسيلة قوية يمكن بواسطتها الوصول إلى جميع المواطنين، وقد أكدت الكثير من النظريات منها نظرية تحليل الثقافة على دور الإعلام والتلفزيون خاصة في تشكيل الواقع الاجتماعي وتغييره، وقد اشتركت المنظورات التحليلية للثقافة مع المنظورات النقدية في تطوير أساليب جديدة لكشف تأثير الإعلام في الثقافة وتنمية هذه الأساليب، وعملاً على تطوير بناء نظري متكامل، وأكدا

---

(1)فريدة النقاش. حول أشكال التبعية الثقافية والإعلامية. الحلقة الدراسية الثالثة لبحوث الإعلام. د.ت، ص11.

(2)عبد الفتاح النبي. تكنولوجيا الاتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق (القاهرة: العربي للنشر، 1990) ص145.

على أهمية الإعلام في تشكيل وجهات نظر الناس عن أنفسـهم وبيئـاتهم الاجتماعيـة، وأصـبح ينظر إلى التلفزيون بأنه أكثر الوسائل التي تسـاعد في عولمـة العـالم إعلاميـاً وثقافيـاً، وتحـاول الولايات المتحدة الأمريكية استغلاله في نشر ثقافتها وتعميمها مقابل طمس الثقافات الوطنية الأخرى [1].

والتليفزيون كغيره من وسائل الإعلام لا يخاطب فئة بعينها وإنما المجتمع بأسره لما فيه من طبقات وفئات وذلك فإن تخطيط البرامج لا يقتصر على جانب واحد أو لون معـين وإنمـا تكون منوعة مناسبة لمختلف الأذواق والاهتمامات والمستويات المختلفـة وإذا كانـت الثقافـة تتخلل كل جزء من أجزاء المجتمع وحياة الإنسان وهي تمثل التراث الفكري الذي تتميز به كل جماعة أو أمة من الأمم فإن البرامج يجب أن تكون منسجمة مع ذلك بحيث تجسد المفاهيم الثقافية المختلفة من علوم واختراعات وفنون وأنشطة فكرية واجتماعية ومعرفية [2].

التأثير الثقافي للتليفزيون:

يؤدي الإعلام وظائفه بطريقة فعالة عن طريق المشاركة والتفاعل حـول قضـايا المجتمع المختلفـة والتـأثير الاجتماعـي وتأييـد القـيم والمفـاهيم وتثبيـت الهويـة القوميـة والتعبير عن ثقافة المجتمع الأصلية من خلال وسائل الإعـلام والثقافـة المختلفـة ، وفي ظـل التطور والتقدم النوعي في المخترعات والإعلام أصبح بمقدور الإنسان التعرف على الأحداث ساعة وقوعها ويتابع أحدث الاختراعات أول بأول ويشهد على شاشة التليفزيون حوار بـين أطراف في مناطق متباعـدة في لحظـة واحـدة، مـن شـأن هـذا التطـور أن يحـدث أثـره في

(1) طه نجم. 1998. مرجع سابق، ص 24.

(2) سعيد لبيب. التخطيط الإذاعي على المدى البعيد (القاهرة: كلية الإعلام- جامعة القاهرة، 1968) ص6.

العلاقات الاجتماعية في المفاهيم والقيم لما له من أثر في حركة الثقافة والمعرفة تبعاً للوسيلة والقيادة المسئولة[1].

ويعلم التليفزيون أفراد المجتمع أساليب مختلفة من السلوك الفردي والاجتماعي في مختلف الظروف، كما يوفر للإنسان معلومات لا تتوفر له في حياته العادية وقد تلعب هذه المعلومات دوراً ايجابياً أو سلبياً في عملية التكييف الاجتماعي، ويلاحظ أن الدراما المحلية والأجنبية تقوم بدور مهم في عملية تكوين السلوك الفردي والاجتماعي داخل المجتمع الذي أنتجت فيه حيث تعمل على ترسيخ مفاهيم معينة إذ تنقل القيم والمفاهيم وتنقل المسلسلات الأجنبية قيماً تختلف عن مجتمعنا لاختلافها في البيئة والنظم الاجتماعية والاقتصادية [2].

البرامج الثقافية والتراثية ودورها في الحفاظ على الهوية الذاتية

إن البرامج التليفزيونية العربية، تستطيع أن تحقق هدفها الثقافي، حين توجه عناية خاصة لتأصيل الثقافة في الوطن العربي بمفهوميها الخاص والعام، وكذلك حين تتوسع في مفهوم التراث كعنصر من عناصر الثقافة في الأمة العربية والإسلامية، وتقدمه بأشكال فنية حديثة تفيد من إمكانات التلفزيون البرامجية والدرامية، ومتابعة التطورات الحديثة المستمرة المصاحبة لثورة المعلومات في العصر الحديث والاهتمام بالبرامج العلمية في تبسيط العلوم والتعريف بالجديد دائماً [3].

وحين تقوم البرامج الثقافية برسم سياستها الإعلامية، يجب أن تسعى إلى تحقيق المعادلة الصعبة بين الأصالة والمعاصرة في مضمونها الثقافي، ذلك أن " الأصالة تتيح للأمة أن ترجع إلى شخصيتها وذاتيتها التي كونتها الأحداث والأجيال والمؤثرات الأصيلة في

---

(1) جيهان رشتي. مرجع سابق، ص240.

(2) عدلي رضا. تدفق البرامج من الخارج في تليفزيون جمهورية مصر العربية. رسالة ماجستير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، 1980).

(3) سهير جاد. مرجع سابق، ص248.

حياتها مـن الـدين واللغـة والآمـال والعوامـل الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعيـة والعقليـة المتعددة [1]، والبرامج الثقافية في التليفزيون يجب أن تنبع من المفهوم العام للثقافـة، والـذي يذهب إلى أنها المكون الفكري في البناء الاجتماعي ويجمع الأفكار الأساسية للمكونات الأخرى سياسـياً واجتماعيـاً واقتصـادياً، وهـي لـذلك تتضـمن عنـاصر ثلاثـة هـي: الـتراث التـاريخي والحضاري في فتراته المتعاقبة والمؤثرات الداخلية المتفاعلة مع مكونـات البنـاء الاجتماعـي في فترة ما، والمؤثرات الناتجة عن الاتصال مع العالم الخارجي ومدى القبـول أو الـرفض للمفهـوم العام والمفهوم الخاص للثقافات الأخرى [2].

والثقافة مادة ليست سهلة التعاطي كما أن تحويل الأنماط الثقافية السـائدة إلى فـيلم وغيره يتطلب رؤية تليفزيونية قد يظنها البعض خروجا بالثقافة عن مضمونها، والنماذج التي نعاصرها اليوم كمؤشرات ثقافية تليفزيونية لا ترقى إلى ما نصبوا اليوم من نماذج ومـن أفـدح الأخطـاء أن تعتمـد الفضـائية عـلى الـبرامج المملـة ولـيس لـديهم علـم بخصوصـية الحـوار التليفزيوني [3].

وإن تنمية حاسة الرؤية الجمالية تتطلب عناية مـن الـبرامج الثقافيـة المرئيـة لمعاونـة المشاهد على إدراك قـيم الجـمال الطبيعـي والجـمال التشـكيلي (عـمارة – نحـت – تصـوير- وغيرها) وليس باستطاعة أجهزة التعليم وحدها أن تنهض بهذا الدور، ومن هنا تتأكد الحاجة إلى تكامل التليفزيون مع أجهزة الثقافة لتطوير مفهوم التذوق الفني مع خلال برامجه الفنية بتقديم صور مرئية للمتاحف والمعارض من أجل تنمية الإحساس بقيم الجمال وإتاحة الفرص لمعايشة روائع الفن والطبيعة [4].

---

(1) حامد طاهر. دراسات عربية وإسلامية. ج9. 1989، ص52.

(2) سهير جاد. مرجع سابق، ص248.

(3) أحمد عبد الملك. فضائيات. ط1 (عمان: دار مجدلاوي، 2000) ص127.

(4) سهير جاد. مرجع سابق، ص169.

ويقول ماجد يوسف رئيس قناة التنوير أن القناة معنية بالتراث في واحد من أهم أبعادها وتصوره كقيمة فاعلة وتقف منه موقفاً نقدياً وربما نقضياً، ولكن ليس من أجل الهدم وجلد الذات وإنما من أجل قراءة الحاضر والمستقبل ومن دعم الذات التي تنتمي لأصالة ممتدة وحضارة عريقة [1]، ويقتضي ذلك تطوير برامج الفنون في التلفزيون وذلك بالاهتمام بتقديم تراث الحضارة الفنية وخاصة التراث التشكيلي في البلاد العربية، كما ينبغي أن تربط هذه البرامج بين الثقافة والفنون وتأكيد فكرة التثقيف عن طريق الفن، وتطوير البرامج لتحقيق هذا الهدف وذلك عن طريق ما يلي [2]:

1) إحياء التراث التشكيلي بإعادة تقديمه تليفزيونياً برؤية عربية معاصرة.
2) التعريف بالتراث الفني التشكيلي في الوطن العربي في العصور التاريخية المختلفة.
3) إجراء الأحاديث والمناقشات من خلال البرامج الثقافية حول مختلف جوانب الإبداع الفني في التراث التشكيلي العربي وإبراز الجوانب الإيجابية فيه.
4) تشجيع البرامج التليفزيونية التي تتناول حياة وأعمال الفنانين التشكيليين المصريين والعرب مع ضرورة الاهتمام بالنقد الفني وتوحيد لغة الفن التشكيلي ومصطلحاته على الصعيد القومي بالتعاون بين المنظمات والمجامع اللغوية وإذاعة ما يتفق عليه من خلال البرامج الثقافية.

ولقد لقي الفن الشعبي مجالاً رحباً في الإعلام عن أنواعه وتقريب المأثورات الشعبية التي كادت أن تندثر أو تختفي أمام زحف الفنون الحديثة، كما وجد مجالاً في التلفزيون والإذاعة فأردفت له برامج خاصة بجانب ما يقدم من فقرات ضمن البرامج المختلفة، بجانب ما يتناوله الكتاب والصحفيون من عرض مواد فولكلورية في الصحف

---

(1) ماجد يوسف. التنوير والتراث والقنوات المتخصصة. في: مجلة الفن الإذاعي. ع 178 (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتليفزيونإبريل 2005) ص132.

(2) سهير جاد. مرجع سابق،ص170.

والمجلات وما يقومون به من تعريف بأنماط الفنون الشعبية وإيضاح جوانب لم تكن معروفة منها داخل إطارها الاجتماعي مسجلة في تحقيقات صحفية من البيئة المحيطة [(1)].

وينبغي أن يدعم الراديو والتليفزيون الفن الشعبي الهادف الذي يعبر بصدق عن آمال الجماهير وآلامها، بالإضافة إلى ما يجب أن يقدماه من مواد أدبية وفنية وفكرية رفيعة المستوى ترقى بالمستوى الثقافي، وتنهض بالسلوك الحضاري وتستثير الطاقات الإبداعية في مختلف المجالات ولقد أكد معظم المشاركين في المؤتمر العالمي حول السياسات الثقافية الذي عقد في مكسيكو للفترة من (26 يوليو – 6 أغسطس) عام 1982، على أهمية إدراك البشر لذاتيتهم الثقافية – إنها الطريق المبرمج لتنمية المواطنين - والتراث هو محور العمل الثقافي وهو لا يقتصر على جانب معين من جوانب الثقافة، وإنما يشجع جميع الجوانب، وإحياء التراث يحتاج إلى نظرة شاملة ورؤية حضارية ترمي إلى منهج جديد لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية لا يتبع أسلوب الغرب في كتابات التاريخ المادية أو الليبرالية بل يجب أن يكتب بتفسير إسلامي للتاريخ وكتابة من منطلق إسلامي سوف تبين عظمة المناخ الفكري والنفسي الاجتماعي [(2)].

ولقد قدم الإعلام المصري أعمالاً عظيمة من هذا التراث الغني، قدم الفرسان وكشف فيه أخلاقيات الحرب في الإسلام، وهي لم تكن حرباً عدوانية، لكن كانت للدفاع عن العقيدة والوطن لكن المحاربين المسلمين التزموا بأخلاقيات الحرب فلم يمثلوا بقتيل، ولم يعذبوا أسيراً بل احترموا الإنسان حياً وميتاً، ونأمل في المزيد من الأعمال التي تكشف عن القيم والمثل الرفيعة التي يتضمنها هذا التراث، كما أننا نريد من الإعلام المصري أن يكون الخطاب الإعلامي من خلال هذه الأعمال الفنية باللغات الأخرى[(3)].

(1) عبد العزيز أبو هدبا. ثلاثون ليلة وليلة في المضافة الفلسطينية. مركز التراث الشعبي (البيرة: جمعية إنعاش الأسرة، 1995) ص155.

(2) عبد الحكيم بدران . مرجع سابق،ص190.

(3)الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. مرجع سابق،ص575.

وقد استخدمت الأمثال الشعبية في السياسة والإعلام بعد أن وجد المشتغلون فيها وسيلة لتوظيف الأمثال الشعبية في خدمت الأهداف القومية والوطنية المرجوة، كالمثل: (اضرب والحديدة حامية) والمثل (ضربة على الحافر وضربة على النافر _ أو _ المسمار) , كما استخدم المثل في الإعلام المضاد لإعلام العدو مثل: (وعلى مين تقرأ مزاميرك يا داود) وهناك عدداً كبيراً من الأمثال الشعبية , يمكن استخدامها في التعليقات السياسية والإعلامية سواء في الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون [1].

وإن للتراث أهمية كبرى في حياة الأمم، إذ يحمل مقوماتها التي ثبتت على مر الزمن فمنه حضارتها، ومقوم أصالتها وشخصيتها المتميزة ومنه تستمد أصول تطورها وازدهارها الفكري والمادي، وأن التراث المصري والعربي والإسلامي يزخر بنفائس يجب الحفاظ عليها وتوثيقها والإفادة بما تحتويه من قيم ومعارف، والتعريف بها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال التليفزيون بصفة خاصة [2].

وينعقد الأمل على رجال الإعلام في تدعيم التيارات الفكرية التي تقاوم هذه السيطرة الغربية وتأخذ بيد الشعوب العربية من أجل بناء ثقافة قومية ذاتية، ويواجه رجال الإعلام مسئولية الاختيار بين الاتجاهات المتنازعة لإحياء التراث العربي، فمنها ما يحرص على الفروض العينية أكثر من حرصه على فروض الكفاية، ومنها ما يبرز دعوة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وآخرون يدعون إلى أسلمه العلوم ومسئولية رجال الإعلام هي أن يوازنوا بين هذه الدعاوى حتى يقرروا بأنفسهم المنهج السليم لإحياء التراث [3].

وإن الغالبية من دول العالم الغربي، وبحكم متابعتهم للعرب وللمسلمين وتاريخهم وأنهم يبنون مجتمعاتهم بأساليب أخلاقية رفيعة نابعة من دينهم الإسلامي، أدركوا أن

---

(1) فؤاد عباس. معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية. ط1 (عمان: دار الجليل , 1989) ص34.

(2) سهير جاد. مرجع سابق،ص239.

(3) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق، ص189.

تلك الأساليب ستجعل من المسلمين والعرب أمة قوية بعقيدتها وأخلاقها وعندها أيقنوا أن هذا المجتمع المبني على الحق والاستقامة والتطلع إلى التطور والازدهار على ضوء تلك المعايير المضيئة سوف يقوي ويكبر يوماً بعد يوم، وإن استمر الحال على ذلك فإنه سيكون من الصعب جداً خلخلته وتفكيكه إذ لا يتناسب ذلك مع المجتمع الغربي الآخذ في الانهيار الخلقي والديني والانغماس في الملذات وعالم المخدرات ونحو ذلك، فتوجهت سهام الإعلام الأجنبي لتحارب هذه المبادئ والقيم ولم يدرك العرب خطورة هذا السلاح الجديد الذي أخذ يغزوهم في عقر دارهم، بل أنه وبعد أن ظهرت الثروات الطبيعية في أراضيهم راحوا يستمتعون بها في حين عمدوا من الجهة الأخرى إلى زيادة وتقوية تأثيرهم الإعلامي بصورة مختلفة، ومن ذلك الإعلام الذي يناشد العرب على التطور والتقدم على حساب معتقداتهم ومبادئهم المستمدة من دينهم وتاريخهم المشرف القديم وهنا أخذ الغرب يصدر لنا حضارته الممزقة أخلاقياً وليساهم ذلك في التفكيك الأسري ومنح الحريات المطلقة للشباب من الجنسين والابتعاد التدريجي عن الدين والمثل العليا والسلوكيات الإيجابية، كالبعد عن التقاليد الإسلامية والعربية البناءة والأصيلة وللأسف فقد أصبح أغلب مجتمعنا العربي فريسة سهلة تأثر سلبياً بمغريات المجتمع الغربي، ولكم أن تدركوا مدى التأثير الذي يحدث نتيجة مشاهدة متابعة الأفلام والمسلسلات الرخيصة والمدسوسة على مجتمعنا[1].

ولما كان دور وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع الحديث لا يمكن تجاهله أو الإقلال من أهميته، فقد أصبح من الضروري البحث عن أفضل السبل للاستفادة من الطاقات الهائلة التي تملكها هذه الوسائل، والتي يمكن أن تعود بالخير على المجتمع إذا أحسن توجيهها وعرف أخطارها والأمل معقود على وسائل الاتصال الجماهيرية مع غيرها من المؤسسات التربوية الثقافية في تحقيق هذه الصحوة، وتصحيح المسار الثقافي لكي يعود إلى طريق القيم الأصيلة ويتحقق التوازن بين النمو المادي والنمو المعنوي في

---

(1) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق،ص132.

المجتمع، وأن التأثير بتيارات ثقافية خارجية ينبغي أن يكون في الإطار الذي يدفع المجتمع إلى التقدم ويعود عليه بالنفع المؤكد ولذلك يصبح من الضروري أن تستبعد الموضوعات التي لا تتفق مع ثقافتنا أو تتعارض مع نظامنا القيمي، أو التي تهدف إلى تدمير الروح القومية، أو التأثير على الشخصية [1].

ما من شك في أن التوجه لدراسة التراث الشعبي قد تأخر الاهتمام به في العالم العربي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية على الرغم من غنى هذا التراث وأهميته ولقد ظهر مؤخرا العديد من المؤلفات والمجلات التي تعنى بهذا اللون من التراث وتلك خطوة مباركة في الاتجاه الصحيح ومن هذه المجلات " الفنون الشعبية " في مصر و" التراث الشعبي " في العراق والفنون الشعبية في الأردن والتراث والمجتمع في البيرة بفلسطين وعالم الفكر في الكويت وأصبحت هناك فرق شعبية متخصصة في الاهتمام بكل أشكال هذا التراث، تسعى للحفاظ عليه أمام الهجوم الكاسح الذي يتعرض له من الحضارة الحديثة الآخذة بالانتشار السريع، إذ كلما اتسعت دائرة انتشار التعليم العصري كلما ضاقت مجالات أدبنا الشعبي [2].

والإعلام مطالب بالكشف عن الجوانب الحضارية المشرقة في تاريخنا لمزيد من الالتصاق بهذه الحضارة، ذلك أن الانفتاح المطلوب على مبتكرات العصر ومعلومات العصر يجب أن يتم ونحن موقنون بأصالة حضارتنا وتراثنا وقيمنا التي لا يمكن أن تبلى مع مرور الزمن[3].

ونتساءل الآن عن دور الإعلام العربي هل سيستمر في تكريس التبعية الثقافية، أم أنه يدرك دوره في مواجهة التحدي الحضاري فيعمل على تمثيل الميراث الثقافي، بنقله إلى

(1) علي عجوة. مرجع سابق،ص159-160.

(2) يوسف حداد. المجتمع والتراث في فلسطين.ط1 (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1985) ص11.

(3) تيسير أبو عرجة.مرجع سابق، ص46.

مكان الصدارة في تفكير الأمة للتزود به والاهتداء بـه في رسـم خطـوط المسـتقبل إن الأمـة في الحقيقـة تعـاني اليـوم الاغـتراب مـن وجهـين، الاغـتراب الحضـاري المعـاصر لعجزهـا الإنجـاز والمساهمة فيه والاغتراب التاريخي أيضاً لعدم قدرتها على الاهتداء به [1].

(1) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق،ص187.

الفصل الثالث

الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني

في مواجهة ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحوه

الفصل الثالث

الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني في مواجهة ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحوه

تمهيد

لا شك بأن للتراث أهمية كبرى لدى الأمم والدول والشعوب تسعى إلى تأكيده للرأي العام، وتزداد تلك الحاجة في فلسطين بشكل أكثر للحفاظ على التراث الفلسطيني بخاصة لما يتعرض له من قبل الاحتلال الإسرائيلي من محاولات لطمس هويته وثقافته الوطنية وتراثه من خلال سرقة الحكومة الإسرائيلية لهذا التراث.

وهناك اختلاف في تقدير الجهود المبذولة على مستوى الوطن سواءً كأفراد أو باحثين أو دارسين أو مؤسسات إعلامية في حق التراث، وإذا كانت هناك محاولات فهي محاولات متواضعة لا تعد عن كونها محاولات فردية، وهذا نتيجة لغياب مؤسسة رسمية أو أهلية تُعني بالتراث.

وتبرز أهمية التراث الفلسطيني بشكل خاص كأحد أدوات تأكيد الحق باعتبار توثيقه والتمسك به وتجميعه ونشره وتثبيته واستمراره والحفاظ عليه من أهم عناصر الثقافة الفلسطينية بل أنه من المظاهر الخاصة التي تميز الشعب الفلسطيني عن غيره من الشعوب ويؤكد إثبات الحقوق الفلسطينية في وطنه، وخاصة أن إسرائيل عمدت منذ البداية على العمل بكافة السبل والوسائل لطمس ومحق ومسح التراث الفلسطيني بل في كثير من الأحيان تنسبه إليها ليعد أحد الدلائل القوية على وجوده في أرض فلسطين منذ آلاف السنين، وليس فقط سرقة تراث الشعب الفلسطيني بل تعدت على الدول المجاورة كسوريا ولبنان والعراق وغيرها من الدول العربية.

وللشعب الفلسطيني لـه تاريخـه، ولـه ثقافاتـه وعاداتـه وتقاليـده ولهجتـه وأغانيـه وطبائعه وقبل كل ذلك له عقيدته التي استمد منها قدسية الأرض التي يعيش عليها والمسجد الأقصى الذي قد يُحْرَم أحيانًا من الصلاة فيه.

ويأخذ الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين المحتلة عدة أبعاد، فهـو لـيس فقـط نـزاع على الأرض وعلى مصادر الماء ولكنه أيضا نزاع عـلى المخطوطـات والأرشـيف والمعـالم الأثريـة وكامل التراث الثقافي الفلسطيني وباختصار إنه صراع ثقافي وحضاري، وبالفعـل فـإن إسرائيـل تشـن حربـا عـلى الجبهتـين العسـكرية والثقافيـة لأجـل إثبـات الحضـور اليهـودي عـلى ارض فلسطين من جهة وإخفاء الحضور العربي الإسلامي على نفـس الأرض مـن جهـة أخـرى هـذا بالرغم من كل الحجج والبراهين والمعالم التي تشهد بالشرعية التاريخيـة والثقافيـة للعـرب في فلسطين، لهذا تعمل الدولة العبرية منذ 1948 على مسح هويـة المـواطن الفلسـطيني وذلـك بإتلاف تراثه وتحطيم مكتباته، ونهب مخطوطاته وأرشيفه وكتبه، هذا عـلاوة عـلى مصـادرة حقه في التعلم والثقافة والوصول إلى المعلومات [1].

أولاً: الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني

1- دور المنظمات الدولية في الحفاظ على التراث

أ- منظمة اليونيسكو

تمارس اليونسكو دوراً ريادياً في إطـلاق المبـادرات الدوليـة لحمايـة الـتراث، وتقـوم الاتفاقية بشأن حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي المعتمدة منذ عام 1972 على فكـرة أنّ بعض المواقع تتمتع بقيمة عالمية استثنائية وأنه ينبغي من هذا المنطلق، أن تكون جـزءاً من التراث المشترك للإنسانية كما تعترف الـدول الأطـراف في الاتفاقيـة بـأنّ حمايـة الـتراث العالمي واجب على المجتمع الدولي بأكملـه مـن غـير مسـاس بالسـيادة الوطنيـة، وحقـوق الملكية المنصوص عليها في التشريعات الوطنيـة، وتشـمل قائمـة الـتراث العـالمي حاليـاً أكـثر

(1) http://www.afli.org/sa71.html

من 700 موقع طبيعي وثقافي من تاج محل في الهند إلى مدينة طومبوكتـو القديمـة في مـالي، وروائع طبيعية كالحاجز المرجاني الكبير في أستراليا، ويتولى مركز التراث العالمي الأمانة الدائمـة للاتفاقية، وتوفر اليونسكو مساعدة فنية لصـون المواقـع الاسـتثنائية كموقـع أنكـور عاصـمة الخمير القديمة (كمبوديا) ومدينة فاس في المغرب [1].

دور اليونيسكو في الحفاظ على القدس

وقد دأبت إسرائيل حتى قبل قرارها بضم القدس، الصادر بعـد حـرب حزيـران 1967 مباشرة على القيـام بحملـة كانـت صـامتة في البدايـة، ثـم مـا لبثـت أن أصـبحت مكشـوفة، وضجت منها الأوساط الدينية الإسلامية، كما ضجت منها الأوساط الثقافية في كل مكان، وقد بدأت اليونسكو قراراتها بصيغة متواضعة، إذ دعت إسرائيل في قرارها رقم 15 م343 / 3 عام 1968إلى المحافظة على المتلكات الثقافية خصوصاً القدس القديمة، ثم تكلمت في قرار لاحق عام 1972 عن " دعوة إسرائيل بصورة مستعجلة إلى الكف عـن تغيـير معـالم القـدس وعـن الحفريات الأثرية " ثم وجدت اليونسكو أنه لا بد من الإدانة الصريحـة فقـررت عـام 1974 " إدانة إسرائيل لموقفها المنـاقض لأهـداف اليونسـكو وتنفيـذ قـرارات المـؤتمر العـام والمجلـس التنفيذي بشأن حماية الممتلكات الثقافية في مدينة القدس"، وشـددت لهجتهـا في قـرار آخـر عام 1976 فقررت " توجيه نداء رسـمي إلى إسرائيـل بالامتنـاع فـوراً عـن الحفريـات الأثريـة والتدابير التي تغير طابع مدينة القدس".

ثم تطورت عبارة اليونسكو إلى مرحلة تسـمية الأشـياء بأسـمائها، ففـي الاجـتماع الدوري اللاحق بعد سنتين، أي في عام 1978 جاء قرارهـا يعلـن " إدانـة إسرائيـل لتغيـير معالم القدس التاريخية والثقافيـة وتهويـدها "، وفي اجـتماع اليونسـكو في تشريـن الأول وتشرين الثاني عام 1987 صدر القـرار الـذي" دعـا المـدير العـام لليونسـكو إلى مواصـلة

(1) http://typo38.unesco.org/ar/unesco-home/unesco-themes/clt.html

ضمان التطبيق الصارم لقرارات اليونسكو المتعلقة بصون التراث الثقافي للقدس ما دامت المدينة تحت الاحتلال".

وحاولت المنظمة الدولية إيفاد بعثة تمثل الأمين العام إلى القدس، لدرس مختلف الجوانب الأثرية والفنية والاجتماعية والثقافية المرتبطة بصون المواقع في المدينة، ولكن الصهاينة عطلوا وصول هذه البعثة على مدى عامي 1989 و1990 ، وعقب تمكنها من زيارتها القدس دعت المنظمة الدولية عام 1991 إلى تشكيل مجلس مؤلف من شخصيات علمية مشهود لها بالكفاءة لتقديم المشورة لترميم الآثار الإسلامية في القدس، وبذلك تقدمت اليونسكو خطوة ذات شأن في التعاون التنفيذي مع الأوقاف الإسلامية وكانت قد قررت في اجتماعها الدوري عام 1989 "اعتبار أعمال الاعتداء والتدمير والتغيير التي يعاني منها التراث الثقافي للقدس إساءة إلى الذاكرة الجماعية للشعوب" [1].

ولا يمكن لهذا البعد الأولي لتراثنا المشترك – المواقع الثقافية والطبيعية- أن يكون بمعزل عن الشخصية الإنسانية التي أبدعته بما تحمل من تنوع كبير في مختلف وسائل التعبير الثقافية وخصوصاً في البلدان النامية وغالباً ما يكون ذلك على شكل تراث غير مادي: احتفالات وأغنيات ولغات وأماكن للاحتفال تغذي الحسّ الإبداعي والتضامن، وتقوم اليونسكو حالياً بتطوير أول وثيقة قانونية دولية ترمي إلى حماية هذا التراث، وقد كانت لجنة تحكيم دولية قد اختارت قائمة من روائع التراث الشفهي وغير المادي للإنسانية وتقوم بانتظام بإدراج روائع أخرى على هذه القائمة الهادفة إلى توفير حماية قانونية ومساندة مالية لها [2].

(1) ناهض الريس. القدس بين زيف القانون الإسرائيلي وعجز القانون الدولي (غزة: اللجنة الوطنية العليا للقدس عاصمة الثقافة العربية 2009، 2009) ص97- 99.

(2) http://typo38.unesco.org/ar/unesco-home/unesco-themes/clt.html

وأدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "يونيسكو" على قائمة التراث الثقافي العالمي 43 عملا جديدا ثلثاها من البلدان النامية، مقدمة بهذا الرقم القياسي اعترافا عالميا بنواحي متعددة من ثقافة عالمية بحاجة ملحة إلى الحماية، وقال المدير العام للمنظمة الياباني كويشيرو ماتسورا لدى تقديمه لائحة العام 2005 أن "المخاطر - المحدقة بالتراث العالمي- متعددة"، وتتناول هذه اللائحة أعمالا حية في مجالات مختلفة مثل الأقوال والحكايات الشعبية الشفهية والكلمات المأثورة والرقص والموسيقى والأعراف والعادات التقليدية المتعلقة بالطبيعة والكون، بالإضافة إلى المهارات الحرفية والنشاطات الثقافية التقليدية، فمن الحكاية الشعبية الفلسطينية إلى موسيقى اهليل قرارة الشعبية الجزائرية مرورا بنشاطات البدو الثقافية في بترا ووادي رم "الأردن" وموسم الطنطان في المغرب ومسرح الكابوكي في اليابان فضلا عن العديد من الرقصات والتمثيليات والمهرجانات في جميع أنحاء العالم، وتؤكد اليونيسكو على أهمية هذا التراث بالنسبة "للهوية الثقافية لهذه المجموعات" التي غالبا ما تكون أقلية أو ضعيفة، وعبر ماتسورا عن سروره بكون "الغالبية العظمى" لهذه الأعمال " آتية من دول نامية وتحديدا من القارة الأفريقية التي تشكل أحد أغني مخازن التراث الثقافي"، وجدد الأمين العام تعهد المنظمة بالمساعدة على تأمين تطبيق خطط فعالة للحفاظ على هذا التراث.

واختارت لجنة دولية مؤلفة من 18 عضوا وترأسها سمو الأميرة بسمة بنت طلال هذه الأعمال لسنة 2005 من بين 64 اقتراحا تقدمت بها دول أو منظمات دولية أملا في تصنيفها في هذه اللائحة التي تصدر كل سنتين، ومن المفترض أن تكون هذه اللائحة هي الأخيرة مع دخول معاهدة الحفاظ على التراث الثقافي قريبا حيز التنفيذ [1]

وأدان خبراء ومسئولو التراث والآثار في الدول العربية في ختام اجتماعاتهم بمقر جامعة الدول العربية في القاهرة تدمير الاحتلال الإسرائيلي وتهديده الآثار والتراث الفلسطيني،واتهم البيان الختامي إسرائيل بتدمير منهجي ومتعمد إلى جانب نهب الآثار

---

(1) http://addustour.com/news/Viewoldnews.asp?Nid=137741

من قبل قوات الاحتلال بما في ذلك التراث الإسلامي والعربي في مدينة القدس، وطالبوا الدول العربية الأعضاء في لجنة التراث العالمي بمتابعة تنفيذ التوصيات التي أقرها الاجتماع والتي تتضمن حماية الآثار والتراث الفلسطيني وترميم المواقع الأثرية التي تعرضت للتدمير وتشكيل لجنة مراقبة دائمة من اليونسكو في فلسطين للحفاظ على تراثها الإنساني والثقافي وذلك في اجتماعات لجنة التراث العالمي[1].

وقد أدان وزراء الثقافة العرب في ختام دورتهم الثانية عشرة في الرياض 2000/11/22 التصرفات الإسرائيلية العدوانية المتمثلة في طلب تسجيل مواقع أثرية فلسطينية هي مدنيتا القدس وعكا العربيتان التاريخيتان وموقع النقب الطبيعي وغيرها كمواقع إسرائيلية ضمن قائمة التراث العالمي ووصف الوزراء في بيان موجه إلى (اليونسكو) هذا التصرف الإسرائيلي غير حضاري وإن إسرائيل تهدف من ورائه تكريس سياسة الأمر الواقع على أرض فلسطين ضاربة بعرض الحائط معاهدة لاهاي 1954 ومتنكرة للمواثيق والاتفاقات الثقافية كافة [2].

كما طالبت 13 دولة إسلامية شاركت في اجتماع حول الممتلكات الثقافية الإسلامية المسلوبة في القاهرة بتاريخ 2001/6/12 بإعادة تراثها الثقافي المسلوب وخصوصاً الفلسطيني والسوري واللبناني منه، واستضافت القاهرة مؤتمراً بعنوان " الاجتماع الدولي حول الممتلكات الثقافية الإسلامية المسلوبة، وبمشاركة العديد من الدول والهيئات التي تعنى بحماية التراث الإسلامي وطالب المؤتمرين باعتماد ورقة القاهرة التي صدرت عن مؤتمر الأثريين العرب ونادت بإعادة التراث الفلسطيني ورفض المحاولات الإسرائيلية بالاستيلاء عليه "[3].

وأوصى مسئولو الآثار والتراث من 16 دولة عربية شاركت في اجتماع تنسيقي في جامعة الدول العربية برفض المشروع الإسرائيلي الذي يتضمن اعتبار الأخدود الآسيوي

---

(1) http://www.aljazeera.net/art_culture/2004/4/4-16-1.htm

(2)www.albayan.co.ae/albayan/2000/11/23/ola/17.htm

(3)www.albayan.co.ae/albayan/2001/06/13/mnw/23.htm

الأفريقي وحدة تراثية ثقافية طبيعية واحدة، وأعاد المشاركون الرفض إلى أن إسرائيـل تهـدف إلى خلق مجال للتعاون معها من جانب الدول العربية الواقعة على طرفي الأخدود الذي يمتـد مسافة سبعة آلاف كلم من جبال طوروس التركية في الشمال حتى جنوب أفريقيـا، إلى جانـب فتح الفرصة أمامها للتدخل في شؤون عشرين دولة تقع على طرفي الأخدود [1].

وكان المندوبون العـرب رفضـوا في مـؤتمر في العاصـمة الموريتانيـة نواكشـط في كـانون الأول/ ديسمبر 2003 الدعوة الإسرائيلية خلال مؤتمر لجنة التراث في باريس في حزيران/يونيـو 2003 إلى اعتبار الأخدود الآسيوي الأفريقـي وحـدة تراثيـة كاملـة، وكـان سـبب الـرفض منـع إسرائيل من تحقيق أهدافها التطبيعية مع المنطقة العربية مـن خـلال هـذا المشروع دون أن تحل سياسيا الوضع الفلسطيني[2].

مؤتمر لجنة التراث العالمي

وتشارك فلسطين باستمرار في مؤتمر لجنة التراث العالمي، الذي ينظم فعالياته في مـدن مختلفة من العالمً بحضور ومشاركة وفود تمثل عدداً كبيراً من الدول العربية والأجنبية ويقدم الوفد لائحة تضم المواقع الأثريـة والسـياحية الفلسـطينية المرشـحة للانضـمام لقائمـة الـتراث العـالمي واسـتعراض الاعتـداءات الإسرائيليـة عـلى المـوروث الثقـافي الفلسـطيني، خاصـة مـا تعرضت له المواقع الأثرية والتاريخية في المدن الفلسـطينية، إضـافة إلى الانعكاسـات السـلبية المترتبة على جدار الفصل العنصري وتأثيره على المواقع الأثريـة الفلسـطينية، وكـل مـا يتعلـق بقضايا الاعتداءات الإسرائيلية على التراث الفلسـطيني، وأن لجنـة الـتراث أقـرت في اجتماعهـا السابقة أهمية متابعة الموروث الثقافي الفلسطيني، وما تعـرض لـه مـن اعتـداءات إسرائيليـة والعمل على ضمان دعم لجنة التراث المكلفة بمتابعة متطلبات الحفاظ وحماية التراث الثقافي والطبيعي الفلسطيني.

(1) http://www.thisissyria.net/2004/04/21/arab

(2)http://www.alqanat.com/news/Shownews.asp?id=37228

وحول أبرز ما حققته اللجنة المذكورة من إنجازات في هذا الشأن أن بعثة التراث العالمي التي زارت الأراضي الفلسطينية في شهر تشرين الأول عام 2002 عملت منذ ذلك الحين وحتى الآن على تنفيذ جملة من الفعاليات الهادفة لحماية التراث الفلسطيني، منها تنظيم عدة ورش عمل شارك فيها متخصصون في التراث، حيث اطلعوا على أسس ومبادئ اتفاقية التراث العالمي وكيفية تطبيقها وآليات جمع الوثائق والمواد المتعلقة بقائمة المواقع الأثرية التي سيتم ترشيحها للانضمام لقائمة التراث العالمي، إضافة إلى الإطلاع على آليات العمل الهادفة لرفع مستوى الوعي المجتمعي بمواقع التراث وتأسيس لجنة التراث العالمي الفلسطيني.

وكانت لجنة التراث العالمي أعربت عن قلقها البالغ من التدمير الإسرائيلي المتعمد لأجزاء من البلدة القديمة في نابلس، وما نتج عن الحصار الإسرائيلي لكنيسة المهد، حيث أقرت اللجنة في اجتماع في العاصمة الهنغارية بودابست عام 2004 تخصيص 150 ألف دولار أميركي لدعم التراث العالمي الفلسطيني، والحفاظ عليه من خلال مساعدة السلطة الفلسطينية في العديد من الأعمال المتعلقة بجرد مواقع التراث ذات الأهمية العالمية والاستثنائية، وتقويم حالة هذه المواقع ومعايير حمايتها، وهناك جملة من الأنشطة يجري تنفيذها من قبل اللجنة في مجال الإعداد لورش العمل الهادفة إلى تفعيل الدور المجتمعي والمؤسساتي في مجال الحفاظ على التراث وإعداد الترتيبات اللازمة لإنجاز قائمة بأسماء خبراء فلسطينيين مختصين في التراث الثقافي ودعم الجهود الرامية إلى بناء قدرات الكوادر العاملة في دائرة الآثار والتراث الثقافي[1].

وطالبت الدول العربية بمخاطبة المنظمات الدولية المعنية والدول الأعضاء في لجنة التراث العالمي باليونسكو ومدير المنظمة للتدخل العاجل لحماية المواقع الأثرية والتاريخية والدينية بالأراضي الفلسطينية، وضرورة تطبيق اتفاقية التراث العالمي لعام 72 والتي تنص على حماية التراث العالمي في حالة نشوب النزاع المسلح واتفاقية جنيف الرابعة لعام 49

(1)http://www.minfo.gov.ps/Culture/Arabic/24-10-04.htm

والبروتوكولات الإضافية ذات الصلة باليونسكو والمعاهدات الدولية التي تنص على حماية التراث العالمي وتبنى حملة دولية لإنقاذ التراث الفلسطيني المعرض للخطر والمعتدى عليه من جانب القوات الإسرائيلية ودعوا الدول العربية أيضا لتقديم الدعم المادي والفني لإنجاح هذه الحملة العاجلة ووقف وإدانة الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات المسيحية والإسلامية وفى مقدمتها كنيسة المهد والمسجد الأقصى، واحترام جميع المقدسات الدينية وإتاحة الفرصة أمام الجهود الدولية الملحة لإنقاذ احد المقدسات المسيحية الهامة التي تعرضت أجزاء منها للدمار والتي تعتبر جزءا من التراث الإنساني العالمي[1].

وتضافرت الجهود الدولية لحماية التراث الثقافي من خلال الاتفاقيات الدولية التي رعتها وقد تم التصديق على اتفاقية حماية التراث الثقافي في حالات النزاعات العسكرية التي وقعتها 66 دولة وتم اعتماد اتفاقية تحريم تصدير الكنوز الثقافية التي وقعتها 38 دولة عام 1970م. وتكتسب وثيقة حماية الثروة الثقافية والطبيعية أهمية خاصة وفي عام 1972 شكلت اللجنة الدولية للصندوق الخاص وهي تقوم بالمحافظة على قائمة التراث العالمي [2].

ومن خلال المؤتمرات الدولية يتم اتخاذ القرارات فيما يتعلق بالتراث العالمي الذي يخص الانسانية جمعاء ويتسم بصفات وقيم قابلة للاهتمام العالمي، ومن أحد أهداف مؤتمر عام 1972 تاسيس نظام فعال ومؤثر بشكل جماعي لحماية الثقافة والتراث على اسس عالمية منظمة وثابتة تنسجم وتتطابق العصر بطرق علمية، مما يشجع ويساهم على تقريب نموذج للفهم موحد للتراث في مختلف انحاء العالم [3].

(1) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2002/issue121/light/3.htm

(2) عبد الحكيم بدران. مرجع سابق، ص193.

(3) Graham, Brian, G.J. Ashworth and J.E. Tunbridge (2000) AGeography of Heritage. London: Arnold. Graham, Stephenm,p 237.

ب- الايسيسكو

تقدم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الايسيسكو» الدعم للسلطة الوطنية الفلسطينية من خلال اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم وهي الجهاز المعتمد من قبل السلطة الفلسطينية للتعامل معها، وبالنسبة لقضية الترميم والصيانة في القدس، فهناك معوقات كبيرة تضعها سلطات الاحتلال في وجه المنظمة وفي وجه المنظمات الدولية، ومع ذلك تواصل المنظمة دعم فلسطين والقدس لحماية وصيانة المقدسات، مطالبة الحكومات الإسلامية القادرة للقيام بدورها في تقديم الدعم في هذا الشأن لأن عمل «الايسيسكو» محدود بإمكانياتها[1].

والقيام بوضع خطة عربية عاجلة متكاملة لتوثيق وصيانة وترميم مدينة القدس التاريخية والمطالبة بدعم الدول العربية للمؤتمر الدولي لحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين والذي تعقده «الايسيسكو» والذي يهدف لوضع خطة عمل أكاديمية لحملة إعلامية للتعريف بقضية القدس بالدول الغربية [2].

كما أن «الايسيسكو» أول مَنْ أدان ما تعرض له التراث العراقي من تدمير وسرقة بعد الاحتلال «الأنجلو أمريكي»، ونددت بالاحتلال، وشكلت أول لجنة تعنى بالتراث العراقي و«الايسيسكو» حريصة كل الحرص على هذا التراث الحضاري بالعراق لأنه جزء مهم من التراث الحضاري الإسلامي والإنساني، وتحذر قوات الاحتلال من أي مساس بهذا التراث كما أن التراث الذي دُمر لا يمكن عمل شيء له سوى مطالبة مَنْ دمره بالتعويض، أما الذي سُرق فيجب على مَنْ سرقه إعادته وقد طالبت «الايسيسكو» مع «اليونيسكو» بإعادة التراث المسروق، وتم ضبط العديد من القطع الأثرية والتراثية على الحدود العراقية الأردنية والسورية و«الايسيسكو» على اتصال دائم مع الجهات المعنية في العالم ودول الجوار لضبط ما تم سرقته وإعادته للعراق[3].

---

(1) http://www.dicd.ae/vArabic/articledetails.jsp?objectID=7413&issueid=7362

(2) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2002/issue121/light/3.htm

(3)http://www.dicd.ae/vArabic/articledetails.jsp?objectID=7413&issueid=7362

وعلى الرغم من امتلاك العالم الإسلامي لعدد ضخم من المواقع التراثية والحضارية إلا أن أعداد هذه المواقع المسجلة على قائمة التراث العالمي لا تتناسب مع هذه الإمكانيات ولقد انتهت «الايسيسكو» من وضع برنامج عمل خاص بهذه القضية وعقدت اتفاقية خاصة مع «اليونيسكو» وبالتعاون مع الدول الإسلامية لتقديم قوائم بهذه المواقع التي لم تسجل حتى نتمكن من ضمها لقائمة التراث العالمي والعالم الإسلامي مطالب بالحفاظ على ما لديه من تراث حضاري ورعايته وترميمه بكل أنواعه وبكل عصوره الحضارية.

ج- الاليكسو

دعا المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الالكسو" عام 2004 الدول العربية إلى اتخاذ موقف عربي موحد وقوي في اجتماعات المجلس التنفيذي لـ"اليونسكو" واجتماعات لجنة التراث العالمي في شأن القدس، وشدد المؤتمر على ضرورة التأكيد على أن القدس أرض عربية محتلة، للتعبير عن الموقف العربي الواحد والراسخ من عروبة القدس والمطالبة بتمثيل الدول العربية في الاجتماعات التحضيرية للجنة التراث العالمي ودعا المؤتمر والتي شارك فيها وفد فلسطين إلى الاستمرار في تقديم الدعم المالي والمعنوي للمؤسسات التربوية الثقافية والعلمية الفلسطينية، والتعاون مع اللجنة الوطنية الفلسطينية، في تنفيذ المشروعات التربوية والثقافية والعلمية الفلسطينية ذات الأولوية، وحث المؤتمر على مواصلة التعاون مع خبراء عرب في وضع تصور عربي موحد بشأن القضايا المطروحة في اللجنة ودعم الجهود الفلسطينية لوضع القائمة التمهيدية للتراث الثقافي والطبيعي الفلسطيني إعداداً لتسجيله على قائمة التراث العالمي، ووضع كتيبات وأقراص مدمجة حوله للتعريف به وإنشاء موقع له على الإنترنت، وأهمية مواصلة العمل على إقامة المعرض المتنقل لصور الآثار العربية الإسلامية في القدس، ومتابعة اتصالاتها للحصول على تمويلات إضافية لهذا المشروع المهم، كما دعا المؤتمر إلى تكثيف العمل الإعلامي حول القضية الفلسطينية والتهديدات الإسرائيلية لعروبة القدس، والممارسات الإسرائيلية العنصرية ضد الشعب الفلسطيني وأبناء الأراضي

العربية المحتلة في الجولان السوري المحتل وجنوب لبنان، أمام الرأي العام العربي والدولي.

وفي مجال التراث الثقافي، فقد أدت هجمة المحتلين الشرسة إلى استهداف وتدمير المواقع التراثية الأثرية في فلسطين، كما هو الحال في تدمير جزء كبير من البلدة القديمة في نابلس وكذلك الخليل وبيت لحم والقدس الشريف، حيث تم هدم مئات المباني الأثرية والدينية، التي تعود إلى العهود الرومانية والإسلامية، خاصة ضد المؤسسات التعليمية والمراكز والأماكن الثقافية في فلسطين وخاصة الآثار في العديد من المدن الفلسطينية، وبصورة أكثر خصوصية تراث مدينة القدس المحتلة [1].

وفي الوقت الذي يوجد فيه من يشيد بعبقرية اليهود ويجعل إسرائيل ضمن الحضارات القديمة الكبرى، يتعرض التراث الفلسطيني للنهب والتلف والضياع ويواجه خطراً محدقاً يتربص بقيمه العلمية والتاريخية، ففي القدس تراث مخطوط يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الأيوبية التي ازدهرت في عهدها المدارس والمساجد والكنائس وحركة الترجمة والتأليف وظهرت أول دار عامة للكتب في فلسطين عام1147م، كما ظهرت في بداية القرن الثامن عشر الميلادي مكتبات عدة تدل عليها عناوين الفهارس الموجودة في فلسطين كفهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية الذي يعود إلى عام1781 وفهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في جامع يافا الكبير ويرجع إلى عام1812 م، وفهرس المكتبة الخالدية في القدس ويعود تاريخه إلى عام1900 وفهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمي في الخليل إضافة إلى بعض المكتبات العائلية التي بدأت بالانتشار من مطلع القرن العشرين.

(1) http://www.minfo.gov.ps/Culture/Arabic/20-12-04.htm

الإعلان الأمريكي المقترح بشأن حقوق السكان الأصليين

أقرته اللجنة الأمريكية لحقوق الإنسان في 26 فبراير 1997 في جلستها رقم 1333- الدورة العادية رقم 95 القسم الثالث: التنمية الثقافية مادة 7 الحق في الحفاظ على الثقافة [1].

- للسكان الأصليين الحق في الحفاظ على ثقافتهم، وتراثهم التاريخي والأثري اللازم لوجودهم وهوية أفرادهم.
- للسكان الأصليين الحق في استرداد ممتلكاتهم التي سلبت منهم – وإذا لم يكن هذا ممكناً – يتم تعويضهم على أساس لا يقل عن معيار القانون الدولي.
- تعترف الدول وتحترم كافة طرق الحياة للسكان الأصليين وعاداتهم وتقاليدهم وكافة أشكال تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومؤسساتهم وممارساتهم ومعتقداتهم وقيمهم وأزيائهم ولغاتهم.

(1) (http://www.umn.edu/humanrts/arab/am9.html

2- المعارض المحلية والإقليمية والدولية التراثية

يتمتع التراث الشعبي الفلسطيني بمكانة كبيرة في الذاكرة الفلسطينية لما له من أهمية ترتبط بالتاريخ والجذور والهوية التي تتعرض للتهويد يوما بعد يوم، ويزداد الخطر على هذا التراث في ظل الظروف الحالية التي يمر بها الشعب الفلسطيني، ومن أجل التعريف بالتراث الشعبي الفلسطيني وحمايته، تنظم المعارض المحلية والدولية، إذ تحتل التوعية والتثقيف بالتاريخ والتراث الفلسطيني أهمية كبيرة في معركة الدفاع عن الأرض الفلسطينية، فالأغنية والصورة والثوب الفلسطيني وغيرها من المعروضات تشكل لوحة فسيفسائية لشعب حي ومؤمن بعدالة قضيته[1].

أهداف المعارض

- كسر البعد الثقافي للحصار المفروض على الشعب الفلسطيني.
- إحياء التراث الفلسطيني والاهتمام به.
- إتاحة الفرصة لفهم أفضل للحياة الفلسطينية.
- التعريف بالتاريخ الفلسطيني وجذور الصراع الدائر في فلسطين.
- التعريف بالمشاكل والمعيقات التي تواجه مسألة إحياء التراث الفلسطيني.

محتويات المعارض[2]:

- المطرزات الفلسطينية المتنوعة.
- الموسيقى والأغاني الشعبية الفلسطينية.
- أشرطة الفيديو والأقراص المدمجة الخاصة بالتراث الفلسطيني والدبكة الفلسطينية.
- صور الأماكن المقدسة في فلسطين.
- صور لفلسطين عبر التاريخ الحديث.
- صور للمدن الفلسطينية.
- العملة الفلسطينية.

---

(1) http://www.najah.edu/english/Youth%20Prog/default.asp

(2) http://youth.zajel.org/ar/galleries4.htm

- الحلويات الفلسطينية.

- خرائط فلسطين عبر التاريخ.

- قصائد شعرية، أمثال شعبية وقصص قصيرة للأدباء الفلسطينيين المعاصرين.

- عروض الكترونية عن الحياة الراهنة في فلسطين.

معرض الجامعة الإسلامية "من ضيع التراث ليس له بيننا ميراثا " وتنظم الجامعة الإسلامية معرض التراث الفلسطيني سنوياً تحت شعار "من ضيع التراث ليس له بيننا ميراث"، وتتحول ساحات الجامعة الإسلامية ومرافقها إلى لوحات تراثية، و زاد ذلك أن تصميم مباني الجامعة الإسلامية من الشكل الخارجي مستلهم من واقع التراث العربي الإسلامي والدوافع التي تقف وراء تنظيم معرض التراث الفلسطيني، تتمثل في كون التراث العربي الفلسطيني يشكل جزءاً أساسياً من ذاكرة الأمة العربية والإسلامية، وذلك لأنه يمثل لبنة من لبنات الحضارة الإنسانية بمظاهره الفكرية والمعرفية والمحافظة على التراث الشعبي يظل علماً من أعلام الحضارة الإنسانية، ناهيك عن توعية وتثقيف المجتمع الفلسطيني بكافة فئاته بأهمية التراث الفلسطيني في حفظ الحق التاريخي للشعب والأمة بأسرها [(1)].

وإبراز دور الجامعة في الحفاظ عليه، علاوة على الحفاظ على الذاكرة الفلسطينية وتوعية وتثقيف المجتمع الفلسطيني بتراثه مع كل ما يحتويه من عزة وفخر، إضافة إلى توطيد علاقة الجامعة بالمؤسسات التراثية، وإظهار إبداع طلبة الجامعة الإسلامية في الحفاظ على التراث وفيما يتعلق بأركان المعرض، يذكر أنها تشمل :المطرزات والملابس الفلسطينية والأثاث الفلسطيني، والمقتنيات الشخصية الفلسطينية، إلى جانب البساط والسجاد الفلسطيني والرسومات، والفخاريات والفنون اليدوية الفلسطينية، وكذلك الأدوات الزراعية المستخدمة في التراث الفلسطيني، وصور حية من العادات والتقاليد الفلسطينية الأصلية وتتضمن فعاليات المعرض العديد من اللقاءات والحلقات الثقافية

(1) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&task=view&id=9646& sectionid=1

ذات العلاقة بالتراث الفلسطيني، بحيث تغطي الجوانب الفكرية والمادية للتراث، وذلك من خلال العديد من المحاور الثقافية التي يشتمل عليها المعرض [1].

وأن التعرف على التراث الفلسطيني يساهم في التعرف على الهوية الفلسطينية، ويدفع باتجاه الاعتزاز بالتاريخ والثقافة الفلسطينية، ويشكل المعرض تواصلاً بين الأصالة والمعاصرة والتأكيد على أهمية مكونات الوعاء الثقافي للأمم، إضافة إلى دور الأجيال الشابة في الحفاظ على التراث وأهمية التعاون بين مؤسسات المجتمع المختلفة من أجل الحفاظ عليه[2].

معرض الصور التراثية (طولكرم 15-10-2005)

نظمت وزارة الثقافة والمركز الفلسطيني لتنمية الطفل في محافظة طولكرم، معرض الصور التراثية تحت عنوان: تراثنا وآثارنا بالذاكرة، وذلك ضمن فعاليات أسبوع التراث الفلسطيني الذي تنظمه الوزارة، وأشتمل المعرض الذي أقيم في قاعة المركز الثقافي في المدينة على صور فوتوغرافية للمواقع الأثرية القديمة والأدوات التراثية وصور المدن الفلسطينية ولوحات فنية برسم يدوي، وعرض فيديو لقرية كور جنوب طولكرم التي تعتبر قرية أثرية تضم العديد من الآثار القديمة، وأكد المعرض على أن شعبنا يتعرض منذ قرن من الزمان أو يزيد لمحاولات النفي والتغريب والاقتلاع وتشويه إبداعاته المنبثقة من التصاقه بالأرض والتفاعل معها، ويخوض معركة الدفاع والحفاظ على التراث الفلسطيني كفاعل أساسي نحو التحرر وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وتعمل وزارة الثقافة على تشجيع الفرق التراثية الشعبية ودعم مراكز الأبحاث المتعلقة بالتراث بكل أشكاله على امتداد الوطن، وستعتمد الوزارة على وضع قانون جديد يطبق في فلسطين لأول مرة، وهو قانون حماية التراث الفلسطيني، ومن خلال

(1) http://www.arabsline.net/vb/showthread.php?t=14185

(2) http://www.iugaza.edu.ps/ara/newsdetails.asp?newsid=702

الاتفاقية الثقافية التي تعقدها مع مختلف الدول العربية والأجنبية، وتحرص الوزارة على أن يكون تراثنا العريق وحمايته ونشر التوعية بنداً أساسياً وجوهرياً من هذه الاتفاقيات.

وأن العدوان الإسرائيلي المتواصل على الإرادة الفلسطينية لم يتوقف عن قتل الإنسان واغتصاب الأرض وتهويدها فحسب، وإنما امتد أيضاً إلى نهب وسرقة وتزييف التراث الفلسطيني، وهو ما يعني أن معركة صمودنا على أرضنا وإصرارنا على حقوقنا واستقلالنا وبناء دولتنا، ترتبط جدلياً مع معركة حماية تراثنا ونشره ودراسته[1].

3- الفرق الفنية التراثية

أ- فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية

فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية فرقة راقصة غنائية تستلهم التراث الفني الإنساني عموما والتراث الشعبي العربي - الفلسطيني خصوصا، لبناء أعمال فنية فلكلورية ومعاصرة تعبر عن مشاعر وأحاسيس مبدعيها وتساهم في إحداث التغيير في الإنسان والمجتمع من خلال ممارسة فنية جمالية[2].

تأسست فرقة الفنون عام 1979 بجهود مجموعة من الشباب والشابات المبدعين والواعدين عملت هذه المجموعة على تقديم أشكال الفن الشعبي الفلسطيني من موسيقى ورقص، بأسلوب مميز ومنذ ذلك الحين، توجت الفنون الفرقة الرائدة للرقص الشعبي الفلسطيني، ولقد حققت الفنون بين الفلسطينيين في الوطن كما في الشتات، شعبية لم يسبق لها مثيل وباتت أغانيها ورقصاتها يشدوها الفلسطينيون أو يرقصونها في بيوتهم ومدارسهم ومناسباتهم الاجتماعية حاصدة في مسيرتها العديد من الجوائز الأولى وشهادات التقدير المميزة من مهرجانات محلية ودولية.

ولعبت الفنون منذ نشأتها دوراً مميزاً في إحياء التراث الموسيقي والراقص التراثي الفلسطيني وتكمن أهمية هذا الدور في وقوفه بمواجهة الممارسات الإسرائيلية الممنهجة

(1)http://www.wafa.pna.net/body.asp?id=67994

(2) http://www.el-funoun.org/arabic/arabic.html

لطمس الهوية الفلسطينية وفي هذا السياق فإن الاحتفال السنوي بيوم التراث الفلسطيني والذي بادرت لإطلاقه "الفنون" في العام 1986، لهو خير دليل على دورها هذا [1].

وواجهت الفرقة عبر مسيرتها تحديات عديدة، تكمن من ناحية في كونها فرقة فنية راقصة انطلقت من مجتمع تقليدي محافظ قابع تحت الاحتلال ومن جهة أخرى مواجهة الممارسات الإسرائيلية القمعية التي طالت أعضاء الفرقة الذين تعرضوا للاعتقال أو الحرمان من السفر إضافة إلى التمييز ضد المرأة وعدم التجاوب مع مقتضيات التغيير الاجتماعي والثقافي، كل هذه التحديات التي واجهتها الفرقة لم تثنها عن الاستمرار في العطاء والتغلب على كافة الصعوبات إلى أن حازت على تقدير فلسطيني وعربي وعالمي في كل المحافل التي قدمت فيها نتاجها الفني الأصيل [2].

ومنذ ولادتها، حرصت الفنون على الجمع بين الأصالة والمعاصرة من خلال مزيج من الرقص المستوحى من الفلكلور والرقص المستحدث الخاص بالفرقة، فجاءت أعمال الفرقة معبرة عن روح التراث الشعبي وعن ثقافتنا الحاضرة، ويحوي سجلّ الفرقة أنماط الرقص التراثي (الدبكة) بالإضافة إلى أشكال متنوعة من الرقص، تعكس في تصميمها رؤية الفرقة الخاصة للرقص الفلسطيني المعاصر.

وأنجزت الفرقة ثمانية أعمال فنية في تاريخها الحافل: "لوحات فلكلورية"، "وادي التفاح" "مشعل" "أفراح فلسطينية"، "مرج بن عامر"، "طله ورا طله"، "زغاريد"، و"حيفا بيروت وما بعد" بالإضافة لبعض الرقصات التجريبية التي تسبق كل عمل فني جديد لتحديد مساره.

ومارست الفنون الدور الأبرز بين المؤسسات الثقافية في إحياء التراث الموسيقي والراقص للشعب العربي الفلسطيني، وقد كان هذا الإنجاز ولا يزال مصدر فخر للفرقة إذ أنها من خلال هذا الدور شاركت في التصدي للمحاولات المنهجية من قبل الاحتلال الإسرائيلي لقمع الشخصية الثقافية الفلسطينية ولمصادرة رموز الهوية الفلسطينية، وتؤمن فرقة الفنون في بناء جسور ثقافية مع العالم لتعزيز الحوار الحضاري، ولتبادل الخبرات

---

(1)http://www.el-funoun.org/arabic/beginning/beginning.html

(2) http://www.alhadafmagazine.com/details/pagehadaedu.asp?idopject=286

والأفكار والتقنية الفنية وكذلك لتمثيل الفن الفلسطيني في الخارج رغم محاولات العزل والحصار[1].

ب- فرقة براعم الفنون:

فرقة براعم الفنون وهي فرقة أطفال ويافعين للفولكلور الفلسطيني من البيرة قضاء رام الله تتضمن 25 راقص متطوّع (ذكور وإناث، تتراوح أعمرهم بين 10 و15 عاماً)، وقد قامت الفنون بإنشاء هذه الفرقة في 1986 من أجل دعم الهوية الثقافية العربية-الفلسطينية وللحد من التهميش والانعزال الذي يعاني منه الأطفال والشباب الفلسطيني عن طريق التعبير الموسيقي والرقص الشعبي وهي تشارك في التنمية الثقافية للمجتمع الفلسطيني من خلال تقديم رقصات تعبر عن الأمل والحياة وتقوم فرقة الفنون بتصميم الرقصات المستوحاة من الدبكة الشعبية وتعكس الحياة في فلسطين، وقد سبق لبراعم الفنون أن شاركت وأدّت رقصاتها في عدد من الأنشطة المحلية والإقليمية والدولية [2].

حفاظاً على إحياء التراث الفلسطيني والفنون الشعبية ونشر الثقافة الوطنية والديمقراطية داخل المجتمع قام عدد من المهتمين بتكوين جمعية خيرية تمثلهم وتنوب عنهم لدى النقابات والمؤسسات الوطنية وغيرها في الداخل والخارج وذلك من خلال الندوات واللقاءات الثقافية والدورات التدريبية والتأهيلية وإقامة برامج توعية لتأهيل الشباب والأطفال بهدف تنمية مواهبهم وإكسابهم الخبرات اللازمة والعمل على تشكيل فريق مسرحي متميز وإنشاء مكتبة ثقافية جادة وغنية ترتقي بالإبداع عن طريق إثراءه وتفعيله ومساعدة الجيل الفلسطيني في هذه الجوانب [3].

ج- فرقة أصايل للفنون الشعبية الفلسطينية:

تأسست في عام 1995 وشاركت في العديد من المهرجانات الدولية منها مهرجان الفن الشعبي باليونان ومهرجان العقبة الثاني بالأردن ومهرجان بابل 2000 و2001

---

(1) http://www.el-funoun.org/arabic/about/about.html

(2) http://www.escwa.org.lb/arabic/main/pal/sevents.html

(3)http://www.capha.org.ps/capha/detalse.asp?dep=about

بالعراق ومهرجان اليمن بالإضافة إلى مهرجان مسقط 2005 والمشاركة الفعلية بالعديد من المهرجانات المحلية والفرقة تتألف من 47 عضوا ما بين شاب وفتاة وهم من المتطوعين من أجل الحفاظ على التراث الفلسطيني من الاندثار في ظل الاحتلال، وقد أبدعت الفرقة بتقديم 4 لوحات فنية من الفن الشعبي الفلسطيني وهي لوحة البيادر وعالبال يا حيفا ولوحة الفرح الفلسطيني ولوحة العرس الفلسطيني، والجناح الفلسطيني المشارك بالمعرض الدولي بميدان المهرجان بالعذيبة يلقى إقبالا كبيرا من قبل جميع زوار المهرجان وضيوفه والذين يبدون اندهاشهم بالمعروضات الفنية التراثية الفلسطينية والتي تعبر عن مدى الصمود للشعب الفلسطيني بوجه الاحتلال الإسرائيلي والعمل على إحياء هذا التراث من العبث والاندثار والتي تقوم بحياكتها أمهات الأسرى والمعتقلين وأمهات الشهداء [1].

د- فرقة ليالي بلدنا الفلسطينية

قدمت الفرق الشعبية لمهرجان عجائب صيف قطر 2005 طابعا ثقافي، من خلال ما تحمله من عروض تراثية، ورقصات معبرة عن الأقاليم والمناطق التي يقدمون منها فنونهم وحركاتهم الشعبية «الدوحة والصيف» العروض الثقافية المستوحاة من عراقة التراث وأصالته، وكانت وقفة العرض الأول مع فرقة ليالي بلدنا الفلسطينية، التي قدمت أجمل عروضها الفنية على مسرح السيتي سنتر وعادت بالجمهور إلى الزمن الجميل في فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلي، وأن الإقبال الجماهيري الملحوظ على الرقصات الفلسطينية والدبكات المتنوعة زاد من حماس أعضاء الفرقة في تقديم المزيد من الفنون الأدائية، فهناك جمهور ذواق ومستمع إلى التراث الفلسطيني وخصوصا السياح الأجانب الذين يتجاوبون مع الدور الفلسطيني في الحفاظ على تراثه، وأن الفرقة شاركت لأكثر من أربعة عروض في قطر والعديد من المهرجانات سواء الثقافية أو الفنية أو الخاصة بالطفولة، والفرقة تحرص أيضا على المشاركة المستمرة، لتحافظ على الجمهور القطري،

(1)http://www.mctmnet.gov.om/mainsite/webservices/mmnews/read_news_item.asp?ID=1250

وأن الفرقة قدمت على مسرح كيوتل بالسيتي سنتر ست لوحات شعبية مستوحاة من التراث الفلسطيني هي: الدبكة الشمالية والدبكة الشعراوية، والطيارة، ودبكات السواحل بالإضافة إلى اللوحات الوطنية، والتي يطلبها الجمهور القطري والعربي كثيرا، كما تقدم هذه الفرق عروضها في أزيائها الشعبية المعروفة بالزي «القمباز» أو «الدماية» الفلسطينية [1].

مركز عمارة التراث

يعني مركز عمارة التراث الذي تأسس عام 2000 بالجامعة الإسلامية بالحفاظ على الموروث الثقافي المعماري، من خلال عمليات الترميم الممنهجة وبرامج التوعية المجتمعية وكذلك يهدف المركز إلى توعية الإنسان الفلسطيني بموروثه الثقافي المعماري وبأهميته الحضارية والتاريخية حرصاً على بقاء الهوية التاريخية للأرض والمكان، ويعمل فريق المركز منذ النشأة على انجاز فكرة أرشيف يضم المعلومات الأساسية عن المعالم والمواقع التاريخية والأثرية لقطاع غزة، ويحتوي هذا الأرشيف على مجموعة من البيانات التوثيقية والصور الفوتوغرافية والمخططات التي تصف المبنى الأثري من حيث موقعه الجغرافي وحالته الإنشائية والأضرار الواقعة عليه.

ويهدف المركز إلى الحفاظ على المناطق التاريخية من خلال عمليات الترميم المعماري والتأهيل الحضري للموروث الثقافي المعماري و تكوين قاعدة فنية للترميم المعماري في قطاع غزة، تحتوي على الخبرات والأجهزة اللازمة لإعداد الدراسات والمشاريع وتأسيس أرشيف لتوثيق وتسجيل المباني التاريخية في قطاع غزة ونشر الوعي الثقافي بالمحافظة على الموروث التاريخي الفلسطيني[2].

---

(1) http://www.al-watan.com/data/20050720/index.asp?content=local2

(2) http://www.iugaza.edu.

برنامج زاجل للتبادل الشبابي الدولي:

تأسس البرنامج عام 2001 في دائرة العلاقات العامة في جامعة النجاح الوطنية من أجل تطوير الأداء الإعلامي الفلسطيني الناطق باللغة الإنجليزية، وقد أطلق على البرنامج هذا الاسم (زاجل) لما تتضمنه هذه الكلمة من مدلولات تاريخية وثقافية، كما أنها تتضمن جوهر المهمة التي أسس من أجلها هذا البرنامج، وهي إيصال الرسالة الإعلامية الفلسطينية إلى الغرب بشتى الوسائل المتاحة، والتي تصب في سبيل إطلاع الغرب على حقيقة الأوضاع التي يمر بها الشعب الفلسطيني بعيداً عن التشويه الإعلامي الذي تقوم به العديد من الوسائل الإعلامية الغربية [1].

أهمية أحياء التراث

أن الوعي بالتراث وإحيائه، لا أن نعود بحاضرنا ومستقبلنا فنصبهما في قوالب الأمس البعيد ولكنه يعني:

- أن نبصر جذور الغد الذي نريده مشرقاً، في الصفحات المشرقة من التراث.
- وأن نجعل العدل الاجتماعي –الذي نكافح من اجله- الامتداد المتطور لحلم أسلافنا بسيادة العدل في حياة الإنسان.
- وأن نجعل "العقلانية المؤمنة" في تراثنا زاداً طيباً وروحاً سارية تفعل فعلها في يومنا وغدنا فبذلك يصبح تراثنا روحاً سارياً في ضمير الأمة وعقلها، تصل مراحل تاريخها،وتدفع مسيرة تطورها خطوات وخطوات إلي الأمام، وبذلك وحده يصبح التراث طاقة فاعلة وفعالة وليس "ركاماً" [2].

ولعل من المظاهر القوية لهذه الصحوة: الإقبال الكبير على تحقيق النصوص التراثية ونشرها تتعاون في ذلك المؤسسات الجامعية والعلمية والتجارية، ورغم أن ذلك

(1)http://youth.zajel.org/ar/galleries4.htm

(2) محمد عمارة. التراث والمستقبل. ط2 (القاهرة: دار الرشاد، 1997) ص 5.

يتم بصورة عشوائية إلى حد ما، من حيث عدم الوضوح الاستراتيجي، وعدم تقديم الأولويات، بل عدم الاتفاق علي قواعد نشر محددة فان ذلك سيؤدي حتما إلي تكامل المكتبة العربية القديمة، مما يهيئ المجال أمام الباحثين القيام بدورهم في التحليل والتركيب، بغيه وصل الحاضر بالماضي وفي الوقت نفسه دفع الحاضر إلي الأمام للحاق ببقية المتسابقين بالاعتماد على تقوية الجذور وتحديد الهوية خوفاً من الضياع [1].

وإحياء التراث تجميعاً يضعه تحت مجهر البحث والتحليل، لا تكديساً يحنط في متاحف التبرك والتقديس، وذلك يقتضي الجد للتوسع في وضع مزيد من الفهارس الوصفية (البيبليوغرافية) للمخطوطات العربية، وأماكن وجودها في مكتبات العالم، وتيسير الحصول على صور منها للباحثين واستخدام تقنيات العصر الالكترونية من حواسيب ووسائل اتصال لتسهيل ذلك والانتقاء من التراث حسب مناهج ترتيب الأولويات فتقدم العلوم التي مازالت تنبض بالحيوية، وتدعو الحاجة إليها.

وإعادة بناء التراث وهو الهدف الأسمى، الكبير والنهائي من تحقيق التراث، ويمكن أن يجري على مراحل[2]:

أولاً: وضع فهارس موضوعية شاملة على أحدث طرق الفهرسة التي تقوم على إيجاد مكنز عربي موحد يتضمن رؤوس الموضوعات لكافة العلوم، مع تفريعاتها، وتطبيق هذه المكانز، على جميع كتب التراث.

ثانياً: بناء قاعدة معلومات تلم شتات التراث، على ضوء هذه المكانز، تقدم المعلومات للباحثين موضحة مراجعها ومكان وجودها.

ثالثاً: اختزال التراث على شكل موسوعات في كل موضوع على حدة، تقدم المعلومة معجمياً بعد غربلة المعلومات لاستخلاص أصحها وأوثقها، وتخليصها من التكرار والخطأ والتناقض.

---

(1) أكرم العمري.مرجع سابق. ص37.

(2)http://www.alghad.jo/?news=33551

المجال الاجتماعي والثقافي

ولربط أبناء الجالية بثقافة الوطن والمحافظة على الرصيد الحضاري والتراثي لشعبنا وتداعياته مع احترام المجتمعات المضيفة عبر[1]:

- إقامة معارض عن التراث الفلسطيني.
- نشر ثقافة العودة والاستفادة من المؤسسات الثقافية القائمة كدار الشجرة للذاكرة الفلسطينية التي يتركز نشاطها على الشباب والأطفال والجيل الذي ولد خارج فلسطين لتقدم له معلومات عن فلسطين وعن الثقافة الفلسطينية وعن تجربة شعبنا الفلسطيني وكيفية خروجه من فلسطين وتجربة اللجوء التي عاشها أبناؤه، وكيف استطاعوا ترجمة هذه المعاناة إلى فعل نضالي يومي يعيش معهم باتجاه حلم العودة وبناء الوطن الكبير الذي نسعى لتحريره كفلسطينيين.
- تنظيم أمسيات شعرية وأدبية فلسطينية خاصة بإبداعات أبناء الجالية.

إحياء المناسبات الثقافية ذات الدلالات المرتبطة بواقع شعبنا مثل يوم التراث الفلسطيني (6 تشرين أول/أكتوبر) ويوم الأرض (30 آذار/مارس) ويوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني (29 تشرين ثاني/نوفمبر).

- تنظيم رحلات متبادلة بين الأجيال الشابة من وإلى فلسطين[2].

أهمية الأرشيف [3]

عمل مركز الفن الشعبي منذ الأول من تشرين الثاني لعام 1994 على جمع الموسيقى والأغاني الشعبية الفلسطينية، وذلك بهدف توثيقها وأرشفتها، من أجل الحفاظ عليها من ناحية وتمكين المؤسسات الثقافية المختلفة (مثل الجامعات والمعاهد ومراكز

---

(1)http://www.amin.org/views/uncat/2004/dec/dec235.html

(2) http://www.arabmail.de/DrHamam_Articlel23.12.04.html

(3) http://www.populartcentre.org/arabic/activities/activities.html

الأبحاث والفرق الفنية المختلفة وغيرها) مـن اسـتخدام هـذه المـادة في الدراسـة والبحـث في مجال الفلكلور الفلسطيني والثقافة الفلسطينية من ناحية أخرى.

وتكمن أهمية هـذا المشروع في أنـه يحفـظ الـتراث الفلسـطيني مـن عمليـة الانـدثار والضياع التي يتعرض لها بفعل عوامل مختلفة، فهناك محاولات الاحتلال الإسرائيلي المسـتمرة لطمس معالم الهوية الفلسطينية من خلال طمس تراث الشعب الفلسطيني وسرقته وتجيـيره لصالحه وبالمقابل هناك تخوف مـن ضـياع هـذا الـتراث بفعـل تقـادم الجيـل الأول وتعرضـه لنسيان هذا التراث أو للوفاة آخذين بعين الاهتمام التغيير الذي جـرى عـلى نمـط المناسـبات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني.

محتويات الأرشيف الإلكتروني للتاريخ الشفهي

وقد أنجز طاقم العاملين في المشروع ما مجموعـه 220 سـاعة تسـجيل تشـمل الأغـاني والموسـيقى التقليديـة للمناسـبات الحياتيـة المختلفـة مـن أنحـاء فلسـطين كافـة، فضـلاً عـن مجموعة من الصور الفوتوغرافية وتسجيلات الفيديو والتي تـم توثيقهـا طـوال فـترة البحـث وتم الاحتفاظ بهذه المواد على أشرطة مشفرة (DAT) بالتعاون مع مركز التدريب الإذاعي في جامعة بيرزيت.

وتـم إنشـاء المكتبـة السـمعية في المركـز ليـتم حفـظ هـذه المـادة القيمـة إذ تعـد الأرشيف الوحيـد للموسـيقى والأغنيـة الشـعبية الفلسـطينية، ويحتـوي الأرشـيف في المكتبـة السمعية البصرية على تسـجيلات صـوتية تتضـمن مقطوعـات مـن الزجـل الشـعبي، وأغـاني المناسبات الاجتماعية والآلات الشعبية الموسيقية والأناشيد الدينية والأغاني النسائية الشعبية، إلى جانب أشرطة فيديو تحتوي تسجيلات لمقطوعـات مـن مناسـبات اجتماعيـة ومقطوعـات غنائية وموسيقية لفنانين أفراد.

قامت مؤسسة "شمل" بتصـميم قاعـدة معلومـات متخصصـة في الأرشـيف الإلكـتروني للتاريخ الشفهي وهو يضم مواد مشتركة جمعت مـن قبـل أفـراد بـاحثين ومؤسسـات بحـث تغطي التجربة التـي عاشـها اللاجئـون المهـاجرون الفلسـطينيون، وهـذا يتضـمن مطبوعـات

وأوراق ومخطوطات تسجيلات رقمية وأخرى عادية analogue والأرشيف الإلكتروني للتاريخ الشفهي متاح للباحثين بهدف الحفاظ على التراث الفلسطيني وتحليله وتأسيس أرشيف للصور يقوم مركز شمل بجمع صور فلسطينية عن حياة الفلسطينيين في اللجوء والشتات [1].

تراث القدس

إن القدس كمدينة تاريخية ليست للمتدينين فقط بل هي مشتركة الاهتمام لكل من يعرف معنى البحث والمعرفة ونحن نهتم بأي إنتاج علمي سواء كان تاريخيا أم فقهيا أم جغرافيا، وهناك أيضا اهتمام بأمكنة أخرى مثل غزة، أما في شأن الرحلات الجغرافية فقد حققت مخطوطة فريدة هي "الرحلة القدسية عند زيارة المولوية" لمؤلف مجهول وهي ضمن مجموع في المكتبة البديرية وهناك عمل على تحقيق عدد من المخطوطات منها الجامع المستصفي في فضائل المسجد الأقصى ومفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس، وهناك ميل لدراسة رحلات البكري الصديقي مدينة القدس حتى الآن وبالرغم مما تعرضت له من دراسات إلا أن البحث العلمي مقتصر فيها على نواح محددة، والكشف عن التراث العربي الإسلامي فيها هو واجب حضاري وأخلاقي علينا، وما صدر ويصدر هو نسخ مكرر من غير المختصين، ونطمح إلى تأصيل الجهود العلمية والابتعاد عن العواطف والتركيز على الدراسات العلمية والمنهجية [2].

ويوجد أكبر مكتبة مخطوطات مصورة في فلسطين سواء مكتبات العائلات ومنها عائلة البديري والخطيب والسائح وغيرها، أو ما تم العثور عليه في المكتبات والمساجد والمدارس القديمة ، وربما يكون الخروج من هذا المأزق في مجال تكنولوجيا المعلومات التي تمكننا عبر الانترنت من التواصل مع الباحثين وتزويدهم بالوثائق عبر مزود البحث

---

(1) http://www.shaml.org/arabic03/database_arb/

(2) http://www.alghad.jo/?news=33551

الالكتروني وإدخال كافة الوثائق على أقراص ممغنطة ليكون من السهل تداولها [1] والمزيد من الجهد والإخلاص كافيان لإخراج آلاف الحقائق الجديدة عن تراث القدس وغيرها من المدن الفلسطينية، والسعي والعمل وراء التقاط ما فُقد وضاع وتشتت وأهمل في محاولة لإعادة بناء المدينة المقدسة عبر الوثائق والقيود والسجلات لمواجهة عِلم المحتل بعلم أهل الوطن.

ونظمت ندوة في القاهرة حول القدس في الأرشيف العربي عام 2005 هدفت إلى تسليط الأضواء على وثائق القدس ومخطوطاتها سعياً وراء العمل العلمي الجاد وبعيداً عن السياسة وهذا العمل هو الذي جعلها كندوة تلقى احتراماً كبيراً فلأول مرة تقوم مؤسسة فلسطينية باستضافة الناس بندوة عالمية تتخصص بوثائق القدس ومخطوطاتها [2].

وأوصى مثقفون ومسئولون وخبراء فلسطينيون في ندوة "المشروع الثقافي الفلسطيني وإستراتيجيته المستقبلية" عام 2003 بوضع "خارطة مفاهيم لعناصر الثقافة الفلسطينية" وتفعيل مشاركة المبدعين الفلسطينيين في ندوات وأنشطة تدعم مشروع الثقافة الفلسطينية، وأصدر مثقفون ومسئولون فلسطينيون بالقاهرة "بيان القاهرة حول الثقافة الفلسطينية" في ختام ندوة "المشروع الثقافي الفلسطيني وإستراتيجيته المستقبلية" التي نظمها المجلس الأعلى للتربية والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية بدعم من وزارة الثقافة المصرية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وناقشت الندوة تجربة العمل الثقافي الفلسطيني في الداخل والخارج في المرحلة السابقة وملامح خطة المستقبل من خلال عدد من المحاور من بينها (حماية الآثار والمتاحف والممتلكات الثقافية الفلسطينية ورعايتها وتطويرها) و(الثقافة ومعركة الدفاع عن الشخصية والحقوق الوطنية) و(الثقافة ومناهج التعليم) و(الثقافة الفلسطينية والتكامل الثقافي العربي)[3].

---

(1)http://www.alghad.jo/?news=33551

(2) hhttp://www.alghad.jo/?news=33551

(3)http://www.shaml.org/arabic03/database_arb/

ثانياً: ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحو التراث

محاصرة الثقافة العربية الفلسطينية

رغم الحرص على الحضور الثقافي الفلسطيني، بكل محاولاته الفردية بعد النكبة عام 1948 والتي لم تكن قد دخلت العمل المؤسسي بعد، إلا أنها أحدثت صدى داخل فلسطين وخارجها لتتجاوز حدود الوطن الجغرافي وتنطلق معها حالة المثقف الفلسطيني في داخل أنحاء الوطن المنكوب وخارجه وهجرته الإجبارية داخل فلسطين التي احتلت بعد ذلك عام 1967م وكان لمعظم المثقفين في الشتات عطاء متميز أثر في المثقفين العرب وأجج تعاطفهم مع النكبة التي ألمّت بفلسطين، لقد كانت" النكبة الفلسطينية عام 1948م، بما أحدثته من هزّات نفسية وجسدية مدمرة، أول حدث يمكن وصفه بكل دقة بأنه نقطة تحول في الأدب العربي الحديث على صعيد العالم العربي بأسره [1].

وشنت إسرائيل منذ احتلالها فلسطين عام 1967م حرباً ثقافية بأشكال ومظاهر متعددة وممارسة غزواً ثقافياً هدفت من وراءه مسخ الشخصية العربية الفلسطينية والهوية الثقافية للشعب الفلسطيني وصار الاحتلال في تعامله مع الفلسطينيين في خطين متوازيين هما الإبادة البشرية والثقافية وهما يحققان هدف واحد، الأولى تعني التخلص من المواطنين الفلسطينيين بالقتل والثانية تعني مسخ الشخصية الفلسطينية واستخدم كافة الأساليب من ضمنها أجهزة الإعلام والحرب النفسية، وأما الحرب الثقافية الهادفة إلى ضرب المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الفلسطينية عن طريق توجيهها ضد الثقافة الفلسطينية ولم يوفر الاحتلال أي وسيلة قمعية ضد الثقافة الفلسطينية ولم يقدر على طمسها كلياً وتجريد الشعب الواقع من مقومات هويته الوطنية وفي مقدمتها الاعتزاز الثقافي [2].

---

(1) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2) تيسير أبو عرجه. الإعلام والثقافة العربية. الموقف والرسالة. ط1 (عمان: دار مجدلاوي، 3003)ص211.

ودخل المثقف الفلسطيني في حالة جديدة من المواجهة الثقافية مع العـدو الصـهيوني اختلفت فيها وسائل الحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية، لكنها في النهاية حافظـت عـلى حلم العودة والتمسك بالوطن ومقدساته وكـل مـا فيـه، وهنـاك مرحلـة جديـة مـن مراحـل المواجهة تمثلت ب"الحصار" الثقـافي الـذي جـاء امتـدادا لمعركـة فيهـا مـن الحصـار السـياسي والعسكري والفكري ما فيها، فلقد حُرِمَ الفلسطينيون في فلسطين المحتلّة عام 48 من الكتـاب العربي بعّامة، والفلسطيني بخاصة، وفي المناطق المحتلة عام 67 اختفت المكتبات القليلـة لأن المحتل الصهيوني حارب الثقافة الفلسطينية، وكـما قطّـع الأرض الفلسـطينية، ومـزّق الشـعب الفلسطيني بغرض تدمير الشخصية العربية الفلسطينية [1].

ولقد أدركت الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن التاسع عشر حاجتها الملحة إلى صياغة مشروع ثقافي خاص بها في إطار المشروع الثقافي الاستعماري الأوروبي ثم الأمريكي [2].

نتائج الحصار للثقافة الفلسطينية من قبل الاحتلال الإسرائيلي

وإذا كان الصهاينة قد وضعوا خطتهم لاقتلاع الثقافة الفلسطينية ومحاربـة المثقفـين الفلسطينيين فإنّ التطبيق العملي لهذه الخطط وما دعمها من قوة، ومواصلة لهذه الخطط من كافة الأحزاب الصهيونية التي تعاقبت على المؤسسة الحاكمة فيه، كان مـن الطبيعـي أن تتراجع الحركة الثقافية من جديد، وسط حرب متواصلة، فلقـد تراجـع وبشـكل ملحـوظ الإنتاج الثقافي الفلسطيني بمختلف أشكاله نتيجة إجراءات الاحتلال الإسرائيلي التعسفية ضد الشعب الفلسطيني كما تأثرت الساحة الثقافية الفلسـطينية والمثقـف الفلسـطيني بما يجري على الأرض من انتفاضة فلسطينية ومـا يـتم التصـدي لهـا مـن قبـل الصـهاينة، فكان أن انخفض حجم المطبوعات الثقافية خلال انتفاضـة الأقصى عـام 1989م - نتيجـة

---

(1) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2) عواطف عبد الرحمن.الصحافة العربيـة في مواجهـة الاخـتراق الصـهيوني(القـاهرة:دار الفكـر العـربي ،1995) ص147- 157.

الإجراءات الإسرائيلية- إلى أكثر من 60% وانخفض أيضاً الطلب على الكتب نتيجة الضائقة الاقتصادية التي يمر بها الفلسطينيون .

وهكذا تراجع الإبداع الثقافي الفلسطيني رغما عنه، وصار يبحث عن مجالات تفتح الفضاء الثقافي أمامه بعد أن حجب دخانُ الاحتلال كثيرا من الطموحات الثقافية الفلسطينية وكان الحصار الخانق الذي يمارسه الاحتلال سبباً إضافياً لسد الآفاق في المدى المنظور وهكذا توقف إلى حد كبير إنتاج الكتب وإقامة المعارض وغيرها من الأنشطة الثقافية وتوقفت بعض المجلات الثقافية عن الصدور بسبب صعوبة التوزيع والأزمة المالية، وتعرض المكاتب للتدمير[1].

والتراث العربي الفلسطيني يعيش في ظل الاحتلال الصهيوني في حالة صدام مستمر بين ثقافتين تعبران عن مشروعين يتناقضان بصورة جذرية، المشروع الصهيوني والمشروع القومي العربي ويسعى كل منهما لنفي الآخر [2].

نحو ثقافة فلسطينية فاعلة

لا بدّ من التفكير جماعياً لاستنباط وسائل تسهّل التواصل بيننا وبين شعبنا حيثما كان ثمّة إمكانيات تنفتح لنا يمكن استغلالها للتغلّب على بعد الأمكنة بيننا، وصعوبة العوائق التي يخترعها الاحتلال الصهيوني للتفريق بيننا، والانترنت أحد هذه الوسائل الجبّارة، فالثقافة الفلسطينية تمر في منعطف خطير في وسط غريب، والحرب الصهيونية عليها والحصار المبرمج والمتواصل يبعث أسئلة عن الدور المطلوب من المثقفين العرب، ومن المثقفين الفلسطينيين، والدور المطلوب من الأمة جميعها كي تحافظ على الهوية الثقافية الفلسطينية التي تعتبر جزءا مهما من الهوية الثقافية العربية والإسلامية ونتساءل

---

(1) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2) عواطف عبد الرحمن. 1995. مرجع سابق، ص147 – 157.

عن الثقافة الفلسطينية في ظل هذا الحصار، كيف ستجد حضورها إلى الساحة من جديد[1].

الاختراق الثقافـي الصهيونـي

لقد تمكنت الصهيونية بعد اقتلاع الشعب الفلسطيني مـن وطنـه وتوسـعها واحتلالهـا لأراضٍ عربيـة جديـدة بعـد حـروب 1948، 1956، 1967، 1973، مـن تشـويه الـتراث العـربي الفلسـطيني بمـا انتحلتـه لنفسـها عـلى كافـة المسـتويات الثقافيـة مـن فولكلـور فلسـطيني وصناعات حرفية شعبية وملابس مطرزة ومآكل، وأصبح الإنتاج الثقافي الفلسطيني عرضة لأن يتحول إلى تراث ثقافي صهيوني طالما بقـي الاحـتلال الصـهيوني عـلى أرض فلسـطين، ورغـم أن مشروع الغزو الثقافي الصهيوني يطال الوطن العـربي كلـه إلا أن سـاحة الصـدام الأساسـية بـين الثقافتين العربية والصهيونية تتمركز على أرض فلسطين والمناطق العربية المحتلة[2].

كـما أنّ مسلسـل الحصـار الـذي تتابعـت فصـوله وحلقاتـه، لم يكـن مفرّغـا مـن الأهداف، بل جاء عبر إجراءات مدروسة، ووسـائل كثـيرة تـؤدي في النهايـة غرضـها في أن تحاصر المثقف الفلسطيني كي يصاب باليأس، وتصبح الهوية لا تجد من يرسـم ملامحهـا، أو تجد من يعبر عن ذات أحلامها وطموحاتهـا، وآلامهـا وآمالهـا، ولـذلك تواصـل تطبيـق هذه المخططات فلقد تعرضت دور النشر للمداهمة، ووُضعت قيود على استيراد الكتب وتمت مداهمة المؤسسات الثقافية إضافة إلى انعدام الأمـن والتعـرض للمثقفـين والحيـاة الثقافية كلها، ومنع إدخـال المـواد الخـام، كـما أن الإجـراءات الإسرائيليـة المشـددة عـلى المعابر تمنع التواصل الثقافي مع العالم العربي والإطلاع على أحـدث الإصـدارات، ولم يقـف الأمر عند هذه المؤسسـات الثقافيـة ودور الـنشر بـل امتـد إلى الجامعـات الفلسـطينية،

(1)http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2) عواطف عبد الرحمن. 1995. مرجع سابق، ص147 – 157.

ولقد واصلت قوات الاحتلال اعتداءاتها على الجامعات الفلسطينية وأغلقت بعضها مما عطل إقامة المؤتمرات والندوات العلمية وتطوير أدائها [1].

وأمام الجرائم الفظيعة التي ارتكبتها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني المسالم، بات من المسلم به أن الكيان الصهيوني ليست له تقاليد حضارية فهو لا يعترف بأي ميثاق أخلاقي ولا يحترم أبسط حقوق الإنسان، نزعت الدولة العبرية إلى حرمان المواطن الفلسطيني من ثقافته وطمس تراثه الثقافي ونهب مكتباته ومخطوطاته وكتبه، وصادرت حقه في التعلم وفي الوصول إلى المعلومات، لذا بات من الأكيد على المثقفين العرب التحرك العاجل لفضح جرائم إسرائيل الدموية وعزلها عن الساحة الدولية في المنظمات غير الحكومية وخاصة تلك التي لها علاقة بالنشاط الثقافي والعلمي، ومن هنا ولهذا الغرض يعمل المكتبيين العرب على الاتصال بالمنظمات المكتبية الدولية [2].

بل إن الحصار الصهيوني قد امتدت أذرعه إلى المعتقلات فكان الحصار الثقافي هو العنوان الأبرز الذي تمت به مواجهة المثقف الفلسطيني داخلها، وعمل الصهاينة على تفريغ المعتقلات الفلسطينية من أي عطاء إبداعي، وحرصوا أن لا يكون في الاعتقال إلا ما يهدد الهوية الثقافية للإنسان الفلسطيني بشكل عام، والمثقف بشكل خاص، وهناك كانوا على موعد مع كل أشكال الحرب ولم تكن الحرب الثقافية بمعزل عما يجري فقد فرضت سلطات السجون حصاراً ثقافياً على الأسرى إذ شمل منعهم من الحصول على القلم والدفتر والكتاب وإجبارهم على سماع الإذاعة الإسرائيلية في أوقات محددة، ولم يُسمح للأسرى بقراءة الصحف سوى صحيفة الأنباء التي كانت تصدرها أجهزة المخابرات الإسرائيلية وكان الأسرى يمنعون من اقتناء الكتب الوطنية والثقافية، ومارست سلطات السجون سياسة الإفراغ الثقافي والفكري من خلال ترويج كتب ثقافية فارغة المضمون داخل السجون[3].

---

(1) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2) http://www.afli.org/sa71.html

(3) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

كما بذل العديد من هؤلاء المستشرقين جهداً لطمس الحقائق العربية الفلسطينية متخذين من الفنون الشعبية وسيلتهم التي استخلصوها أو حاولوا استخلاصها من الحفريات الأثرية مثل (ميشيل ناؤو وبيشوب بوكوك وبوركهات)، وما نشره هيل سنة 1885 بعنوان " جبال سيناء وغرب فلسطين " درس فيه عادات البدو والفلاحين [1].

وعلى الرغم من أن نصيب فلسطين من الدراسات والبحوث الفلكلورية كان نصيباً لا بأس به من جانب المستشرقين المغرضين اللذين هبوا جميعاً في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يحدوهم الأمل في طمس هوية هذا الشعب العربي الفلسطيني أو إظهاره وكأنه بدون ملامح، ومحاولة التشكيك في أصالته، علماً بأنه الشعب الوحيد الذي استمر على أرضه دون انقطاع منذ ما قبل التاريخ وحتى اليوم [2].

وفي سبيل ذلك اندفع العديد من الصهاينة ومن يدور في فلكهم باتخاذ أساليب شتى وتحت عناوين مختلفة منها الدراسات والحفريات الأركيولوجية وأهمها ما أسموه "مساحة غرب فلسطين "survey of western Palestine" بقيادة "كوندو وكتشنر " في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ثم بعثات (فلندرز بتري وستاركي) [3]، وكذلك لجنة صندوق اكتشاف فلسطين "Palestine exploration fund !!" .

وهكذا بدأت هذه الحملة بإطلاق مسميات جديدة (غرب فلسطين) و(شرق الأردن) أو (فلسطين الشرقية) بتأثير ديني مستوحى من التراث اليهودي وكان على رأس هؤلاء اللاهوتي الاسكتلندي (جورج آدم سميث)[4].

ولعل (هيلما فرانكفست)، التي قدمت لفلسطين في عام 1925 م ما يوضح ويكشف مغزى ومرمى هذا الحشد من الدارسين نحو التراث الشعبي الفلسطيني بعد أن

---

(1) لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني. مجلة التراث والمجتمع. مجلد1.ع2 (البيرة:، 1974) ص29.

(2) سليم المبيض. ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية. مرجع سابق، ص8.

(3) سليم عرفات المبيض. غزة وقطاعها(القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1987) ص 371_372.

(4)G. A.. Smith Historical Geography Of The Holly Land, London, 1968, p47.

قامت بدراسته جميعا دراسة دقيقة، وعندها استرعى انتباهها بأن هؤلاء المستشرقين جميعا كانوا يهدفون بدراساتهم هذه الحياة الشعبية في فلسطين وتلك التي صورت في كتاب العهد القديم كدراسة تمهيدية للهجة الصهيونية بهدف بيان العلاقة بين اليهود وفلسطين [1].

وتسعى النخب الحاكمة في إسرائيل وتدعمها المراكز الثقافية والأكاديمية الإسرائيلية والصهيونية حول ضرورة فتح الحدود بلا شروط أمام التبادل الثقافي والتعليمي والإعلامي وعلى الأخص الإعلام المرئي والمسموع حيث يسمح ببث البرامج الإعلامية والثقافية الصهيونية في الإذاعات المرئية والمسموعة في الوطن العربي، ويضاف إلى ذلك ضرورة مراجعة مناهج التربية والتعليم وحذف كل المقولات العدائية عن الصهيونية وإسرائيل[2].

والذاكرة الفلسطينية مثقلة بالأنين، وتحاصرها ويلات المحتل، وإذا مطبعة واحدة في بيت المقدس- مطبعة جورج حنانيا- تطبع في الفترة الواقعة بين عامي 1892 و1909 مائتين وواحداً وثمانين كتابا بالعربية وبعض اللغات الأوروبية، لا نجد لها أثرا غير ذكر أسماء تلك الكتب، فقد جنت تلك المأساة المروعة على تراث فلسطين الفكري والأدبي بعد جنايتها على مئات الألوف من أبناء البلاد واضطر العلماء والأدباء والمفكرون إلى الهجرة من فلسطين إلى الأقطار الشقيقة مخلفين وراءهم ثمار عقولهم ونتاج فكرهم، ومكتباتهم الخاصة الحافلة بأمهات الكتب وأعظم المصادر في اللغة والأدب والتاريخ والشريعة ولا نقول إنها ذهبت مع الريح ولكن ذهبت بين أحذية المحتل ورصاصاته المجنونة الحاقدة [3].

وإدراكاً منها للوزن التاريخي والحضاري والسياسي الذي تشغله مصر في العالم العربي وخوفا من الآثار السلبية التي سوف تنعكس على مصالح الحركة الصهيونية

(1)hilme granquist. marriage conditions in a palestinian village , helsingfore, 1931 , p7.-9

(2) عواطف عبد الرحمن. قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي. مرجع سابق، ص 43.

(3) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

ونشاطها في فلسطين بذلت الحركة الصهيونية، وتطلعاً إلى تحقيق هذا الهدف الإستراتيجي لجأت الحركة الصهيونية إلى استثمار إمكانيات ونفوذ الطائفة اليهودية بمصر لخلق قاعدة صلبة للنشاط الصهيوني داخل المجتمع المصري ولقد برزت العلاقة الوطيدة بين يهود مصر والحركة الصهيونية في المجال الثقافي، وتمثلت في ازدياد الاهتمام بفلسطين من ناحية والعمل على إحياء الثقافة العبرية بكافة السبل والوسائل من ناحية أخرى، وفي إطار هذا الاهتمام نشطت أوساط المثقفين اليهود في مصر في إنشاء العديد من التجمعات الثقافية منها النادي المصري واتحاد المدارس اليهودية وجمعية هرتزل لتشجيع الثقافة العبرية ونشرها بين يهود مصر[1].

ولم تكن الحرب الصهيونية على الشعب الفلسطيني لتتوقف عند الرصاصة والقنبلة، بل تجاوزتها إلى "حرب وجودية" أخرى تتعلق بالهوية الثقافية لهذا الشعب، ولأن أهداف المعركة لدى العدو الصهيوني كانت واضحة في "أجندته" منذ البداية على المدى القريب والبعيد، لذا لم يكن غريبا أن يتم خنق الإبداع الفلسطيني ومحاصرته، بل والتخلص منه منذ اللحظة الأولى وكلما سنحت الفرصة لذلك بشتى الوسائل والسبل[2].

وإن أي تراث شعبي لأي قطر لم يتعرض لمحاولات الإهدار والبعثرة المتصورة مثلما تعرض أدبنا الشعبي الفلسطيني تحت الاحتلال، فالنظرية الصهيونية تقول: بأن (لا وجود للشعب الفلسطيني) وبقاء التراث الشعبي هنا يشكل بحد ذاته نفياً تاريخياً قاطعاً لأصول هذه النظرية وإن الشعب الفلسطيني لم يبق في مجمله فوق أرضه بل شرد وشتت وفي هذا خلع لجذور التراث والأدب الشعبي الفلسطيني وذلك أن كل أدب وتراث شعبي مثله

(1) عواطف عبد الرحمن. الصحافة العربية في مواجهة الاختراق الصهيوني. مرجع سابق، ص147 – 157.
(2) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

مثل الأشجار التي لا تنمو إلا في تربة معينة ومناخ ملائم لها وعندما تنفصل عن تلك الشروط تنقطع عن الحياة والاكتمال[1].

إن منظومة التراث هي أهم الشواهد الحقيقية على إثبات الهوية للشعوب، والدفاع عن التاريخ الضارب في عمق الأرض، وهو دفاع عن الحضارة والفكرة والمستقبل أيضاً والتراث الفلسطيني الذي يعاني مرحلة حرب وتقلص وسرقة ونهب يعاني في الوقت الحالي من أزمة ينطوي عنها أزمة في الحقوق الفلسطينية أولا وأزمة في إثبات الهوية الفلسطينية الفكرية والثقافية والسياسية أيضاً، لأن التراث والتاريخ الفلسطيني أغنى مقومات عدالة القضية الفلسطينية والسلاح الأقوى في المعركة الدائرة مع العدو الصهيوني الذي لا يتوانى لحظة عن نهب هذا التراث وتشويه معالمه ومحاولة سلخ الشعب عن هويته التاريخية الأصيلة [2]، ويواجه التراث الشعبي خطر التلاشي أمام تيار الحضارة العصرية الجارف بسبب طغيان الجانب المادي منها على الجانب الروحي، ناهيك باقتراب غياب الجيل المسن الذي يدخر هذا التراث وجهل الجيل الجديد له لعدم تدوينه [3].

وأدرك اليهود أن إلغاء ثقافة وتاريخ وحضارة هذا الشعب هو شهادة الوفاة الحقيقة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية برمتها، فحاولت بشتى الطرق والوسائل فصله عن ثقافته وعن تاريخه وعن حضارته، وفي هذا الصدد يقول "فيكتور سحاب" - وهو كاتب وموسيقي مهتم بالتراث الشعبي الفلسطيني: "كل تراث شعبي يقتضي في العصر الحديث جهودًا مضاعفة لحمايته من الاندثار، فكيف إذا اجتمعت لِمَحْوِه عوامل العصر الاعتيادية وعوامل الاحتلال غير العادية التي تتعمد القضاء على ملامح الشعب الفلسطيني للقضاء على وجوده؟" ويضيف مؤكداً على ضرورة العمل على حفظ هذا

---

(1) محمد عبد السلام كفافي. دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي (بيروت: د.ن، 1982) ص42.

(2) http://www.rezgar.com/debat/word.art.asp?t=0&aid=48038

(3) يوسف حداد. المجتمع والتراث في فلسطين.ط1 (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1985) ص11.

التراث: "وإذا كانت مهمة تسجيل ملامح الشعب الفلسطيني خطيرة وضرورية، فإن تسجيل هذه الملامح ليس من شأن التاريخ وحده، بل هو مسألة معايشة يومية للتراث على النحو الذي يحفظ لهذا الشعب لا ذكراه في المستقبل بل وجوده الحقيقي وكيانه وشخصيته ووحدته الثقافية والاجتماعية من خلال نسيجه الشعبي الموروث [1].

فالمعركة مع العدو الصهيوني تتخذ عدة أوجه أبرزها على الأرض الصراع المسلح وصراع الوجود الذي ينطوي تحته معركة الدفاع عن الهوية والموروثات والعادات والتقاليد والقيم الموروثة [2].

ولأن التراث والتاريخ هما لبّ القضية فإن هذه المنظومة التراثية لم تجد العناية الكافية من قبل التنظيمات الفلسطينية، ولأن التراث هو شاهد الحضارة ورائحة الأجداد، وأغاني الجدات الطيبات ليلة الميلاد والعيد وقبل النوم فهي جديرة بأن نقف وقفة جادة أمام أي محاولة لضرب هذا التراث وسلخه عن مجرى الصراع والقضية، والتراث الفلسطيني الذي يتميز بخصوصية عالية جداً، فإن الإساءة إليه تعتبر إساءة للقيمة الإنسانية والحقوق الفلسطينية كاملة والحقوق العربية وعبر مسيرة الصراع الدائرة مع هذا العدو وما سبقه من احتلال بريطاني ومن قبل دولة أتاتورك، والشعب الفلسطيني بكافة شرائحه من الفلاح إلى الكاتب والأديب مروراً بالعامل والصحفي يتصدون لكل محاولة من الاحتلال وغيره لتشويه القيمة التراثية [3].

ولقد ظن أعداؤنا أن سنوات الحرمان الطويلة من الهجرة والنفي والإبعاد عن أرض فلسطين سينسى شعبنا تراثه الفني العريق، والتراث الفلسطيني ارتبط بالأرض الطيبة المعطاءة وبالعلاقات والعادات الاجتماعية في فلسطين [4].

وقفة فلسطينية عربية جادة للحفاظ على التراث

---

(1)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-46/alrawe1.asp

(2)http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=5549

(3)http://membres.lycos.fr/saitabdellah/article.php3?id_article=424

(4) عبد اللطيف البرغوثي. مرجع سابق، ص 48.

محاولة الاحتلال الإساءة لهذا التراث لا تعيب الشعب الفلسطيني ذاته، لكن ما يسيء هو أن يقوم المجتمع ذاته أو بعض أفراده بالإساءة لهذه القيم الموروثة الراسخة، فإساءة المجتمع للقيم التراثية يعني انسلاخه عن هويته وبالتالي انسلاخه عن قضيته وحقوقه المشروعة، وبالتالي تعكس هذه الإساءة حالة من الجهل التي توغلت في صفوف المجتمع والتي يجب الوقوف بوجهها وقفة جادة وحقيقية ويقع على عاتق جميع فئات المجتمع الفلسطيني سواء في الداخل أو الشتات بناء جسر يعيد بناء ما تم هدمه وإعادة وصل ما تم كسره بين الشعب والتراث [1].

لذلك كان لا بد من هذه الصرخة أن تنطلق عبر كل الصفحات الممكنة لتصل لكل عربي وفلسطيني في كل مكان في الأرض ولكل الفصائل الفلسطينية والمنظمات الثقافية والأهلية العربية والفلسطينية للتصدي لكل ما هو مؤذي من ظواهر مستحدثة في المجتمع الفلسطيني بكل الوسائل والسبل، كي يظل الحق الفلسطيني محفوظاً وراسخا [2].

من هنا جاء تطبيق أجزاء أخرى من المؤامرة، على المثقف الفلسطيني وإبداعه وكل ما يشير إلى ارتباطه بهذه الأرض عندما " نهبت العصابات الصهيونية عام المأساة 1948 المكتبات الخاصة لأعلام فلسطين البارزين من العلماء والكتاب، والمكتبات العامة بما فيها من ثروات فكرية، وبخاصة في مدينة بيت المقدس التي كان بها عدد غير يسير من المكتبات القيمة وتبددت ثروة فكرية ضخمة من المؤلفات الفلسطينية ومن آثار المفكرين العلماء والكتاب والشعراء من أبناء فلسطين، وتعذر الوصول إلى تلك الذخائر من المطبوعات والمخطوطات النادرة الثمينة التي لا تقدر بثمن، وهذا ما حدث في جوانب أخرى تتعلق بالهوية الفلسطينية المرتبطة بالمكان، كأحد أسس المعركة، حيث شكلت الحكومة الإسرائيلية في عام 1949 لجنة علمية متخصصة لتغيير معالم المكان الذي تم الاستيلاء عليه وطرد سكانه منه، وكانت مهمة هذه اللجنة تغيير أسماء الأماكن العربية إلى أسماء عبرية [3] وناقوس الخطر يدق من أكثر

(1)http://membres.lycos.fr/saitabdellah/article.php3?id_article=424

(2)http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=5549

(3)http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

المناطق الفلسطينية حساسية، من قلب المخيم الفلسطيني الذي كان في السابق يعتبر من اكبر حراس الهوية الفلسطينية التي تدل الشواهد أنها الآن تعاني حالة انتحار بانسلاخها عن تراثها وهويتها[1].

ولا شك أن التراث الشعبي العربي الفلسطيني الذي يتعرض للنهب والتزييف من جانب العدو الصهيوني يدفع أمتنا العربية بإلحاح إلى واجب قومي يحتم عليها أن تدعم كل الجهود فردية أو جماعية للعمل على جمع هذا التراث الشعبي العربي بشكل عام بألوانه المتنوعة إنما هو تعبير أصيل عن الشعب العربي، ومن ثم فأن واجب الإعلام العربي والمشرفين على التربية والأنشطة الثقافية هو تأكيد الجانب الذي يخدم تطلع الشعب العربي إلى حياة أفضل ويرسخ قيم الوحدة العربية الأصيلة في وجدان شعبنا العربي عن طريق نشره وتقديمه بكل الوسائل المتاحة كما أن واجب المبدعين هو أن يستلهمون هذا التراث الغني من أجل تقديمه في إطار معاصر يحافظ على قيمنا وتقاليدنا وشخصيتنا العربية [2].

ومما يزيد في تفاقم الخطر على التراث الفلسطيني كون العديد من القرى الفلسطينية قد اقتلع منها سكانها وتشردوا، الأمر الذي جعل الكثير من التراث الشعبي مهددا بالزوال وإن الغاية من تدوينه هي الحفاظ عليه من جهة، والمحافظة على الشخصية الوطنية من جهة ثانية، ولأنه يشكل جذورا صلبة تمتد إلى أعماق الماضي، فيبقى الترابط بين الشعب والأرض مستمرا مهما طال زمن التشرد ومهما اشتدت وطأة إفناء الشخصية [3].

والهوية الفلسطينية لها ما يدعمها ويؤصلها وإذا كان التراث عموماً يشكل جزءاً مهماً وحيوياً من مكونات الهوية الثقافية لأي شعب فإن التراث الفلسطيني يتعدى ذلك لسببين [4]:

(1)http://www.rezgar.com/debat/word.art.asp?t=0&aid=48038

(2) فؤاد عباس. مدخل إلى الفولكلور (القاهرة: دار الموقف العربي، د.ت) ص54-55.

(3) يوسف حداد. مرجع سبق، ص11.

(4)http://www.pnic.gov.ps/arabic/culture/Populor.html

أولاً: المحاولات الدائمة لإسرائيل والهادفة إلى محق هذا التراث بل ونسبته إليها.

ثانياً: إن جزءاً من هذا التراث ما زال يشكل نهج حياة في بعض القرى الفلسطينية.

ومن أكثر صور السطو على التراث في العصر الحديث ما تعرض له التراث الفلسطيني فمنذ القرن الماضي وهو يتعرض لعملية تزييف وسطو وتغيير بنفس القسوة التي طرد بها شعب فلسطين من أرضه، لذلك كان لزاما علينا أن يدافع كل من موقعه عن هذا الحق ويعيده إلى نسبه الأصلي لأنه مرتبط بقضية شعب وأرض [1].

نماذج من تدمير الاحتلال الإسرائيلي للتراث

نحاول استعراض بعض نماذج من تدمير الاحتلال لكل مقومات الثقافة والتراث الفلسطيني والسعى نحو تهويد القدس وتفريغها من هويتها الفلسطينية العربية الإسلامية والانتهاكات الإسرائيلية الخطيرة للمكتبات والتراث الثقافي الفلسطيني منذ 1967 مروراً بالاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية منذ 29 مارس 2002 وأخيراً حرب غزة في 27 ديسمبر من عام 2008[2].

الحفريات وتهويد القدس

عملت إسرائيل على تهويد القدس من خلال حفر الإنفاق تحت أساسات المسجد الأقصى وإقامة مدينة دينية تاريخية يهودية وتجسيدها على أرض الواقع من خلال استخدام كافة أساليب الإغراء والترغيب بالمال بغير حدود مقابل التنازل للاحتلال الإسرائيلي والترهيب بالقوة وإقامة مشاريع سياحية على الأراضي المقدسة حتى المقبرة الإسلامية تم تحجيمها من 200 دونم إلى 19 دونم تحت ذرائع إقامة مركز للتسامح

---

(1)http://www.shala.ca/articles/15.htm

(2)http://www.afli.org/sa71.html

والكرامة الإنسـانية بتكلفـة 200 مليـون دولار وإنشـاء فنـدق ومنتـزه عـلى حسـاب التـاريخ والمقدسات العربية والإسلامية [(1)].

ويمنع الاحتلال الإسرائيلي أي محاولة لترميم المنازل الأثرية الفلسـطينية وخاصـة التـي تقع بالقرب من المسجد الأقصى والتي تصدعت بسـبب الحفريـات المسـتمرة والأنفـاق التـي يحفرها الاحتلال بالإضـافة إلى فـرض غرامـات ماليـة باهضـة وإجـراءات تعسـفية مـن قبـل البلدية والشرطة وسلطة الآثار وذلك لتهجير الفلسطينيين المقدسيين [(2)].

ويقوم الاحتلال الإسرائيلي بشكل مستمر بسحب بطاقـات المقدسـيين لتفريـغ المدينـة من أهلها وخلق واقع ديمغرافي يهودي يفرض واقع سياسي لصالح إسرائيل [(3)].

وممارسة كافة أشكال وأساليب الحـرب الثقافيـة مـن خـلال منـع إقامـة العديـد مـن النشـاطات والفعاليـات والاحتفـالات تحـت حجـج وذرائـع واهيـة وخاصـة تسـويق الأفكـار المتعلقة بمشروع القدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009 وتوقيف القائمين على المشروع [(4)].

أما الحفريات التي أجرتها إسرائيل في حـرم المسـجد الأقصى منـذ 1967 بحثـا عـن هيكل سليمان الذي لم يوجد قط في هذا المكان بالذات بشهادة المـؤرخين، فقـد تسـببت في تهديد جد خطير لمبنى ثالث الحرمين عند المسلمين، أما الحريق الإجرامي الـذي شـب

---

(1) الشيخ رائد صلاح رئيس الحركـة الإسـلامية داخـل الخـط الأخضر(1948). مقابلـة مـع قنـاة الجزيـرة، بتاريخ 15- 4- 2009ضمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

(2) ناجح بكيرات رئيس قسم المخطوطات بالقدس. مقابلة مع قناة الجزيـرة، بتـاريخ 15- 4- 2009ضـمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

(3) مالك روبين مرشـد مدينـة القـدس. مقابلـة مـع قنـاة الجزيـرة، بتـاريخ 15- 4- 2009ضـمن برنـامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

(4) أحمد الرويضي رئيس لجنة تحضير الاحتفالية لمدينة القدس عاصمة الثقافة العربية 2009. مقابلة مـع قناة الجزيرة، بتاريخ 15- 4- 2009ضمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السـابعة مسـاءً بتوقيـت القاهرة.

بالمسجد يوم 1969/8/21 فقد ألحق أضراراً كبيرة ولم تستطع أعمال الترميم إصلاح جميع آثار الحريق إلى اليوم، مثل منبر صلاح الدين.

وعلاوة على ذلك فإن الصهاينة لم يحترموا قدسية أماكن العبادة عند المسلمين والمسيحيين من ذلك تدنيس المسجد الأقصى عدة مرات ومنه انطلقت الانتفاضة الحالية (2000) ومسجد الخليل الذي قتل فيه 40 مسلما أثناء أداء صلاتهم عام 1995، كما دنسوا الكنيسة اللوثرية في مدينة بيت جالا (تشرين الثاني 2001) وكنيسة المهد (أبريل 2002).

جدار الفصل العنصري وتأثيره على الآثار الفلسطينية

والتهم جدار الفصل العنصري الكثير من الأراضي الفلسطينية وذلك لرسم الحدود وفقاً للخارطة والإستراتيجية اليهودية ويقول يهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل السابق: " سنعمل على رسم الحدود الدائمة وتطبيقها على أرض الواقع لكي يتقبل الفلسطينيين ذلك ".

ووفقاً لتقديرات دائرة الآثار الفلسطينية، فإن الجدار الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية سيعزل أكثر من 1500 موقع ومعلم آثري بين الخط الاخضر وجدار الفصل الغربي، كما أن هناك 1250 موقعاً ومعلماً أثرياً يتهددها الجدار المقترح في وادي الأأردن في الشرق، وهكذا فإن الجدار في حالة إكتماله سيعزل أو يدمر نحو 2800 موقع ومعلم آثري معروف بالضفة الغربية ن وهذا الرقم لا يستهان به إذ إنه يمثل ما نسبته 23.3% من مجموع المواقع والمعالم الأثرية المعروفة في المناطق الفلسطينية وأكثر من 12% من مجموع المواقع الآثرية المعروفة في فلسطين التاريخية، وتشير دائرة الآثار الفلسطينية أن الجدار دمر كلياً او جزئياً نحو 800 موقع أثري وهذ الوضع سيكون له تأثير كارثي في تراث فلسطين الحضاري وفي قطاع السياحة فيها [1].

(1) عادل يحيي. مرجع سابق، ص 134.

تدمير مركز الفنون بغزة مع بداية عام 2009

لم يستثن المحتل في حربه المساجد والمراكز والجمعيات الثقافية والفنية التي تعرضت للقصف والتخريب حيث دمرت قوات الاحتلال الإسرائيلي مبنى الفنون والثقافة التابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بحي تل الهوا خلال حربها الأخيرة على قطاع غزة مع بداية عام 2009 الذي لم تبق قذائف الدبابات الإسرائيلية ولم تذر شيئا من محتوياته التراثية والشعبية والاحتلال يسعى إلى طمس معالم الفن والتراث الفلسطيني الذي يعود تاريخه إلى مئات السنين وتدمير المسرح الفني بغزة دلالة واضحة على نية الاحتلال القضاء على تراث الأجداد وتأسس المسرح عام 1996، كان يحتوي أكثر من 300 لوحة فنية إلى جانب أعمال تراثية قديمة دمرت بالكامل والخسائر الإجمالية التي تكبدها المركز الثقافي جراء الاستهداف الإسرائيلي بلغت نحو 15 مليون دولار، بالإضافة إلى ضياع الأعمال الفنية والمحتويات التراثية التي عكف الفنانون في القطاع على تجميعها وحفظها داخل المركز الذي كان منارة للأجيال الشابة في قطاع غزة، بالإضافة إلى قصف وتدمير 25 مسجداً بعضها قصف خلال أوقات الصلاة بشكل ينم عن الحقد الإسرائيلي للتراث الإسلامي، وتدمير مباني الجامعة الإسلامية التي بنيت على الطراز الإسلامي بما تحتويه من مختبرات ومكتبات تشكل المنبر العلمي الثقافي لمواطني قطاع غزة في ظل الحصار.

تدمير المباني الأثرية

انتهاك المعالم الأثرية العربية وتدنيس أماكن العبادة، فقد دمرت الدبابات والجرافات والصواريخ الإسرائيلية العديد من آثار نابلس التاريخية والتي تعد من التراث العالمي حسب اليونسكو، ومن بين المباني الأثرية التي دمرها جيش الاحتلال والتي لا يمكن تعويضها جامع "الخضرا" الذي شيد في العصر المملوكي عام 1200م على الطراز الإسلامي المملوكي ويتميز بالمئذنة والقبة، ويتكون من محراب ومصلى وساحة ومرافق، ومساحته حوالي 150م، وقد دمر تدميراً تاماً كاملاً أثناء اقتحام قوات الاحتلال للبلدة القديمة في الثامن من أبريل 2002.

ومن المباني الأثرية التي دُمّرت فندق "الياسمينا" وهـو بنـاء قـديم عمـره حـوالي 250 سنة ومكون من طابقين ومبني على الطراز العـربي الإسـلامي ويعتـبر تحفـة فنيـة، وقـد دمـر بالكامـل في التاسـع مـن أبريـل 2002 بجرافـات جـيش الاحـتلال الإسرائـيلي، وكـذلك حـمام "الشفاء" وهو حمام تركي قديم شيد منذ حوالي 200عام في العهد التركي ومبني ومصـمم عـلى الطراز التركي الإسلامي، ويتكون من مقصورات حجرية وغرف بخـار تعمـل بـالفحم النبـاتي أو الخشب وصالة ضـخمة ارتفاعهـا حـوالي 18 مـترا، وتبلـغ مسـاحته حـوالي 600 مـتر، ويرتـاده الأهالي والزوار والسائحون، وتم تدميره كلية في الشـامن مـن أبريـل 2002 بجرافـات الاحـتلال ليدخلوا من خلاله إلى عمق البلدة القديمة في نابلس بواسطة مجنزراتهم ودباباتهم[1].

وحتى الأسواق لم تسلم من بطش الاحتلال وتدميره لهـا، فقـد أقـدم في الفـترة مـا بـين الخامس والعاشر من أبريل 2002 على تدمير خان التجار، وهو سـوق قـديم يصـل إلى سـوق القصبة في قلب البلدة القديمة في نابلس، وعمره حوالي 500 سنة وبني في العهد الـتركي وهـو خلـيط مـن الطـراز العـربي الإسـلامي والمملـوكي والرومـاني، ولا يتسـع إلا للحركـة بالأقـدام أو بعربات الخيول، واستخدم قديما كخان أو مكان لإيواء وحفظ الخيول والحيوانات التـي يـزور أصحابها مدينة نابلس وسوقها القديم وحديثا أصبح يستخدم سوقا للعطارة والمواد الطبيعية القديمة ويعتبر كنزاً أثرياً لا مثيـل لـه، وقـد تـم تـدمير معظـم أجزائـه وأبنيتـه وتـم إدخـال مجنزرات الجيش الإسرائيلي إلى داخله أثناء إعادة احتلال نابلس.

تدمير الصناعات التقليدية

أما مصانع الصابون التي تشتهر بها نابلس منذ القـدم والتـي يعـود عمرهـا إلى حـوالي 250 سنة فقـد أقـدمت جرافـات الجـيش الإسرائـيلي عـلى هـدم العديـد مـن هـذه المصـابن التاريخية كمصبنة المصري والرنتيسي وكنعان، وتحتـوي عـلى خزانـات حجريـة للمـواد الخـام

(1) http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

ومصاطب لتجفيف الصابون وخزانات حرارية لغلي الصابون تعمل بالحطب والخشب بالإضافة إلى معارض يتم عرض الصابون النابلسي بها بطريقة هندسية رائعة الجمال وتعتبر من المهن المتوارثة في نابلس[1].

انتهاكات المكتبات والكتاب

لحقت المكتبات الفلسطينية أضرارًا بليغة خلال الهجوم الإسرائيلي عام 2002 إذ تشير حصيلة أولية إلى أن خمسة مكتبات أصيبت بالدمار والخراب: مكتبات بئر الزيت والبيرة ورام الله، كما أتلفت تجهيزاتها من حواسيب وفهارس وكذلك الكتب والأقراص المكتنزة والخرائط وقد حول الجنود الصهاينة مكتبة بئر الزيت إلى ثكنة عسكرية.

الرقابة وسجن المثقفين

مارست إسرائيل رقابة تعسفية على المطابع والكتب العربية، مستندة إلى الأوامر العسكرية، كما لجأت إلى حجز أعداد من الصحف والمجلات العربية، وعملت على محاصرة المثقفين والمؤلفين الفلسطينيين سواء باعتقالهم أو نفيهم أو وضعهم تحت الإقامة الجبرية أو اغتيالهم بسبب أفكارهم والتزامهم بالدفاع عن قضية شعبهم [2].

غلق أو هدم المدارس والمؤسسات الثقافية وقتل الطلبة

تشير المعلومات أن الاجتياح الإسرائيلي عام 2002 أدى إلى تحطيم جزئي أو كامل لأكثر من 137 مدرسة وجامعة وإتلاف تجهيزات المؤسسات التعليمية، علاوة على تحطيم المؤسسات الثقافية مثل مركز السكاكيني ومكتب محمود درويش.

والسلطات الإسرائيلية التي تتشدق بالديمقراطية والحرية والمعرفة تمارس فضائع لا مثيل لها في حق الفلسطينيين الأبرياء، وتعمل على طمس تراثهم الثقافي ونشر الأمية بين الأطفال والشباب وتحطيم أو إغلاق المؤسسات التعليمية والثقافية والمعلوماتية، ولهذا فإن المكتبيين العرب مطالبون بالعمل إلى جانب المثقفين العرب، والضمائر الحية في العالم على

---

(1)http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

(2)http://www.afli.org/sa71.html

فضح الجرائم التي تقوم بها إسرائيل وحشد التأييد للقضية الفلسطينية والاتصال بالجمعيات والمنظمات المكتبية والعلمية الدولية وإزاء الدمار الذي لحق المباني والخسائر الجسيمة في الأرواح التي تكبدها الفلسطينيين يوجه نداء إلى الحكومات والمنظمات والجمعيات والهيئات العلمية لمساعدة الشعب الفلسطيني لإعادة بناء البنية التحتية للمؤسسات الثقافية والمكتبية وإقامة المكتبة الوطنية الفلسطينية وبناء النظام الوطني للمعلومات وإنقاذ المخطوطات والأرشيفات العربية في فلسطين المحتلة [1].

إن تعليم الرواية الصهيونية والثقافة اليهودية للطالب العربي يهدف إلى خلق وعي مشوه وهوية إسرائيلية، في محاولة لإنتاج وعي قسري في ظل غياب الرواية العربية الفلسطينية البديلة، وسيجد الطالب العربي نفسه يتعلم عن هرتسل، بن غوريون، اليعزر بن يهودا ومناحيم بيغن، والجاسوس الإسرائيلي في سوريا ايلي كوهين، والبارون روتشيلد، جابوتنسكي بيالك، حاييم وايزمن، شموئيل عغنون، سارة اهرونسون واكتفت بثلاث شخصيات عربية من الداخل: إميل حبيبي (مشترك لليهودي والعربي)، عبد العزيز زعبي والمطران حجار وقد استهل تعريف إميل حبيبي بالقول "أديب وكاتب في الشؤون الاجتماعية والسياسية، ورجل سياسة حاصل على "جائزة إسرائيل" لسنة 1992" وأستهل تعريف عبد العزيز الزعبي بالقول: "ولد في الناصرة، رجل مجتمع عربي إسرائيلي، وكان فاعلاً على الساحة المحلية سياسيا وجماهيريا من أجل المساواة بين العرب واليهود في الدولة ودمج المواطنين العرب في حياة الدولة كمواطنين متساوين، وهناك تغييب للشخصيات الوطنية الفلسطينية ثقافيا وسياسيا مثل: غسان كنفاني، ناجي العلي، الحاج أمين الحسيني، صالح برانسي، منصور كردوش، حنا نقارة والقائمة طويلة جدا [2].

أما الجزء الخاص بالتراث العربي فلم يشمل سوى أسماء ابن رشد وابن سينا وابن خلدون وهو مليء بالمصطلحات التي يعرفها الطالب العادي من الحياة والدروس الأخر كالدين والتاريخ مثل عيد الأضحى وعيد الفطر والمؤذن والكنيسة والمسجد

(1)http://www.afli.org/sa71.html

(2)http://www.arabhra.org/arabic/arweqa/nashra001/studentspeak.htm

والمروءة والمعلقات والاستسقاء والخيمة والخليفة وهي مصطلحات لا تعبر عن التراث العربي الإسلامي ولا تقدم لمعاني الهوية الوطنية شيئا ولا تحقق الخصوصية الثقافية للطالب العربي الفلسطيني عدا كونها عرفت بطريقة سطحية لا تنم عن فهم عميق لها [1].

الاهتمام الإسرائيلي بالثقافة والتراث منذ التأسيس

وعندما تأسست الحركة الصهيونية رأى مفكروها وحراسها أن الإعلام أفضل وسيلة لنيل ما كانوا يخططون له، وذلك جمع شتاتهم في وطن بعد أن اكتشف العالم الغربي على وجه الخصوص سوء نواياهم وخططهم الخبيثة وأطماعهم في السيطرة على كل ما تصله أيديهم واتجهت أطماعهم صوب أرض فلسطين على أساسا أنها أرض آبائهم وأجدادهم وتاريخهم القديم ولم يعيروا اهتماماً لأصحابها الشرعيين الذين هم العرب الفلسطينيين، وكما تعلمون فقد عمدوا إلى تشكيل لوبي صهيوني يدعو إلى إقامة وطن في تلك البقعة التي يقدسها المسلمون والمسيحيون، وقد تغلغل رجال الفكر اليهود في أوروبا وأميركا ووجدوا أنه من الضروري جداً لهم إيجاد لوبي إعلامي فعال يغسل الأدمغة ويزرع فيها الاعتراف بحق اليهود في فلسطين وأنها أرض الميعاد وأنهم (أي اليهود) الشعب المختار إلى آخر ذلك من المزاعم الكثيرة المعروفة وقد وفروا لهذا اللوبي الأموال الضخمة والإمكانيات اللازمة والكفاءات المتخصصة حتى أصبح قوة فعالة ومؤثرة، وما أن تم لهم ما أرادوا من اعتراف الغالبية العظمى من دول الغرب وأمريكا بإسرائيل وأنها يجب أن تبقى وتحصل على كافة الحقوق كأي دولة أخرى تتمتع بكل مزايا الاستقرار والأمن نحو ذلك [2].

ولقد كان الدور الأول للفريق الذي تولي إدارة تلفزيون إسرائيل تأكيد دور التليفزيون في تشكيل الحياة الثقافية في المجتمع الإسرائيلي ويسعى التلفزيون الإسرائيلي

---

(1)http://www.arabhra.org/arabic/arweqa/nashra001/studentspeak.htm

(2) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. مرجع سابق، ص132.

إلى الإنتاج المستقل، حيث نص قانون هيئة الإذاعة الإسرائيلية IBA في البندين الثالث والرابع منه على الالتزامات الثقافية وعلى اعتبار التلفزيون جزء منها [1].

النكبة وضياع التراث الفكري

النكبة عام 1948م التي حدثت أرجعت العقل الثقافي المبدع إلى الوراء رغما عنه، حتى أنه لم يعد يتذكر ما كتب، ولا في أي اتجاه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ الاهتمام بالثقافة تراجع ولو مؤقتا جراء ما أصابهم من فاجعة أليمة، ولا يمكن للقارئ أن يتصور فداحة الخسارة التي لاقتها المكتبة الفلسطينية بسبب النكبة إلا عندما يتتبع كتب التراجم ويقارن ما لدينا من مؤلفات بما تذكره تلك الكتب، ففي ترجمة الشيخ يوسف إسماعيل النبهاني "أجزم - حيفا 1855-1932"، من أعلام النهضة في الشعر الفلسطيني الحديث، يذكر سركيس في معجمه أن له ثمانية وأربعين مؤلفاً في حين أننا لا نجد منها اليوم إلا القليل[2].

هذا التراث الفكري بما يحتويه من خلاصة الإبداع، وثمرة لعقول أعملت فكرها طويلا للنهوض بالوطن والتقدم به رغم الظروف الصعبة في ظل الاستعمار الانجليزي، إلا أن ما جاء بعد ذلك كان أشد وطأة، وأكثر خطورة فبحلول خيمة اللاجئ محل الدار والحقل، يختفي الكتاب الفلسطيني مؤقتاً إما لأن الإنسان قد فقد الأمل في كل شيء بعد أن فقد وطنه وهويته وبذلك أصبحت الثقافة بالنسبة إليه ضربا من الرفاهة والكمالية، أو لأن الظروف القاهرة قد عرقلت مسيرة هذا النتاج، حيث اضطر الكثيرون إلى نشر مؤلفاتهم بأسماء مستعارة أو الاحتفاظ بها مخطوطة مما كان يعرضها أحيانا للضياع قبل نشرها، ولم يحل انشغال الصهاينة بالاستيلاء على الأراضي واقتلاع أهلها منها، من التغاضي أو نسيان الأهداف الخطيرة الأخرى التي وضعوها في خطتهم، وكان من أهمها

(1) بانوراما الإعلام الإسرائيلي. تأليف: دان كاسبر وييهيل ليمور. ترجمة: أحمد مغازي (القاهرة: الأنجلو المصرية، 2007) ص284.

(2) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

تغييب الهوية الثقافية الفلسطينية والتخلص من كل تراث فكري لأهلها، كي تبدو وكأن الديار بكل ما فيها من هواء وكلمات وتاريخ خالصة لهم، مع إلغاء كل ما يشير بصلة إلى أصحابها الحقيقيين [1].

ونحن بأمس الحاجة إلى توثيق التراث العربي بمختلف وجوهه في فلسطين، والذي يتعرض لهجمة صهيونية استيطانية واستلابية شرسة لمفردات التراث العربي الفلسطيني فالصهاينة يحاولون نسبة نماذج التراث الشعبي والتاريخ في فلسطين إلى التاريخ اليهودي والإسرائيلي المزيف، ومن واجبنا وقف موجة النسيان لهذا التراث العربي الفلسطيني من قبل الجيل الحالي والأجيال الآتية [2].

لذا يجب فضح الكيان الصهيوني الذي يتشدق بالحرية وانتمائه إلى العالم الحر بسبب ما يقوم به من طمس للمعالم الحضارية العربية في فلسطين المحتلة، وبسبب ممارسته لسياسة تجهيل الشباب الفلسطيني وإغلاق المؤسسات التعليمية والعلمية وإتلاف المكتبات ومراكز الأرشيف والتوثيق والمعلومات الفلسطينية وسلب ذخائرها من الكتب والمخطوطات والوثائق العربية سعيا منه لطمس الهوية الثقافية والوطنية للشعب الفلسطيني، وندعو جميع الزملاء المكتبيين في الدول الغربية إلى استنكار هذه الممارسات اللاحضارية للإسرائيليين والتضامن مع زملائهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة[3].

وإذا كان لكل شعب سمات معينة في تراثه فإن حفظ التراث واستلهامه عملية يقصد بها الإبقاء على السمات القومية وهذا الإحياء بحد ذاته مرادف للاستقلال، فإحياء التراث عمل هادف للحفاظ على الثقافة والشخصية الوطنية ويرتبط تحقيق هذا الهدف بالاستقلال الفعلي فمنذ القرن الثامن عشر كان جمع الأغاني الشعبية عملاً يقصد به المشاركة في حركة التحرير الوطنية وإظهار الطابع المحلي للأغنية والموسيقى الشعبية، ولقد قاد هذا الإدراك لأهمية هذا التراث الحكومات لإعارته الاهتمام المتزايد ومع الزمن

---

(1) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2) أحمد حجازي. موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية. مرجع سابق، ص5.

(3) http://www.afli.org/sa71.html

بدأت مختلف حكومات العالم تحس بأثر إحياء الفنون الشعبية ودورها في إبراز السمات القومية [1].

والتراث أحد دعائم الثقافة الوطنية فنحن في العالم العربي عامة وفي فلسطين خاصة معنيون أكثر من غيرنا بالحفاظ عليه وتدوينه ودراسته ونشره وذلك لن التجزئة والإقليمية والتغريب تلعب جميعها دورا نشطا في طمس الشخصية الوطنية ومحوها ناهيك بالاستيطان الصهيوني الذي اقتلع شعبنا ولا يزال ممعنا في تهويد الأرض والتراث دائبا على العمل الجاد لطمس الشخصية الفلسطينية ومحوها من الوجود كما أن الخوف على المأثورات الشعبية من الاندثار أو التحريف أو من السطو عليها كما فعل الصهيونيين لأمر يستدعي الاهتمام بتدوين هذه المأثورات لحفظ تراثنا الذي يمثل حياة وتقاليد شعب من جهة، ومن جهة ثانية يكون عنصرا فاعلا في الحفاظ على شخصيتنا على بعث الإحساس القومي الصاخب فينا الذي يشكل تحديا حاسما لكل عمليات الإبادة والتهويد، وأن التعرف على ثقافتنا والتشبث بكل لوحة وكل رسم وكل موال ولحن يربطنا بالأرض التي اقتلعنا منها أمر في غاية الأهمية [2].

وهناك محاولات إسرائيلية متعمدة لتشويه التراث الفلسطيني وهذا إرهاب دولة منظم ضد الكلمة والتراث والفكرة والكوفية وضد الثوب الفلسطيني المطرز الذي يشكل الشخصية وشخصية الإنسان ما هي إلا لغته وأرضه ومعطياته الفلكلورية والشعبية، وهي القيم العليا التي يحملها وهناك محاولات لقتل القيم العليا حتى المعطيات التي تزين الإنسان الفلسطيني وعلاقته بالأرض وحبات الزيتون كل الأشياء التراثية حاولوا تدميرها ومع ذلك ستبقى لأن أي دولة إرهابية لا تستطيع أن تدمر شعبا حتى لو جاءت بكل اختراعات الذرة لا يمكن أن تقضي على حضارة شعب مهما بلغ حجم قوتها وجبروتها

(1) http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

(2)http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

وكل فلسطيني يولد وفي يده حجر بسيط يقف به أمام دبابة هذه صورة إنسانية تدل على أن التحول قادم والحرية لا بد آتية [1].

وقويت الدعوة للعناية بالتراث مع الزيادة الهائلة في المعلومات التي تجمعها وتولدها هيئات حماية البيئة والكثير يمكن الاستفادة من الموجود في الثقافات القديمة [2].

التراث الشعبي هوية ووطن وحضارة

لقد حاولت إسرائيل أن تسرق التراث الشعبي الفلسطيني، بعد أن سرقت الأرض الفلسطينية، ولكنها فشلت في إدعاء هذا التراث لنفسها ذلك أنه بقدر أهمية اغتصاب الأرض على المستوى المادي والعسكري القمعي المباشر من المستحيل اغتصاب التراث الشعبي الناتج من رحم هذه الأرض وتظل إسرائيل عاجزة، رغم تفوقها التكنولوجي وامتلاكها من مائتي قنبلة نووية، أمام إرادة الشعب الفلسطيني في الإصرار على تركه لتراث هذه الأرض والتفاصيل الحضارية لتاريخها وجغرافيتها ولكن هذه المعادلة في الصراع، بين الغاصبين المعتدين من جهة، وأصحاب الحق الشرعيين من جهة ثانية ولا تتم تلقائيا، ولا تتوافر على حفظ الحق لأصحابه، ومعاقبة الغزاة ودحرهم، دون جهد يبذل، وخطط تنفذ، ومناهج تثبت وتتحقق [3].

التراث في الخارج

أول الملاحظات تكمن في حفاظ فلسطينيي الخارج على هذه العادات، فرغم ممارسات اليهود في طرد الفلسطينيين من أراضيهم وبلادهم، ورغم تشتتهم في معظم أنحاء العالم رغم كل ذلك فقد حافظ فلسطينيو الخارج على نمط حياتهم، وحديثهم، ولبسهم، وكأنهم ما زالوا في أرضهم التي نشئوا فيها أو في قريتهم الصغيرة، وعندما

(1)http://www.amanjordan.org/a-news/wmprint.php?ArtID=1152

(2) عبد الحكيم بدران. مرجع سبق، ص193.

(3)محمد السهلي. مرجع سابق، ص4-5.

تتحدث إلى فلسطيني كبيرًا كان أم صغيرًا تجده يتحدث بلسان أهله لدرجة تمكنك من تمييز من أي بلد هو إذا كنت خبيرًا باللسان الفلسطيني ولهجاته، والعجائز الفلسطينيات ما زلن يلبسن "الثوب الفلسطيني" المطرز ويرفضن تغييره، أما الرجال فيلبسون "الحطّة" وهو غطاء للرأس يشبه ما يضعه الخليجيون على رؤوسهم أما عندما تدخل بيت أحدهم، تجدها نسخة من بيته في بلده، حيث صُور الأقصى وفلسطين في كل مكان، والـ"جاعد" - وهو صوف الخروف - يغطي كراسي الجلوس، والمشغولات اليدوية التراثية التي صنعتها ربة البيت بيديها تملأ المكان كما يحرص الفلسطينيون في أفراحهم على إظهار الجانب التراثي فيها، وهو الأمر الذي أوجد كثيرًا من الفرق الفلسطينية في العديد من الدول العربية، وهذه الفرق تعزف الأنغام الفلسطينية وترقص "الدبكة الفلسطينية"، في مدلول جديد على الحفاظ على التراث والثقافة. أما المأكولات فقد حافظ الفلسطينيون في كل مكان على تراثهم "الطعاميّ"، فمن خبز "الطابون" الذي تخبزه المرأة في البيت إلى ضرورة تواجد "زيت الزيتون" و"الزعتر" و"الميرامية" في كل بيت، فلا شاي يشرب بدون الميرامية، ولا إفطار غير "المناقيش" وهي خبز بزيت الزيتون والزعتر - لدرجة تصل إلى أن يوصي من في الخارج أهله في الداخل على إرسال "حصَّة" سنوية من هذه المأكولات لهم؛ ليخزن في البيت كمئونة وزاد للعام كله وامتداد هذا التراث وتواصله، فمن ولد ونشأ خارج أرضه، لا يزال يحمل في قلبه همَّها رغم أن أغلبهم لم يرها، ولا زالت قراءاته السياسية ومتابعاته الإخبارية للقضية مستمرة لدرجة تجعلها ساخنة دائمًا، وأصبح من المعروف بداهة في الفلسطينيين اهتمامهم السياسي الواسع رغم اختلاف مشاربهم ومنابتهم ومستواهم التعليمي، كما تنتشر بشكل كبير في أيدي الشباب الفلسطيني الميداليات التي تحمل صورا من فلسطين، ويستثيرهم دائمًا من يتحدث عنها إضافة إلى حفاظ الأعم الأغلب منهم على لهجة أهله ولسانهم [1].

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1677.html

وقد عكف فريقان من البحاثين والعلماء، مقر أحدهما في إسرائيل ومقر الآخر في المناطق الفلسطينية، على العمل معاً منذ العام 2001 في مشروع تعاوني للمحافظة على المواقع التاريخية المهمة للإسلام واليهودية والمسيحية، وقد تم تمويل المشروع، الذي أُطلق عليه اسم "برنامج التبادل من شعب إلى شعب"، من خلال هبة قيمتها 400 ألف دولار قدمتها وزارة الخارجية الأمريكية وانبثقت عن اتفاقيات واي ريفر التي تم التوصل إليها بوساطة أميركية ووقعها المفاوضون الإسرائيليون والفلسطينيون في مزرعة واي ريفر بولاية ماريلاند في العام 1998.

ويركز الفريق الإسرائيلي، وأعضاؤه من معهد (زينمان) لعلم الآثار في جامعة حيفا، على المباني التاريخية والدينية في مدينة عكا الواقعة في شمال إسرائيل والتي تعتبر من أقدم المدن التي ظلت مأهولة بشكل متواصل، ويضم الفريق الإسرائيلي مواطنين إسرائيليين من اليهود والمسلمين والمسيحيين، علاوة على ألمان وأوروبيين آخرين وأميركيين.

أما فريق الجمعية الفلسطينية للتبادل الثقافي فيركز على المبادرات المتعلقة بالتراث في موقعين مهمين ورد ذكرهما في التوراة هما بيتين (واسمها القديم بيت إيل أو بيتل) والجيب (واسمها القديم جبعون)، وقال رئيس الفريق، عادل يحيى، وهو عالم آثار ومدير الجمعية الفلسطينية للتبادل الثقافي إن "الموقعين كانا في حالة هشة يعانيان من الإهمال إلى حد كبير وكانت مهمة الفريق طوال ثلاث سنوات هي:

(1) تنظيف وترميم أو إعادة تأهيل المباني إلى أكبر قدر ممكن في القرى القديمة.

(2) صيانة المواقع من عمليات السرقة والتخريب المتعمد، وهي جرائم قللت من قيمة المواقع وثنت السياح عن زيارتها.

(3) توعية الأهالي بشأن أهمية المشروع وقد تم تشجيع المسلمين والمسيحيين العرب وتشجيع الإسرائيليين على تقبل فكرة التقاليد المشتركة والتراث والمحافظة عليه وتم التأكيد في إسرائيل على الأخص، على الاحتراس من ردم الماضي بالجرافات .

وإن إنفاق المال في سبيل الحفاظ على التراث لا يدور حول المحافظة على الماضي وإنما حول الاستثمار في المستقبل، وهذا هو ما يجعل مشاريع جديرة بالدعم الدولي [1].

وحقيقة التراث الشعبي والنصوص الشعبية تحتاج إلى دراسات أكثر مما قدمت وتحتاج إلى اهتمامات أكثر لإخراج الكثير من الإبداعات والكثير مما يرتبط بذاتنا، وشخصيتنا في هذه النصوص وما ينتج الصهاينة من أدب صهيوني يتبع نصه بمعاداة واستعلاءه على المسلمين والعرب حتى أن العقيدة اليهودية مثل التلمود، كتاب حكماء صهيون وغيرها تتضمن الاستيلاء على أرضنا، ونحن بحاجة إلى المستوى التحريضي وليس كثيراً أن للأمور فلسفة لا يفهمها الجمهور ولذلك نحتاج إلى النص التحريضي الصادق، الحق الذي يستند على مستندات مستندات الحق، المستندات القرآنية مثلاً، مستندات إسلامية الذي يستند إلى رؤية بسيطة في ما معنى الحق وما معنى الباطل، ما معنى هذه الأرض وما معنى الاستيلاء عليها فلذلك نحن كفلسطينيين نحتاج فعلاً إلى تكثيف في النصوص المحرضة على المقاومة التي تدفع الإنسان الفلسطيني دوماً للتمسك بأرضه والدفاع عن مقدساته ومقاتلة هذا الكيان الصهيوني حتى يزول من أرضنا [2].

لذا تبرز أهمية توظيف هذا التراث في الأعمال الأدبية والفنية، مثل الروايات والقصص والقصائد واللوحات التشكيلية والمسرحيات وغيرها إن جذور هويتنا الوطنية الفلسطينية، لن تضيع أبدا، فإذا كانت الجرافات الإسرائيلية قد جرفت ودمرت في العام 1948م، أكثر من أربعمائة وثماني عشرة قرية فلسطينية، وواصلت جرائمها بعد عام 1967 ممعنة في تخريب وتهديم القرى والمدن الفلسطينية، وزرع المستوطنات اليهودية فوق التراب الفلسطيني فإن الذاكرة التراثية للشعب الفلسطيني حافظة لهذه القرى والمدن وقادرة على إحيائها [3].

(1)http://usinfo.state.gov/ar/Archive/2005/Jun/29-686690.html

(2)http://www.irib.ir/worldservice/ArabicRADIO/pages/culture/Leghaat/Legha06.htm

(3)محمد السهلي. مرجع سابق، ص5-6.

الفصل الرابع

التراث الفلسطيني أهميته وأنواعه

الفصل الرابع

التراث الفلسطيني أهميته وأنواعه

تمهيـد

تعد دراسة التراث الفلسطيني والتعرف على مكوناته وأنواعه من المجـالات النـادرة في ظل الظروف الخاصة التي يعيشها الشـعب الفلسـطيني رغـم أهميـة هـذا المـوروث الثقـافي والمادي في زيادة وعي وإدراك المجتمع الفلسطيني بجذوره وأصوله الثابتـة منـذ القـدم وبمـا يجسده هذا التراث من حفاظ على الهوية الوطنية الفلسـطينية ودعـم القضـية الفلسـطينية وتأكيد الحقوق وإثباتها بالأدلة المادية والثقافية التي تحاول عوامل التطور والتقدم الصناعي والتكنولوجي العمل على نسيان وإهمال هذا الـتراث وبـالأخص مـن قبـل عـدو يحـاول بكـل السبل طمس ومحق هذا الموروث.

وساهم التراث الفلسـطيني في الحفـاظ عـلى تماسـك وتـرابط الشـعب الفلسـطيني في مختلف المراحل التي عاشها وشـكل سـد منيعـا لكـل محـاولات التغيـير السـلبية في العـادات والتقاليد وأصبح له طابع خاص ميزه عن باقي الثقافات.

ويستمد التراث الفلسطيني قوته وجذوره من الـتراث العـربي الإسـلامي الأصـيل الـذي ينبع من الثقافة العربية الإسـلامية العريقـة التـي تكونـت عـلى مـدى السـنين لتحـافظ عـلى مكونات وقدرات الأمة التاريخية والمادية والفكرية.

ولقد عبر الرأي العام الفلسطيني في مراحل تاريخه الطويل عبر الأزمنـة المتعاقبـة عـن نفسـه مـن خـلال تراثـه المـادي والمعنـوي (الثقـافي) مـن خـلال الأهزوجـة والمـوال والدبكـة والمثل والأغنية الشعبية وميجانا وعزافا وظريـف الطـول تتنـاول في كـل ذلـك كافـة أصـناف

الحياة بأشكالها المختلفة النضالية والعاطفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية وقضايا المرأة وغيرها [1].

ويتميز التراث الفلسطيني بتعدد أنواعه من تراث مادي وفكري ولفظي وفني وتنوع مجالاته المختلفة من عادات وتقاليد وملابس وأزياء شعبية وتراث معماري وأماكن مقدسة ومأكولات شعبية وعلاج شعبي وأمثال شعبية وأغاني وحكايات شعبية ساهمت في رسم ملامح الثقافة والهوية الوطنية الفلسطينية التي اتسم بها الشعب الفلسطيني على مر التاريخ لتأكد جذوره في هذه الأرض.

بداية الاهتمام بالتراث الفلسطيني

بوادر الاهتمام بالتراث في فلسطين بدأت مع الدكتور توفيق كنعان بعد الحرب العالمية الأولى إذ قام بزيارة ما لا يقل عن ثلاثمائة وخمسة وعشرين مزارا دينيا وشاهد عن كثب الاحتفالات والاعتقادات المتعلقة بهذه المزارات وكتب حول ذلك وجاءت بعده (هيلما جرانكفست) الفلندية عام 1925م ووضعت دراسة رائدة حول التراث الشعبي في قرية ارطاس إحدى قرى قضاء بيت لحم بفلسطين، لكن الاهتمام الفعلي الواسع بجمع التراث الفلسطيني ودراسته بدأ بعد النكبة عام 1948 داخل فلسطين وخارجها فظهرت عدة مؤلفات ولا يزال بين الحين والأخر يظهر مؤلف جديد أو دراسة جديدة ، وهذا الاهتمام المتنامي بدراسة التراث الذي يمارس دوراً في توجيه الشعب وفي تقرير نمط حياته وتفكيره وتصرفاته ويعكس الكثير من حياة الشعب وأفكاره ومشاكله وأحاسيسه [2].

لذلك ليس غريبا على هذا الشعب أن يمارس طقوسه الحياتية من فرح وحب وزواج وقتال وزرع وطلب علم وهجرة للعمل في بقاع الأرض، وفي نفس الوقت يحمل

---

(1) عبد الفتاح حميد. مدير عام حماية المستهلك بوزارة الاقتصاد الوطني الفلسطينية ومهتم بقضايا التراث. مقابله بتاريخ 2008/3/9 بمكتبه بالوزارة بغزة.

(2)http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

إصرارا على استعادة حقه مهما قدم من تضحيات، وهو الشعب نفسه التي ورث عن أجداده هذا التراث الغني بألوانه الزاهية وسجل فيه صورة حياته اليومية ومعتقداته وبطولاته وكلها حملت سمات الطبيعة الفلسطينية الغنية بألوان الفرح وليس أقرب مثالاً على ذلك من أن تتأمل الأرض الفلسطينية في فصول السنة الأربعة حتى ترى ذلك التباين والتنوع فيما تكتسبه في كل فصل من ألوان [1].

ولا شك أن كتب الرحلات العربية هي إحدى تصنيفات كتب التراث العربي التي عقدت الآمال على فرز التراث الشعبي من محتواها لإغناء الدراسات العربية بمنابع التراث الشعبي العربي الأصيل ويمكن أن نعثر على جزئيات من نماذج التراث الشعبي كما هي في بر الشام وفي دائرة أضيق يمكن العثور على جزئيات تلتصق بالمدن والقرى والبوادي الفلسطينية فنحن إذن يمكن أن نستخلص التراث الشعبي الفلسطيني في الرحلات العربية المشهورة من ثلاثة أطر[2]:

1-إطار التراث الشعبي العربي بعامة، فتكتشف ما يكون اعتباره جذورا عربية للتراث الشعبي الفلسطيني كما هو في هذه الرحلات.

2-إطار التراث الشعبي لبر الشام فنرى من ما يطبق بالفعل في فلسطين باعتبارها جزاء من بلاد الشام.

3- الجزئيات الخاصة بفلسطين مباشرة.

ولا تنفصل الثقافة الشعبية الفلسطينية عن الثقافة الشعبية الكنعانية (بلاد الشام) بل ترتبط ارتباطاً خاصاً بها , بصفتها شجرة مشتركة لكن أهمية فلسطين في شجرة العائلة المشتركة تكمن في كونها المركز لأسباب تاريخية وجغرافية، وقد تم إضعاف هذا المركز في القرن العشرين بالتحديد منذ مأساة 1948, حيث تم تدمير التطور الطبيعي للمجتمع الفلسطيني , مما ساهم في خلق ثقافة شعبية هجينة خصوصا لدى الفلسطيني في

---

(1)http://www.shala.ca/articles/15.htm

(2) فؤاد عباس. مدخل إلى الفولكلور (القاهرة: دار الموقف العربي، د.ت) ص54-55.

المنفى، وبطبيعة الحال لا تنفصل الثقافة الشعبية الفلسطينية عن محيطها العربي , بل بالعكس فقد كانت هذه الثقافة مفتوحة ومؤثرة عربياً وعالمياً وخصوصاً أنها تنطلق من حضارة أممية قديمة هي الحضارة الكنعانية،وقد كانت القدس مركز ثقافات العالم حتى عام 1948[1].

وفي ظل التطورات التي شهدتها القضية الفلسطنية سعى الاتحاد النسائي العربي لرفع مستوى التراث الوطني وتعزيزه ودعمه في مجال العادات والتقاليد التي تُعنى بالمرأة من خلال الجمعيات الخيرية النسائية للحفاظ على التراث الفلسطيني[2]، إذ ان التراث الفلسطيني نشأ من داخل المنظمات النسائية وأصبح لديهن اكتفاءاً ذاتياً من خلال تحرير أنفسهن أقتصادياً بتوفير مستلزمات الحياة الكريمة من خلال العمل المتميز في مجال التطريز والزي الفلسطيني الذي يشكل رمزاً لتراث الشعب الفلسطيني [3].

ولكل شعب من شعوب العالم حضارته الخاصة به التي يعتز بها ويخلدها، والشعب الفلسطيني الذي هو جزء من الشعوب العربية , يعتبر بتراثه الذي يشير إلى حضارته التي توارثها عن أجداده جيلا بعد جيل , والتي ساهمت في زرع بذور الحضارة العالمية التي توالدت ونمت إلى أن وصلت إلى ما وصل إليه الإنسان من الخلق والإبداع الذي نراه في عصرنا الحاضر [4].

وتعددت أنماط التراث الفلسطيني وتنوعت في مسكنه وملبسه وحتى مأكله وما يربط بينها من تراث فكري وثقافي، وأصبحت له سمات تراثية تركزت في جانب غير تلك التي صاغت ابن الأرض الزراعية السهلية اختلفت جميعاً مع ابن البيئة الجبلية وكذا

---

(1) محمد السهلي. مرجع سابق. ص2

(2) Peteel, Julie (1991) Gender in Crisis: Women and the Palestinian Resistance Movemeent. New York: Columbia University pres , p546.

(3) Weir, Shelagh (1989) Palestinian Costume. London: Britsh Museum Publications Ltd, p213.

(4) ناجي عبد الجبار. دليل متحف التراث الشعبي الفلسطيني (رام الله. جمعية إنعاش الأسرة، 1996) ص4.

البحرية وهذا الاختلاف كون عنصر التبادل كل وفق ما فاض عن حاجته داخل إطار حدود بيئاتهم المحلية أولاً ثم تخطت ذلك حدود الأقاليم الطبيعية مع أقاليم أخرى مجاورة، فبدأ معها المؤثرات التراثية الأخرى التي ربما أضافت أو سلبت أشياء من وإلى تراثهم لتخرج من نطاق الجغرافيا المحددة الثابتة لدور التاريخ المتحرك لتحدث المتشابهات [1].

ويعيش الشعب الفلسطيني في مرحلة الانتفاضة المباركة بمعناها الشمولي المتضمن جميع مناحي حياته السياسية والاجتماعية وحتى السيكولوجية كمقدمة حتمية لنيل استقلاله والعيش داخل كيانه وعلى أرضه الفلسطينية استمراراً لما كان عليه أجداده، والانتفاضة التراثية هي شعاع من إشعاعات الانتفاضة الشاملة يرفع شعارها شعبنا بإيمان واثق بأن من لا تراث له لا حضارة له ومن لا حضارة له لا تاريخ له ومن ليس له تاريخ ليس له وجود [2].

الفولكلور الفلسطيني تعبير عن الهوية الوطنية

بدأت فكرة الفلكلور الفلسطيني كوسيلة مهمة جدا لعرض قضية فلسطين من خلال التراث الذي أعتقد أنه سلاح ووسيلة مهمة جدا لتقديمها لنبرز أننا شعب حضاري وثقافي، كان لدينا تراث وفلكلور غني جدا والذي حاول آخرون طمثه وأخذه منا حتى بطريقة أو بأخرى وأن الفلكلور هو وسيلة مهمة لإخبار العالم عن الشعب الفلسطيني وعن حضارة فلسطين [3].

وبدأ تأسيس الفلكلور الفلسطيني في الأول من تموز عام 1966 في مدينة البيرة – محافظة القدس بفلسطين المحتلة وقام نمر سرحان بالمجهود الأساسي في إعداده بالمشاركة مع ابن عمه الشهيد عاطف سرحان، وبدأت أعمال المسح الأولى في منطقة الضفة الغربية من

(1) سليم المبيض. الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية. مرجع سابق، ص5-6.

(2) سليم المبيض.ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990) ص5.

(3) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/12BEA6CE-19B7-4E92-94FE-1781CE318823.htm

الأردن في عـام 1981 تـم اعـتماد أسـلوب جديـد للبحـث عـن الـتراث بشـكله المعـاصر عـبر مجهـودات لجنـة موسـوعة الفلكلـور الفلسـطيني ولجنـة اليـوم العـالمي للـتراث الشـعبي الفلسطيني[1]وكان الفولكلور الفلسطيني واحداً من أهم العوامل التـي جعلـت الفلسـطينيين يستكشفون ذاتهم الوطنية، ويشعرون بهوية متميزة، أما العوامل الأخرى فكانت: [2]

1- ظهور حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين 1922 – 1948، والتي أعطت الـبلاد شكلاً سياسياً يمتد من رفح إلى الناقورة ومن يافا إلى أريحا.

2- الهجمة الصـهيونية عـلى فلسـطين، التـي تمثلـت في الهجـرة اليهوديـة التـي بـدأت تتصاعد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما رافقها مـن إعـلان بريطـاني على أن البلاد هي "وطن قومي لليهود" والـرد الـوطني الفلسـطيني عـلى الهجمـة والذي جاء في سياق ما اسماه (ارنولد توينبي) في كتابه دراسـة للتـاريخ "حسـنات الأحوال المعاكسة" ذلك أن الهجمة الغربية الوحشية عـلى الـبلاد، والتـي تمخضـت عن قيام إسرائيل، وطرد السكان العرب الفلسطينيين حفزت الشـعب الفلسـطيني على المقاومة ورفض الاحتلال ومصادرة الأراضي، وأعطتهم فـوق كـل شيء الشـعور بالهوية الوطنية المتميزة عن باقي أقطار الوطن العربي.

وهكذا كان الوعي بالتراث الثقافي الشعبي (الفولكلور) وظهور الوضع السياسي المتميز (حكومة الانتداب) على قطعة أرض محددة ومقاومة الغزو الصـهيوني، وابـراز العوامـل التـي تضافرت لتشكيل الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، وفي مرحلـة تاريخيـة معينـة، تفاعلـت هذه العوامل مع بعضها البعض وتداخلت ليشكل الشعور بها جميعاً، شـعوراً بتوحـد الهويـة الفلسطينية، ذلك أنه بعد الهزيمة التي مُني بها العـرب بعـد حـرب عـام 1967 بـدأت تتولـد مشاعر وجدان جمع الشعب الفلسطيني" في المحاور التالية:

---

(1) أبحـاث مـؤتمر المـأثورات الشـعبية في 100 عـام. مشروع بحـث الـتراث والثقافـة الشـعبية والتغيـر الاجتماعي. سلسلة أبحاث المـؤتمرات. ج الأول. ط1 (القـاهرة: المجلـس الأعـلى للثقافـة، 2002) ص 266-267.

(2) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1574.html

1- هزيمة العرب في الحرب أنهت التواكلية الفلسطينية على الأمة العربية والتحرير.

2- الاحتلال أعاد توحيد أراضي الثمانية وأربعين، وأعاد لفلسطين وحدتها الجغرافية (تحت الاحتلال) وتماس عرب الداخل مع عرب الضفة، وبمقدار أقل مع عرب الشتات الذين أصبح بإمكانهم ضمن ظروف معينه القدوم إلى فلسطين.

3- رافق ذلك عملية الاستقراء السياسي[1] للفولكلور الفلسطيني وان كان قد أشار له بصورة غامضة باحثون فلسطينيون، ومستشرقون، ربطوا بين الفولكلور والجغرافيا ولم يربطوا بين الفولكلور والهوية الوطنية.

4- بعد إنتهاء حرب 1967، أكتشف الفلسطينيون، أنهم لم يعودوا للتواصل مع شعبهم الذي بقي في الجليل والمثلث والنقب بعد حرب عام 1948، بل أيضا صاروا على تماس مباشر مع الاحتلال الإسرائيلي، الذي شكل بالنسبة إليهم نقيضاً قومياً يرمز للاحتلال، ولذلك فان ردة الفعل عند الشعب الفلسطيني أخذت أشكالاً عدة، من بينها المقاومة عبر الكفاح المسلح وإبراز مكونات الذات الوطنية وإبراز الفولكلور- المأثورات الشعبية- والمادية والمعتقدة وتداخلت المأثورات الشعبية مع الكفاح المسلح تداخلاً لا تنفصم عراه، "الحطة المرقطة" التي ميزت الفدائي الفلسطيني (وكانت زيا فلاحياً معروفاً) استمرت في التعبير عن هوية شعبية ولكن هوية مقاومة أيضا، والثوب الفلسطيني المطرز كان علامة مميزة لتقاليد فنية شعبية فلسطينية، ولكنه أصبح أيضا رمزاً لهوية فنية للشعب، وهذا الثوب أصبح زي المناسبات والاحتفالات، وأيضا للطبقات الأرقى في المجتمع، وكشكل

---

(1) نمر سرحان. موسوعة الفلكلور الفلسطيني. ط2 (عمان: وزارة الإعلام الأردنية، 1988) ص14.

مـن أشـكال إظهـار الهويـة والتمسـك بهـا، بعـد أن كـان زي الطبقـات الأدنى (الفولكلورية).

ولا غرابة في الإطار الأول أن نعثر على قائمة من الشعراء الشعبيين الـذين عاشـوا ثـورة (1936_1939) ممن ينطبق على كل واحد منهم صفة شاعر وثائر شاركوا في الثـورة وخاضـوا معارك فيها، ومارسوا نشاطاهم في الحركة الوطنية , وزج بعضهم في السجون والمعتقلات كما أطلقوا الكلمة الرصاصة أيضا , ولاقوا بأشعارهم وأهازيجهم الوطنية تعاطفا جماهيريا واسـعا وسجل الكثير من أشعارهم على اسطوانات استمع إليهـا الشـعب في التجمعـات والمظـاهرات وحتى في الأفراح هؤلاء الشعراء كانت لهم شعبية مرموقة لأنهم اسـتخدموا الكلمـة السـهلة في أشعارهم كما تميزوا بالصدق في التعبير عن قضـية شـعبهم كـان صـدقهم بـالقول والفعـل، كانوا يثورون الناس وكانت رصاصاتهم أنفذ من كلماتهـم، ومـن وجهـة نظـر شـعرية خالصـة فإنهم غنوا للثوار في الجبال وللفلاحين على البيادر وفي الكروم والبساتين وكان شـعرهم بمثابـة خبز القمح المفضل لدى أفراد الشعب لأنه عبر عن حياتهم اليومية [1].

إن التراث الفلسطيني ما قبـل الــ 48 تغـير كثـيرا ولكنـه بقـي تراثـاً فلسـطينياً-صـنعه فلسطينيون مثلهم- وكذلك الفلسطيني تغيّر ولكن هذا لا يعني أنه لم يعد فلسطينيا[2].

ومن التراث الفلسـطيني: العملـة الفلسـطينية، صـندوق العـروس، زي الأسرة، ثـوب المرأة فستان العروس، أدوات مستخدمة، مأكولات شعبية، الطابون ، لوحات من الماضي [3].

وضمت المنظمة العالميـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم (اليونسـكو) يـوم11 -12-2001م مدينة عكا الفلسطينية إلى قائمة التراث العالمي، وتشتهر عكا بأسـوارها الشـهيرة التـي بقيـت

---

(1) فؤاد عباس.معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية. ط1 (عمان: دار الجليل للـنشر والدراسـات والأبحـاث الفلسطينية، 1989) ص36-37.

(2) http://www.almoultaqa.com/Lebanon99/sukaria.aspx

(3) http://www.jayyousonline.org/heritage.htm

ماثلة أمام الأعين على مر العصور كشواهد على حضارتها ودورها الريادي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وتحتضن عكا معالم حضارية أخرى شهيرة كالجوامع والأسواق والحارات القديمة إلى جانب قلعتها التي أدت دوراً هاماً في الدفاع عن المدينة من الأخطار الخارجية ويأتي اختيار اليونسكو لعكا ضمن قائمة التراث تأكيداً على عظمة هذه المدينة تاريخياً وحضارياً [1].

وفي الحقيقة أن الحديث عن ثقافة أي شعب تفرد له مجلدات دون الانتهاء من حصر معالم تلك الثقافة، لكنَّنا نشير هنا إلى طرف من تلك الثقافة الشعبية التي تميَّز بها الفلسطينيون وذلك باستعراض خصائص اللهجة الفلسطينية في نطق بعض الحروف - كما وردت في الموسوعة الفلسطينية اختصار بعض الكلمات واختزالها: مثل (هذه الساعة) التي تصبح (هسّع) ثم (إسّه) وقد كثر استعمال هذا اللفظ تحديدًا في شمال فلسطين، بينما يستخدم أهالي المناطق الوسطى للمعنى نفسه كلمات أخرى ففي نابلس يقولون: (هلَّق) وفي الخليل: "هلئيت" والقرويون يقولون: "هسَّه" وكلها اختصاراً لـ(هذه الساعة) أو لـ(هذا الوقت) والأمثلة في هذا المجال كثيرة كما أن مظاهر التراث الفلسطيني لم تقتصر على اللغة أو اللهجة، بل تعدّت ذلك إلى اللباس المميز الخاص، والمتنوع والمختلف من مدينة لمدينة وقرية لأخرى كما يوجد هناك عادات الزفاف، وطرق إقامة الاحتفالات، وأنماط الزيارة في الأعياد والأكلات، وغير ذلك الكثير وليس مجالنا هنا سردها، بل حسبنا من الاستشهاد الإثبات [2].

---

(1)http://www.arabcin.net/areen/27/reports2.htm

(2)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-46/alrawe1.asp

العلاقة بين التراث والوطن

العلاقة بين التراث والوطن علاقة وثيقة الخصوصية في المجتمع الفلسطيني التي تتجسد في الدور الهام الذي يمارسه الريف في التمثيل الوطني للثقافة المادية الفلسطينية التي تسعى اسرائيل للسيطرة عليها بكل الاساليب والوسائل [1].

وتقع الكثير من كتابات مدونات التاريخ الفلسطيني تحت تأثير النموذج العصري فيما يتعلق بالعادات والتقاليد التي يتمتع بها أصحاب الأرياف التي لا تتبدل ولا تتغير مع مرور الزمن [2].

أنواع التراث الفلسطيني ومجالاته

إن أنواع التراث ومجالاته وأشكاله كثيرة لا حصر لها، فهو كل ما أورثه السلف للخلف في شتى مجالات الإبداع البشري، لكي يورثه أولئك الوارثون لمن سيأتي بعدهم.

ويمكننا الحديث عن التراث المادي، والتراث الروحي والفكري "الذهني"، والتراث الفني والتراث المادي، والتراث اللفظي والمجالات الرئيسية المرتبطة بعناصر التراث: الأرض والإنسان واللغة، والتراث المادي الذي يضم كل ما تراه العين، والتراث الفكري أو الذهني الذي يضم كل ما أبدعه الفكر، والتراث الفني الذي يتناول جميع أوجه الإبداع الفني والممارسات المختلفة من طقوسية وغير طقوسية، والتراث اللفظي هو كل ما له علاقة بالكلمة والألفاظ واللهجات العامية والحكايات والحزازير والأمثال الشعبية، ويمكن تقسيم التراث الفلسطيني إلى أربعة أنواع:

1- التراث الفكري أو الذهني: يشمل كل ما أبدعته وأنتجته قرائح أبناء الشعب خلال القرون والعصور في جميع المضامين: في الفقة والفلسفة واللغة

(1)Abu El-Haj, Nadia (2001) Facts on the Ground: Archaeological practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society. Chicago & London: University of Chicago press, p156.

(2) Pappe, Ilan (2004) A History of Modern Palestine. One Land, Two Peoples. Cambridge, UK:. Cambridge University Press, p 81.

والأدب والشعر والنثر والنقد والبحث والتاريخ والجغرافيا، والطب والزراعة والتربية والتعليم، وكل حقول المعرفة، ويتجسم في العادات والتقاليد (الولادة والأعراس والموت) والمواسم والأعياد ووسائل التسلية أو الترويح عن النفس كالألعاب الشعبية.

2- التراث المادي: يضم كل الثقافة التي ترى بالعين ومنها المواقع التاريخية والأثرية ويضم الأسوار والقلاع والحصون، ويضم المساجد والكنائس وقبور القديسيين والأولياء والصالحين ويضم كذلك أنماط البناء وهندسته وفنه وتخطيطه، و" القصبة " والسوق والخان والبئر و"السبيل " و"الحي" و" الحوش " والمنزل وأعمدته وقناطره ونوافذه، وهو وصف لأشكال وأحجام الأدوات التي يستعملها الشعب في حياته اليومية (أدوات الطعام والشراب وأدوات الحرف والمهن وغيرها وأشكال وهندسة القرى والبيوت والمنشآت العمرانية) [1].

ويضم أيضاً الأزياء الشعبية كالكوفية والعقال والقمباز والسروال، ووسائل الزينة من كحل وحنا والمطبخ الشعبي التقليدي وأدواته، والفنون التشكيلية، ويضم الحرف والصناعة التقليدية التي تعتمد على المواد الخام المحلية.

3- التراث الفني: يشمل الغناء والموسيقى، والعزف، والألحان، والآلات الموسيقية والدبكات والرقصات، والأهازيج والتهاليل، وأغاني الأفراح وأغاني العمل وأغاني المناسبات الدينية بالإضافة إلى الزجل والشعر العامي الذاتي وغيرها [2].

---

(1) أحمد الساعاتي. مرجع سابق، ص324 .

(2) منعم حداد. التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، مجموعة دراسات وأبحاث (الطيبة-فلسطين: مركز إحياء التراث العربي، 1986) ص12.

4- التراث اللفظي: وهو ما يتعلق بالألفاظ التي ورثناها عن أجدادنا واللهجات العامية التي نستخدمها والأمثال والحكايات والحزازير الشعبية التي نرددها في حياتنا اليومية [1].

أولاً: التراث الفكري

1- العادات والتقاليد الاجتماعية

التراث هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل نقول: " التراث الإنساني " التراث الأدبي، التراث الشعبي "، وهو يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شّعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات [2].

العادات الاجتماعية: العادات، جمعٌ لكلمة عادة، وهي من الفعل تعوّد يتعوّد تعويداً ومعنى هذه الكلمة ومفهومها الدارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها وتكرَّرَ عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً ومأنوساً، وهي نمطٌ من السلوك أو التصرُّف يُعتادُ حتى يُفعل تكراراً، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه وفي البيئة التي يعيش فيها.

والعادة اصطلاحاً: هي ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مراراً متكررة، نقول عاد الشيءُ فلاناً أي أصابه مرة بعد أخرى، يقال: عاده الشوقُ أو الحنين أي رجع إليه مرة بعد مرة ونقول: عَوَّدهُ على أي جعله يعتاد هذا الشيء حتى يصير عادة له، وسمعتُ شيخاً يذكر مرضياً يعتاده كلّ عام ويقول: " كل معيود مبارك "، وهناك مثل شعبي يقول:" بن آدم عَوَّاد على أثره " وفي لسان العرب في مادة:ع و د: أنشد ابن الأعرابي لم تَزَلْ تِلْكَ عادَةَ اللهِ عِنْدي، والفَتى آلِفٌ لِما يَسْتَعِيدُ وقال: تَعَوَّدْ صالِحَ الأَخْلاقِ، إِني رأَيتُ المَرْءَ

(1) أحمد الساعاتي. مرجع سابق، ص324.

(2)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

يَأْلَفُ ما اسْتَعادا وحتى كلمة عيادة تعني المكان الذي يرتاده الناس من وقت لآخر من أجل المعالجة والاستشفاء فالعادة إذن هي ما تكرر فعله حتى أصبح ديدناً، وألفته الأبصار لكثرة مشاهدته في حياة الناس اليومية [1].

وهي العادات القديمة، المتأصلة، الراسخة في الثقافة، والتي تدوم طويلاً، فيأخذها الخلف عن السلف، والتي تبقى وتستمر برغم فناء الأفراد الذين يكونوها، فالإنسان يولد في عادات قد وجدت قبله، وقد تتغير بعض الشيء في حياته، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات في بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة له [2].

والعرب يكرهون إنشاء العادات الجديدة خشية على عاداتهم المتوارثة، وخوفاً أن يكون في هذه العادات الجديدة ما يُفقد مجتمعهم بعض المواصفات الكريمة التي يفضلون بقاءها حية فيه ويقولون في ذلك:" ابْطِلْ عَادة ولا تُنْشِيء عَادة "، والمعنى مفهوم من ذلك.

وقد شهدتُ بطلان عادة كانت متبعة في مجتمعنا وهي عمل القِرَى في المآتم، حيث كان أهل المتوفى يقومون بذبح الذبائح واستقبال المعزِّين وكأنهم في عرس، وقد بطلت هذه العادة في أواخر الستينيات أو تحديداً في عام 1968، وكان بطلانها من الأمور الايجابية التي اتخذها مجتمعنا في ذلك الوقت.

وقد تموت بعض العادات وتمحى من الوجود بسبب غيابها عن الأعين والأبصار كعادة لبس الطربوش مثلاً التي كانت سائدة في العهد التركي، وقد تظهر عادات جديدة تفرض نفسها على المجتمع كعادة لبس المرأة للجلباب الفضفاض التي أصبحت مألوفة في مجتمعنا وكادت تقضي على الثوب الأسود التقليدي المطرّز بأنواعه المختلفة، وكذلك لبس الرجال للسراويل الإفرنجية المزمَّكة التي قضت أو كادت على لباس الرجل التقليدي المعروف والذي يُسمى في مجتمعنا " الكِبْر"، ويسمى عند أهل القرى "القُمْبَاز" [3].

(1) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(2)Kluckhohn & Kelly, "the concept of culture " in r. Linton (ed): the science of man in the world crisis,p,97.

(3)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

والعادات تقدم حلولاً لكثير من مشاكل الإنسان اليومية، وتقدم لنا الجواب عن كثير من الأسئلة المتصلة بكثير من المناسبات والأحداث الجارية في حياتنا، وترسم لنا بالتفصيل كيف ننظم علاقاتنا الاجتماعية وكيف ومتى نقوم بالحفلات والمراسم والشعائر " والطقوس " وكيف ومتى نقوم بأساليب المجاملات المختلفة، وتبين لنا الأوامر والنواهي المختلفة، والأنماط والطرق التي نتبعها في الإنتاج والتبادل والتوزيع، إلى غير ذلك من أساليب العمل والنشاط في ميادين الحياة المختلفة ومن خصائص العادات التقليدية التي تميزها، من أهمها وأبرزها الاستمرار والدوام، والقابلية للتغير، والميل إلى المحافظة [1].

ومن بعض العادات السائدة في مجتمعنا للدلالة فقط: عادة استقبال الضيوف وتقديم القِرَى لهم وزيارة المرضى ودعوتهم لتقديم الواجب والاحترام لهم والمتمثلة بعمل القِرَى أو " القَرْوَة " كما تسمى في مجتمعنا، وكذلك الحال بالنسبة للمعتمرين والحجاج لدى عودتهم، وقد أجمع المعتمرون والحجّاج على عدم الذهاب مع أي شخص فأصبح الناس يأتونهم للتهنئة بالعودة وأداء المناسك ليس أكثر[2].

وللعادات التقليدية دور يشبه دور الوراثة في الحياة الفسيولوجية فهي تنقل جزءاً من الماضي إلى الحاضر وبذلك تؤدي إلى نوع من الاستمرار والتواصل بين الأجيال المتعاقبة وليس هناك ثقافة بدون عادات تقليدية، فكل الشعوب المتمدينة منها والمتأخرة، تتصل بالماضي لتسترشد به وتهتدي بهديه عن طريق هذه العادات التقليدية، فوظيفة العادات التقليدية الإرشاد إلى الحياة السليمة، وبدونها لا يمكن الجماعة أن تكسب شيئاً من ماضيها يهديها في تصرفاتها ويسهل عليها حياتها، وهي كما يعبر عنها " كلاكون وكلي " Kluckhohn & Kelly " وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع [3].

(1) فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1996) ص152.

(2)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(3)Kluckhohn & Kelly, Op. Cit. p,97.

التقاليد: جمع لكلمة تقليد، وهي من الفعل قلَّدَ يُقلِّدُ تقليداً، ومعناها أن يُقلِّـد جيـلٌ أساليب الجيل الذي سبقه ويسير عليها، إن كان ذلك في الملبس أو في السـلوك والتصرفـات أو في العقائد والأعمال المختلفة التي يرثها الخَلَف عن السَّلَف، وفي المنجد، التقليد: جمع تقاليـد وهو ما انتقـل إلى الإنسـان مـن آبائـه ومعلميـه ومجتمعـه مـن العقائـد والعـادات والعلـوم والأعمال ويقال قَلَّدَ فلاناً: أي اتبَعَهُ وحاكاهُ فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولا دليل.

وفي تراثنا وحياتنا الاجتماعية عندما نرى فتاة تطرِّز قطعـة مـن القـماش لتعمـل منهـا ثوباً فإننا ندرك أنها تُقلِّد والدتها في ذلك، وكذلك لو بـدأت تعجـن الـدقيق أو تـتعلم الطهـي على الصاج أو غيره فهي تكتسب تلك المهارات مما تراه عند والدتها وتقلدها في ذلك متخـذة إياها قدوة لها تسير على نهجها وتتبع خطواتها وتسلك مسلكها[1].

والواقع أن الألفاظ: تقاليد، وتقليد، وتقليدي أصبحت معروفـة عنـد كثـير مـن كتابنـا ومؤلفينا من علماء الاجتماع وغيرهم، بدلالتها على القـدم ومضى زمـن، وإذا اتصـف السـلوك بأنه تقليدي يستشف من ذلك أن مزاولته دامت حقباً طويلة، وأنه محاكاة لسـلوك القـدامى ومتوارث عنهم وهذا المعنى مذكور في المعجم الوسيط إذ جاء به أن التقاليـد هـي العـادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف.

كذلك إذا تدبرنا ما يقابل تلك الألفاظ في اللغة الإنجليزيـة مثـل: - Traditional - Tradition Traditions وجـدنا أنهـا كـما يقـول مـاكس راديـن "Max Radin" تستعمل بمعنى قديم Old وراسخ وعريـق Long Estanbished فـالمعروف في العـالم

(1) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html\

الغربي، أننا إذا قلنا Traditional Religion أي الديانة التقليدية، كان المقصود " المسيحية " Christianity [(1)].

والطفل عندما يبدأ النطق فهو يقلد والديه ويحاكيهم في لفظهم وتصرفاتهم حتى يستقيم لسانه ويهتدي إلى اللفظ السليم ، وكذلك في السلوكيات فإن للبيت أثره البارز على تنشئة الأولاد وتربيتهم على الأسس السليمة، فمن يتربى في أسرة محافظة ملتزمة بدينها يسير على نهج والديه، وكثيراً ما نرى ترادفاً ظاهراً بين كلمتي عادات وتقاليد فنرى الناس يقولون: من عاداتنا وتقاليدنا فعل كذا، أو إننا نحافظ على عاداتنا وتقاليدنا، فالعادات والتقاليد مثلاً تقضي بأن لا تزوّج عائلة ابنها أو ابنتها من عائلة أخرى، ليس لأن في تلك العائلة ما يعيبها، ولكنهم ساروا في أثر آبائهم وقلدوهم في تصرفاتهم ولم يغيروا أو يبدلوا شيئاً ، وكثيراً ما نرى بعض الصفات التي تدلّ على القِدَم والجهل والعمى تلتصق بكلمة التقليد مثل: تقليد أعمى وتقاليد بالية وغيرها من الألفاظ والعبارات التي يستعملها المفلسون في أغلب الأحيان، وفي أمثالنا الشعبية: " اللي بيعاشر القوم أربعين يوم، بيصير يا منهم يا عليهم " لأنه يتعلم طباعهم ويجاريهم في عاداتهم وتقاليدهم ويعرف عنهم كل صغيرة وكبيرة [(2)].

وتتغير التقاليد عندما يتعرض حاملوها لتقاليد أخرى، ويحدث التغير في التقاليد المستقرة نتيجة القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي يتمتع بها مناصرو التقاليد الغربية ووضوح ملاءمة وتأثير التقاليد الغريبة وتفوقها الفكري على المسلمات التي تنهض عليها التقاليد المستقرة[(3)].

---

(1) فوزية دياب. مرجع سابق، ص152.

(2) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(3) ادوارد شيلز. التراث: تأصيل وتحليل من منظور علم الاجتماع. ترجمة: محمد الجوهري وآخرون (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2004).

وهناك بعض الكلمات التي لها علاقة بالعادة والعادات ومنها الطَّبْع، والكار، فنجد في الأمثال الفصيحة:" الطبع غلب التطبُّع "، وفي الأمثال الشعبية:" طَبْع اللبن ما بيغيّره إلا طبع الكَفَن " و" أُحكم بطبعك وطبع الناس لا "، أما الكار وهو من تكرار الفعل، فالمثل يقول " اللي فيه كار ما بيخَلِّيه " وهو مواز للمثل:" اللي فيه عادة ما بيخَلِّيها "، وقد لُقِّب أحد الشعراء بـ" عائد الكلب " لبيت شعر يقول فيه مَا لِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَائِدٌ مِنْكُمْ وَيَمْرَضْ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ [1].

لا تكاد توجد طريقة تتعرف بها على نمط شعب من الشعوب أفضل من أن تجعل أفراده يتحدثون هكذا تظهر معتقداتهم وعاداتهم، وتقاليدهم وطقوسهم الدينية، أوضح وأقل تزويقاً مما لو جعلناها يطرحونها على شكل أجوبة لأسئلة مطروحة بهذه الطريقة يحصل المرء على صورة أكثر وضوحا عن عاداتهم مما لو اعتمد على مراقبته الواعية والمتحمسة لهم،ونلاحظ أنه عندما يصبح الشعب بأغلبيته قادرا على القراءة، فإن الفن لا يعود يحكى مشافهة، وكذلك لا تعود معرفة شعب من الشعوب تتم عن طريق سماع حكاياته [2].

عادات فلسطينية في دوائر الفولكلور

بقيت مع شعب فلسطين عاداته الرئيسية حتى بعد هجراته الكبيرة في عامي 1948 ،1967 وأخذها معه الى المهاجر كما ابقاها معه في الوطن المحتل، سهله وجبله وغوره وبواديه [3].

وهناك أشياء نتعود عليها من خلال سماعنا المتكرر لها، كصوت الجرن أو المهباش وهو يدق القهوة بصوته العذب الرتيب، أو صوت الشبابة يسكب فيها الراعي أحلى ألحانه وينتقل بين لحن ولحن وكأنه في روضة غنّاء من الألحان والأنغام، وكذلك صوت

---

(1) المعجم الوسيط , ج2 , ص 241

(2) نمر سرحان. أرشيف الفلكلور الفلسطيني. ج3. ط1 (عمان: وزارة الثقافة , 1985) ص12 – 13.

(3)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

البدّاعين في الأعراس والمناسبات السعيدة، وصوت الربابة الشجي الـذي تغلـب عليـه مسـحة من الحزن وكأنها تعبر عـن أحاسـيس أهـل الباديـة وخلجـات نفوسـهم بـين رمـال الصـحراء وكثبانها.

وكذلك تعودت أسماعنا على ثغاء المواشي ورغاء الإبل وصـهيل الخيـل، ونبـاح الكـلاب وهريرها وهنـاك أشـياء نتعـود عليهـا مـن خـلال شَـمِّنا المتكـرر لهـا ؛ كرائحـة القهـوة عنـد تحميسها أو (تحميصها) ورائحة اللبن مـن حليـب ورائـب ولـبنٍ مخضـوض، ورائحـة الشـواء واللحم الضأني المطبوخ وغير ذلك كثير [1].

الزواج عند الشعب الفلسطيني

لكل شعب من شعوب العالم عادات وتقاليد في الزواج وللشـعب الفلسـطيني عاداتـه وتقاليده الخاصة في الزواج ولكن لا شك في أن هناك تشابهاً في هـذه العـادات بـين الشـعوب العربية وهذه العادات انتقلـت مـن مرحلـة حسـب الظـروف المحيطـة بهـا فـالبعض مـازال متمسك بالعادات القديمة حفاظاً على عـادات وتقاليـد أجـداده وآبائـه والـبعض الآخـر أخـذ يقتبس من غيره فترك بعض تلك العادات والتقاليد، لذلك كان لابد أن نفرق بين مرحلتين مـن الزواج في الماضي والحاضر [2].

إذا نظرنا إلى الزواج في في الماضي فإنه يعتبر زواجاً مبكراً وخاضعاً لقيود عادات وتقاليد العائلة الواحدة، وكان الزواج الذي يتم داخل الأسرة الواحدة هو السمة السـائدة فـابن العـم أحق بابنة عمه وكذلك ابن الخال بابنة خاله وهكذا، كما يتم الزواج دون مشورة الفتاة وقـد يكون رغم إرادتها وولي أمر الفتاة هو صاحب الرأي الأول والأخير، فمن أتاه من الرجال عـلى خلق وسمعة طيبة من أبناء العائلة زوجـه دون تـردد ولا ينظـر إليـه إذا كـان غنيـاً أو فقـيراً وبعضهم ينظر إلى ذلك [3].

---

(1) صالح زيادنة. من الأمثال البدوية. ط1 (القدس: المطبعة العربية الحديثة، 1997) ص24.
(2) محمد سليمان. العادات والتقاليد الفلسطينية (غزة: دار النمير، 1998) ص97-105.
(3) المرجع السابق، ص97-105 .

وعندما يفكر الرجال بالزواج كانوا يبحثون عن زوجاتهم من داخل الأسرة (الحمولة) أو من الطبقة نفسها التي ينتمون إليها، وكان كثير من الرجال لا يرون زوجاتهم إلا يوم الزواج وقد قال فلسطيني طاعن في السن (الزواج في الغرب هو نهاية الحب بينما الزواج عندنا هو بداية الحب) والمعروف أن الفلسطيني يدفع مهراً كبيراً لزوجته أو هكذا كان الشأن قبل النزوح الأول عام 1948 (1).

ومن خلال دراستنا لعادات وتقاليد الزواج عند الشعب الفلسطيني نجد أن هناك مفاهيم اجتماعية خاصة بهم في الزواج تميزهم عن غيرهم من الشعوب، ونلاحظ أن الضغوط الاجتماعية عند البدو والقرويين ظاهرة اجتماعية سائدة وعند أهل المدن وبعض القرويين يكون الرأي للشاب والفتاة (2).

الخطوة الأولى " الخطبة ":

إذا رغب الشاب في الزواج، أو رغبت الأسرة في ذلك أخبروه بهذه الرغبة أو أخبرهم هو برغبته ويستقبل ذلك بفرح وسرور، تبدأ الأم والأخوات بالبحث عن إحدى الفتيات التي تعجبهم وإذا وجدوا تلك الفتاة تقدموا إلى خطبتها، وترتب النساء للقاء الرجال، حيث لا يصح للرجال أن يتقدموا للخطبة مباشرة في هذا الموضوع وبعد تحديد موعد للرجال تذهب مجموعة من الرجال لخطبة الفتاة دون رؤيتها ويتم الاتفاق على المهر وخلافه من مستلزمات الزواج، وفي هذه المرحلة لا يحق للشاب أن يرى الفتاة إلا ليلة الزفاف، وقد يكون الزواج بالتبادل حيث الأخت مقابل الأخت وهو ما يعرف " بالبدل " وفي هذه الحالة لا يدفع أحداً منهم مهراً حيث يكون المهر شيء مقابل شيء حيث يشترون حاجيات العرس مع بعضها ثم تقسم بين العروسين بالتساوي، وكانت العادة أن يتعجل الأبوان في تزويج الابن لصيانته خلقياً، كما رغبوا في تزويج الفتاة سن

(1) عزيز شهاب. نكهة فلسطين:الأطباق الفلسطينية التقليدية وكيفية إعدادها.ترجمة: رشيد أبو غيدا (مكتبة برهومة للنشر.د.ت) ص 13-15.

(2) محمد سليمان. مرجع سابق، ص97-105.

مبكر طلباً للستر، وكانوا يرغبون في زواج بنت العم أو إحدى القريبـات أو الجـارات لأن الأب يطمئن إلى بنت من نفس الوسط الذي يعيش فيه [1].

الخطوة الثانيـة " التحضير للزواج ":

وهي مرحلة البدء للتحضير لليلـة الزفـاف حيـث يقـوم الرجـال مـن أقـارب العـريس كالوالد وأخوته بشراء ما يلزم من طعام ليـوم مفتـوح مـن شـياه وأرز ودقيـق وشـاي وقهـوة عربية وما شابه ذلك، كما تقام الأفراح قبل الزواج بأسبوع على الأقل وهذه عبارة عن الدحـة أو السامر أو الرزع أو المشرقية وتكـون عنـد الـبعض مـن الشـعب الفلسـطيني مثـل البـدو وبعض القرويين أما سكان المدن لا يهتمون بذلك حيث يأتون الرجال بعد مغيب الشمس إلى مكان الفرح ليشاركوا فيه ويروا ذلك واجب علـيهم حيـث يـترك الرجـال كـل شيء ويـذهبون للمشاركة والمجاملة وفي هذه اللعبة يصطف الرجال في صف واحـد متراصـين وإمـا في صـفان متقابلان وتكون بينهم أو أمامهم راقصة أو تعرف بالحاشية من النسـاء الـلاتي اشـتهرن بـذلك حيث ترتـدي الثـوب الفلسـطيني البـدوي المـزركش ولا يظهـر مـن جسـدها شيء إلا عنينهـا وبيدها إما عصا وإما سيف وعندما يبدأ السامر لا بد من التسخين لذلك حيث يقول الرجـال (حيو دحو حيحو حيحو حيحو دحو) ويستمر هذا القول حتى يكتمل عدد الرجال الكافي ثـم يتقدم أحد الرجال أو ما يعرف بالبدِّيع ليقول الشعر الشعبي حسب الظروف التي يراها وقد يتبارز رجلان في القول ويرد بقية الرجال بعد طـرح بيـت الشـعر قـائلين " رايحـين إنقـول إلـلي نريدا " وهكذا، وقد يكون هذا الشعر مـدح في صـاحب الفـرح أو في الراقصـة أو ذم فيهـا وقـد يهجو البديعة بعضهما البعض وأثناء اللعب يتقدم الرجال نحو الراقصة فتقدم بالتلويح بالعصـا أو السيف إذا ما وصل إليها أحدهم، ويصل الأمر أحيانـاً إلى ضرب مـن تقـدم نحوهـا، وتسـتمر اللعبة حتى منتصف الليل هذا بالنسبة للرجال، وأما النساء فلهـن في الدحـة إضـافة إلى الغنـاء والـرقص وللنسـاء طـابع خـاص في غنـاءهن الـذي يعـرف المهاهـا وللكبـار والنسـاء دور كبـير

(1) إبراهيم سكيك، غزة عبر التاريخ، ج3، (غزة: د.ن، د.ت) ص119.

في إحياء ليالي الأفراح وأيضاً للأولاد نصيب في ذلك حيث يصطفون في ركن من مكان ليلعبون الدحه أو الدبكة والموال على الشبابة أو اليرغول.

الخطوة الثالثة " ليلة الحناء":

قبل ليلة الزفاف بيوم تذهب مجموعة من النساء أهل العريس إلى أهل العروسة مصطحبين معهم صحن كبير فيه سكر وطوفي وليمون وجرة فخارية بها ماء وحنة وثياب وعندما يصلون بيت العروسة يرددن الأغاني وما أن دخلن البيت يجلسن حيث يرحب بهم أهل العروسة وهم يعلمون قدومهن بالطبع ثم تقوم النساء اللاتي حضرن بتحميم العروسة ويحنون يدها وأرجلها ثم يلبسونها الثوب البدوي الجميل المزركش والذي أعد خصيصاً لهذه الليلة هذا عند البدو والبدلة البيضاء عند القرويين وأهل المدينة وكل ذلك يكون بعد العصر وحتى وقت العشاء وبعد ذلك ينصرفن عائدات إلى أهل العريس.

الخطوة الرابعة " يوم الزفاف ":

يوم الفرح يجتمع أهل العريس من قريب ومن بعيد في بيته، وبعد تناول طعام الغذاء ينتظرون حتى صلاة العصر وذلك حسب بعد المكان ووسيلة النقل المتوفرة، يذهب الرجال بدون العريس إلى بيت العروسة راكبين الإبل ويكون أحد الجمال عليه هودج* وإذا كان المكان قريب يذهبون مشياً على الأقدام وما أن يصلوا بيت العروسة ويجلسوا قليلاً ثم يستأذنوا أهلها بتقديم النقطة للعروسة، ثم بعد الانتهاء من النقطة تركب العروسة في الهودج وبعد وصولها بيت الزوجية الذي يصنع من الشعر عند البدو ويسمى البرزه، وعند البعض الخص إذا كان الوقت صيفاً ويكون قد صنع خصيصاً لذلك، وعند القرويين يكون من الطين واللبن وعند أهل المدينة يكون من الحجر، ويستقبلونها بالزغاريت والغناء وتجلس في المكان الذي خصص لها وهنا لابد أن نشير إلى أن لدى البعض من القبائل البدوية يدخل العريس على عروسته بعد وصولها بقليل ومنهم بعد السهرة ويمكث العريس والعروسة مدة أسبوع في بيت الشعر بعدها يخرجون

* الهودج: بيت من القماش فوق ظهر الوتر لتركب فيه المرأة أو العروس.

(خاصة عند البدو) ويكون الأصحاب حريصين على زفاف العريس مرددين الأهازيج والأشعار الشعبية الجميلة حيث يكون العريس يمشي بين أصدقائه ونذكر منها[1]:

زفة العريس

درج ي غزالة يا رزق الحلال... درج يا حبيبي يا ريتك من نصيبي

شنقل ليله شنقل ليله الله يبارك من هالليلة... ومن هالليلة صاروا عيله

عريس الزين يتهنا يأمر علينا ويتمنى... درج يا غزالة يا رزق الحلال

ولعي يا عيني هذا عريس الزين... درج يا غزالة يا رزق الحلال

بدنا عروسة يا أحباب...ما تلبس إلا جلباب

وما بتخرج برات الباب إلا بإذن الزوجية.. ودرج يا غزالة يا رزق الحلال

حنن يا قرع حنن... شوف الحلوة بجنن

يا ما خلق يا ما صور كف البنت ريال ذهب مدور...ودرج يا غزالة يا رزق الحلال

اربط عندك باب الشارع....أنا وأنت هينا للصباح

وإن طاب الخاطر للمرواح.... درج يا غزالة يا رزق الحلال

الخطوة الخامسة " إعداد الطعام ":

يقمن بعض النساء ليلة الزفاف بإعداد الخبز الرقاق (خبز الصاج) أو الجريشة المصنوعة من القمح وفي الصباح " الصباحية " يقوم الرجال بذبح الشياة أو الإبل كل حسب إمكاناته ويكون أهل العريس قد دعوا الأقارب والأصدقاء لحضور حفل الغذاء وقد يأتي بعض الرجال يوم الغذاء أو قبله مصطحبين معهم وقود وتكون أمامهم الخيل تلعب حتى يصلوا أهل العريس حيث تستقبلهم النساء بالزغاريد والمهاها كما تأتي النساء بالصواني المليئة بالأرز والدقيق والسكر والطوفي والورد إذا توفر ويكون ذلك غالباً عند أهل البدو والقرى.

---

(1) محمد سليمان. مرجع سابق، ص97-105.

وبعد تناول طعام الغذاء ينصرف الحضور إلى منازلهم ويبقى البعض ليطلبوا العـريس من والده كدعوة للغذاء وقد يكون ذلـك بالإيجـاب أو الـرفض وإن دل ذلـك عـلى شيء فإنـه يدل على الترابط الأسري وانتشار الألفة والمحبة بين الناس غالباً ما نجد هذه العادة عند البدو والقرويين أكثر انتشاراً من أهل المدن، وبعد أسبوع من ليلـه الزفـاف يـأتي أهـل العروسـة إلى ابنتهم مصطحبين معهم ذبيحة وحلوى ويقوم أهل العريس بـذبح تلـك التـي أتـوا بهـا أهـل العروسة تكريم لهم كما تغني النساء للعروسة وبعد أسبوع تقوم العروسة والعريس بزيـارة أهلها عند القرويين وعند البدو وقد تبقى عند أهلها قرابة الأسبوع الأول [1].

ولا يختلف الزواج كثـيراً في الحـاضر عـن الـزواج في المـاضي إلا في أمـور بسـيطة مثـل: الخطوبة ومدتها، والزفاف حيث يسبقه فترة خطوبة وفي عملية البحث عـن العروسـة أحيانـاً يقوم الشاب بالإشارة إلى العروسة التي يريد الزواج منها، كما يرتدي العريس البدلة الحديثـة ويذهب مع الرجال ليحضر طلب، ومتطلبات العروسة تكون أكثر من متطلبـات العروسـة في الماضي كما لا يهتم الكثير في الحاضر بعملية النقطة وإقامة حفل غذاء، كـما يكـون للخاطبـة دور فعال في الحاضر، ويكون للعريس والعروسة رأي في الموافقة والاختيار سواء مـن الأقـارب أو من عائلات أخرى [2].

عادة " القَوَد "

ومن العادات الشائعة عادة " القَوَد "، وهو النقـوط الـذي يُقـدَّم في الأعـراس لوالـد العريس أو للعريس نفسه، وهو عبارة عـن خـروف سـمين أو مقـدار ثمنـه نقـداً، ويُسـجّل صاحب العرس أسماء الذين يقدمون له هذا النقوط والمبلغ الذي قـدموه لـه ليعيـده لهـم عندما تكون عندهم مناسبة مماثلة لأن ذلك يعتبر دين عليه، ويقولون:" أكل الرجـال عنـد

(1) المرجع السابق، ص97-105.

(2) درعان الوحيدي. التراث البدوي أصالة وتاريخ. ط1 (غزة: المركـز القـومي للدراسـات، 2005) ص29 – 30.

الرجال قُرْضة وعند الأنذال حَسَنة"، وقد سادت في مجتمعنا في السنوات القليلة الماضية موجة من التذمر لضخامة مبلغ النقوط أو القَوَد وكثرة الأعراس في الموسم الواحد، ونادى المصلحون من المشايخ وأئمة المساجد والوجهاء بتقليل المبلغ حتى يتمكن الناس من إبقاء المجاملة بينهم دون الإثقال عليهم وتحميلهم ما لا يستطيعون حمله[1].

الحيوانات التي يهتم الفلسطينيون بتربيتها للركوب والحراسة

الخيل العربية الأصيلة

اعتز العرب منذ القدم بخيولهم في الحرب، وهي التي سماها اللـه بعد نزول الرسالة على الرسول " محمد صلى اللـه عليه وسلم " العاديات قال تعالى ((والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً)) ولازال يطلق عل قسم من القوات المسلحة في الجيوش العربية الحديثة سلاح الفرسان، إلا أن هذا القسم في الجيوش اقتصر على الحفلات والحراسات الليلية في أقسام الشرطة وسلاح الحدود وحلبات السباق الدولية، وكان للخيل، ولا سيما الأصايل منها شأن عظيم، فالبدو يعتقدون أن " ظهور الخيل عز " فتراهم يتفاخرون باقتنائها خاصة الخيل الأصيلة منها، والخيول العربية لها سلالات متعارف عليها كالمخلدية نسبة لفرس خالد بن الوليد الصحابي الجليل، والكحيلات والكبيشات، والعبيات وما إلى ذلك، وللخيل عند العرب مكانة خاصة، ارتبطت لديهم بالفروسية وفي التراث العربي الكثير من الروايات التي تؤكد مكانة الفرس أو الحصان أو المهرة عند أصابتها مما يعطي الخيول أهمية استثنائية في حياة العربي الذي وصفها بصفات العزة والأنفة والكبرياء ما لا تتوفر في غيرها من الحيوانات والخيول في بلادنا ارتبطت بالواقع الطبقي والاقتصادي والاجتماعي ولم يكن باستطاعة الكثير من الأفراد امتلاك أي نوع من الخيول، وظلت لدى البعض أمنية، وقد قيلت بعض الأمثال التي تدل على مكانة الخيول لدى العربي مثل " السعادة بثلاثة الدار الوسيعة والمرأة المطيعة والفرس السريعة".

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

وقد جاء في جريدة القدس ص24 بتاريخ 2001/12/30م، خبراً مفاده أن معظم خيول بريطانيا الأصيلة من نسل عربي واحد، حيث أن الدراسة كشفت أن الغالبية العظمى من خيول السباق البريطانية الأصيلة ترجع في نسبها إلى جواد عربي سوري المولد وصل إلى إنجلترا منذ نحو ثلاثمائة عام، وكان مؤرخو سباقات الخيول يقولون من قبل أن خيول السباق الأصيلة ترجع في أصولها إلى ثلاثة جياد استوردت من الشرق وهي جواد دارلي العربي وجواد اللورد جوولفين العربي وجواد بايرلي العربي [1].

والخيل العربية الأصيلة هي فخر ومجد ومن أجلها يقطعون المسافات البعيدة والخطيرة ويهاجمون العدو ويردون صدمات الحروب، وبسبب وجودها يعودون منتصرين في المعركة فهذه الخيل لها إكرام ومنزله رفيعة في المضارب البدوية ولا تراها إلا مربوطة أمام بيوت الشجعان والمشايخ، وإذا الفرس الأصيلة ولدت مهرة ينتشر الفرح في العشيرة، وإكراماً لهذه المناسبة يذبحون ذبيحة عشاء لها يقدموه للحضور والكل مسرور ومستبشر خير، وإذا أحد اشترى فرس أو حصان يذبح له نعجة ويقدمها كوليمة لهذه المناسبة للأصدقاء والأحباء فيقولون المثل المعروف "يقناها من يحماها" أي الذي يحارب ويدافع عنها [2].

الإبل

الإبل هي المساعد الأنيس للبدوي في خضم الصحراء، ومن أسس الحياة في البادية ولا يستطيع الاستغناء عنها في حياته، وقد يستغني عن الحصان ولكن لا يستطيع ذلك عن الجمل والإبل مصدر القوة والمتعة والسطو، وهي دعامة الحياة الاقتصادية في البادية، ففي لبنها الغذاء وفي وبرها الكساء وفي جلودها الصناعات الجلدية الأخرى التي يحتاجها في حياته كالنعال لحماية الأقدام من المؤثرات البيئية، والجمل يسميه العرب سفينة الصحراء لتحمله مشقة الحياة في البيئة الصحراوية القاسية ولاستطاعته السير في الرمال

---

(1) مروان أبو سويرح. المختصر في البدو. حياتهم ومعارفهم (غزة: د.ن، 2002) ص108- 118.
(2) محمد سليمان. مرجع سابق، ص97-105.

وتساعده أقدامه التي لا تغوص في الرمال، كما يوجد على عيون الجمل غشاء شفاف يقفله عند هبوب العواصف الرملية والغبار، ويساعده هذا الغشاء عل الرؤية والمحافظة عل عيونه، والجمل هو السمة المميزة عند القبائل البدوية، ويعتمدون عليه في حياتهم للسفر والتنقل وحمل ما يريدون حمله من أثقال عبر الصحراء نظراً لقدرته على الحركة والسفر لفترات طويلة بدون ماء واستطاعته المعيشة على القليل من الأشواك والحشائش المتناثرة التي تنمو في الصحراء على أقل كمية من المطر، والإبل تتحمل الجوع والعطش وحر الصيف وبرد الشتاء، ويستخدمه البدو في نقل البيت عند الرحيل والاستفادة حتى من مخلفاته التي تستخدم لإيقاد النار للطهي والطبخ وصناعة القهوة والتدفئة، وفي نقل تجارتهم وبضائعهم عبر الصحراء لدرايتهم بمسالكها وطرقها وتسير على هيئة قوافل حتى يتوافر لها الأمن، ويسمى الذكر بالجمل والأنثى بالناقة وفترة الحمل عندها ثلاثة عشر شهراً، والأنثى تضع وليدها سنة كاملة، ويسمى وليد الناقة بالحوار، وتسمى النوق الصافيات " زريقات "، وللإبل الصافية أسماء منها الوضيحيات، والزغيبيات والمخبلات [1].

وكان العرب يستخدمون الإبل والخيل في غزواتهم وكانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على الخيل في الدفاع عن البيوت وما حوت أما عند الغزو فيركبون الإبل ويقودون الخيل كي لا يصيبها الإجهاد والإرهاق لأنها أقل احتمالاً للمشقة من الإبل ويحملون لها الماء والعلف على ظهور الإبل ويسقونها بعيداً عن أرض المعركة، وأغاروا فرسانا ذلك أن الفرس أكثر خفة وسرعة ورشاقة في تحقيق الهدف يلحقون المغيرين عادة مستخدمين الخيل بدلا من أي دابة فإذا كان المغيرين على غير الخيل يلحقونهم ويبيدونهم فلذلك للخيل توازن اجتماعي واقتصادي وعسكري وحيث أن للخيل أهمية كبرى حيث "يجاع لها العيال وهي لا تجوع" [2]

(1) مروان أبو سويرح. مرجع سابق، ص108- 118.

(2) محمد سليمان. مرجع سابق، ص97-105.

أسماء الإبل حسب عمرها [1]:

- المباري: ولد الناقة عند الولادة سواء في ذلك الذكر أو الأنثى.
- حوار: سواء في ذلك الذكر أو الأنثى.
- مصاص: سواء في ذلك الذكر أو الأنثى.
- المفرود: للذكر ومفروده للأنثى في النصف الأول من السنة الثانية.
- لبني: للذكر ولبنية للأنثى في النصف الأخير من السنة الثانية.
- مربوط: للذكر ومربوطة للأنثى عند ختام السنة الثانية.
- حق: للذكر وحقه للأنثى في بحر السنة الثالثة.
- جدع: للذكر وجدعه للأنثى في بحر السنة الرابعة.
- رباع: للذكر ورباعية للأنثى عند ختام السنة الرابعة والدخول في السنة الخامسة.
- خماس: للذكر وخماسية للأنثى في بحر السنة الخامسة.
- الجمل: للذكر وناقة للأنثى عند ختام السنة الخامسة والدخول في السادسة.

* أسمـاء الجمـل:

- القاعود: ذكر الإبل من سن المباري إلى الجدع.
- الجمل: ذكر الإبل من سن رباع فصاعداً.
- البكرة: أنثى الإبل إلى سن الجدع.
- الناقة: أنثى الإبل من سن الرباع فصاعداً.
- الهجين: جمل الركوب.

* أوصـاف الإبـل:

- الهجين: هو الجمل سريع الركض.
- الخوارة: هي الناقة غزيرة اللبن.
- الفاطر: الناقة الطعنة في السن.

(1) مروان أبو سويرح. مرجع سابق، ص108- 118.

- البكرة: الناقة قبل أن تلد.

- القاعود: الجمل قبل أن ينبت نابه.

الأغنـام والماعـز

اهتم البدو منذ قديم الزمان بتربيـة الأغنـام والمـاعز، ولا يـزاد نسـلها إلى حيـث تكـثر المراعي الخصبة، وهذه تقل سنة عن أخرى بسبب ندرة وقلة المطـر، واتسـاع مسـاحة الأرض المعدة للزراعـة ويعتنـي البـدو بالأغنـام والمـاعز للاستفادة مـن لحومهـا وصـوفها وشـعرها وجلودها ولبنها وسمادها بعد احتياجه للزراعة [1].

عادة شرب القهـوة والشـاي (نكهـة فلسطيـن)

كان الفلسطينيون يتهادون أكياس القهوة والسكر وصناديق الشاي الهندي أو السيلاني وتقدم الهدايا بمناسبة الـزواج أو تخـرج الطـلاب مـن المـدارس أو الجامعـات، وكـان الآبـاء لا ينصحون أبناءهم بشرب القهوة بل يروون لهـم خرافـة، وهـي أن شرب القهـوة يزيـد سـمرة البشرة وذلك حتى لا يفكر الأولاد بشربها، أما إذا بلغ الشـاب سـن الرجولـة فيحـق لـه شرب القهوة ولا يجوز على الإطلاق تقديم القهوة للبنات، ويعتبر تقديم القهوة السادة عنـد البـدو الفلسطينيين رمزاً للكرم وصب القهوة للضيوف له مراسـم وشـعائر حيـث يقـوم المضـيف أو ابنه الأكبر بحمل الدلة النحاسية وصب القهوة السوداء في فناجين صغيرة وتقـديمها للضـيوف وفقاً لأعمارهم أو مناصبهم أو رتبهم فالأكبر سناً تقدم لـه القهـوة أولاً غـير أن الـذي يسـتلم الفنجان الأول أو الثاني يحاول تقديمه للجالسين إلى جانبه لكنهم يرفضون.

وعادة ما يشرب الضيف القهوة على " شفّات " صغيرة ويصدر صوتاً من بين شفتيه دلالة على استمتاعه بالقهوة، ويواصل المضيف صب القهوة في فنجان الضيف وإلى أن يهز هذا فنجانه يمنة ويسرة دلالة عـلى أنـه اكتفـى بمـا شربـه مـن جهـة، كـما يعنـي تحريـك الفنجان شكر الضيف للمضيف وجرت العادة ألا يشرب الضـيف أكـثر مـن ثلاثـة فنـاجين

(1) المرجع السابق، ص108- 118.

قهوة سادة، وهي عادة متبعة في العالم العربي بأسره بعد الانتهاء من شرب القهوة يقول الضيف (دايمة) التي تعني (ليديم الله عليكم نعمته حتى تواصلوا تقديم القهوة للضيوف) ويجيب المضيف بعبارة (صحتين وعافية)، وإن ما يميز القهوة الفلسطينية خاصة والعربية بشكل عام هو مزجها بالهيل وطريقة إعدادها، وهذا يستدعي تقشير حبة الهيل وإخراج بذور الهيل منها وطحنها حتى تصبح مسحوقاً ويمكن شراء الهيل من العطارين والمخازن [1].

ومن العادات لتقديم القهوة من اليمين، وهزّ الفنجان وتحريكه دلالة على الاكتفاء، ومن الأمثال الدالة على ذلك قولهم: " مدّ القهوة عَ اليمين لو كان أبو زيد عَ الشمال "، وحول تحريك الفنجان وهزِّه روى لي أحد القرويين بأنه زار رجلاً في البادية فصبَّ له القهوة، وأعاد الرجل الفنجان ولكن الرجل صبَّ له مرة أخرى وتكرر ذلك حتى قال القرويّ:" يا عَمِّي بَس " فأخبره البدويّ عن عادة هزّ الفنجان [2].

ويستعمل الفلسطينيون كمية كبيرة من نبات النعنع الطازج على الشاي أو المجفف في الشاي كما أنهم كأشقائهم العرب يحبون الشاي حلواً [3].

الألعاب الشعبية الفلسطينية

نجد الألعاب الشعبية من ناحية اجتماعية ساهمت إلى حد كبير في وضع أسس المجتمع الفلسطيني كما ساهمت في الحفاظ على عاداته وتقاليده وسلوك أفراده حيث نجد الألعاب الشعبية والأغاني والقصص والأهازيج بمثابة الأرض التي تحفظ ما بداخلها من ثروات خوفاً من الضياع وهناك بعض الألعاب المشتركة بين أطفال العالم العربي الكبير

(1) عزيز شهاب. مرجع سابق، ص 13-15.

(2)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(3) عزيز شهاب. مرجع سابق، ص 13-15

لأن الشعب العربي تربطه اللغة والدين والعادات والتقاليد المشتركة ومثال تلك الألعاب[1]:

- لعبة البنانير أو القيلة والبليه - لعبة الطيارة
- لعبة الوثب العالي أو القفز على الأكتاف - لعبة نط الحبل
- لعبة الشديدة أو التشابه - لعبة الطابة ولا الست أو الهنستا

وتختلف الألعاب الشعبية التي يتسلى بها الصبية في النهار عن تلك التي يمارسونها في المساء، كما أن ألعاب الفتية تختلف عن ألعاب الفتيات، ففي ساعات النهار كان الفتية يمارسون ألعابهم المفضلة في حاراتهم، أو في الساحات القريبة من منازلهم، ومن بين هذه الألعاب: القلول أوالبنانير، الحجلة، طاق طاق طاقية الكريكمة ام اللي بتحيي جندر الاستغماية، الغماية قص اعظيم البكاك، لعبة الهوالو هشفت القمر، عالي وطواطا، لمغاطة أوالشعبة سباق الكيس، لعبة الزوايا، لعبة الخارطة، لعبة حاكم جلاد، لعبة علبة كبريت، لعبة العصفور، لعبة كسر البيض، لعبة الحج بج[2].

سمات وخصائص الألعاب الشعبية

المجتمع الفلسطيني ينقسم إلى أربعة بيئات طبيعية هي البيئة الصحراوية الحارة والبيئة الساحلية والبيئة القروية (الزراعية) والبيئة الجبلية، ولما كانت ثقافة أي مجتمع هي ثقافة بيئاته الاجتماعية فإن الألعاب الشعبية هي نتاج تلك البيئات الأربعة وهذه الألعاب مارستها الأجيال السابقة ومازال البعض يمارسها أو يحن لممارستها، وتعتبر الألعاب الشعبية في فلسطين مظهراً ثقافياً لهذا المجتمع لما تتسم به من سمات وخصائص تميزها عن غيرها من الثقافات والتي يمكن ذكرها فيما يلي[3]:

(1)محمد سليمان. مرجع سابق، ص50.

(2)http://www.palestine- info.net/arabic/hertiage/games/games.htm

(3)محمد سليمان. مرجع سابق، ص47.

حرية ممارسة الألعاب: لا نجد إكراهاً أو إلزاماً في ممارسة هذه الألعاب، حيث تمـارس برغبة الفتية والصبيان في اللعب، وهذه الألعاب تسير وفق قواعد ثابتة.

غياب الحوافز المادية: لا ينتظر اللاعب من اللعبة التـي يمارسـها أي مـردود أو جـوائز تقدم له بل كانت بهدف القضاء على الوقت الضائع وتنمية مهارات جسمية وعقلية.

قوانين وقواعد الألعاب: الألعاب في المجتمع الفلسطيني ليست ألعاباً عشوائية عفويـة بل نشأت ضمن قواعد وقوانين ومن يخل بها يخرج من اللعبة وقد يقاطع لفترة حتى لا يكرر الإخلال بهذه القواعد والقوانين شأنها شأن الألعاب الدولية.

تأثير البيئة عـلى الألعـاب الشـعبية: الألعـاب الشـعبية هـي نتـاج للبيئـات الطبيعيـة المختلفة السابق ذكرها.

الإبداع والابتكار من خلال الألعاب الشعبية: في ظـل الظـروف التـي عاشـها ويعيشـها الشعب الفلسطيني ولعدم وجود الوسـائل الترفيهيـة، كـان لازمـاً عـلى الفتيـان والفتيـات أن يقوموا باختراع لعبة معينة تصبح بعد فترة شائعة في تلك المنطقة بل وقـد تنتقـل مـن مكـان إلى آخر.

أغان وأهازيج الألعاب الشعبية: هناك الكثير من الألعاب المصـحوبة بالأغـاني وخاصـة ألعاب الفتيات ترددها اللاعبات أثناء ممارسة اللعبة وهذه الأغاني هي عبارة عن أدب الطفل الفلسطيني فبعضها توارث عن الأجيال السابقة وبعضها تحكي عن طريق الجدة والأمهات.

شمولية تشابه الألعاب الشعبية.

الأدب الشعبي:

مفهـوم الأدب الشعبـي

يعد الأدب الشعبي نوع من أنوع الخلق الأدبي الشعبي وأحد أقسام الثقافـة الشـعبية (الفولكلور)[1] ومن أهم خصـائص الأدب الشـعبي مجهوليـة المؤلـف، والشـفاهية، والانتشـار والتداول والمحتوى الثقافي المعبر عن وجدان الجماعة، والبنية والأسلوب الفني واللغة العاميـة [2].

ومنذ منتصف القرن العشرين صار مصطلح الأدب العربي في كثير من البلـدان العربيـة ولا سيما مصر يعني أدب العامية بالإضافة إلى أدب الفصحى، وفي فلسطين أستعمل مصـطلح الأدب العربي الشعبي الذي يمثل وجـدان الشـعب ويسـتخدم الـلـهجة العربيـة الفلسـطينية الدارجة ويميز بين هذا وبين أدب العامية بـالرغم مـن اسـتخدامها للهجـة ذاتهـا، ويـأتي ذلـك التمييز متمثلا في أمرين رئيسيين هما: أن الأدب الشعبي يتصـف بالشـيوع بمعنـى أنـه شـائع على السنة أكثرية من أبناء الشعب وهو عادة مجهول المؤلف، بيـنما يمكـن لأدب العاميـة أن يصدر عن أي فرد من أفراد الشعب كما نراه مثلا في مواويل أمير الشعراء شوقي [3].

وبدأ الاهتمام بالأدب الشـعبي منـذ حزيـران 1967، فلقـد أدى هـذا العـدوان مـن ضمن ما أدى إليه تخريب وإحباط إلى تبديـد الامكانـات الأكيـدة التـي تشربهـا المواهـب،

---

(1) إبراهيم عبد الحافظ.ملامح التغيير في القصص الشعبي الغنـائي. ط1 (جامعـة القـاهرة: كليـةالآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مكتبة زهراء الشرق، 2001) ص11.

(2) أحمد مرسي.الأدب الشعبي العربي: المصطلح وحدوده. ندوة التخطيط لجمع وتصـنيف ودراسـة الأدب الشعبي(الدوحة: د.ن، 1984) ص113.

(3)عبـد اللطيـف البرغـوثي.الأدب الشـعبي العـربي الفلسـطيني. نـدوة طيبـة المثلـث (رام اللـــه: جامعـة بيرزيت: 1994/8/20) ص45.

ولكن ظروف الحياة والواقع، لم تلبث أن تعود إلى إفراز النشاط الإبداعي الذي يتـولى عكـس هذا الواقـع وتطـوير حركتـه وفـيما يجـد هـذا النشـاط الإبـداعي الإطـار الـذي يمكـن لـه أن يستوعبه ويوصله إلى أيدي القراء وجماهير الناس، فلابد له أن يتطـور بالتفاعـل الخـلاق مـع الواقع، ويواصل انطلاقته المنشودة [1].

ويضم الأدب الشعبي بالإضافة للمثل والقول المأثور والحكمة والتعبـير والمثـل السـائر وما شابه ذلـك مـن تصـنيفات الأسـاطير والخرافـات والحكايـات الشـعبية والألغـاز والنكـات والأغاني الشعبية ومن أشهر أنواع التعبير الأدبية السـابقة اسـتخداماً وانتشـاراً وحيويـة المثـل والقول المأثور وهذه الأنواع مجتمعة هي جزء من تاريخ الشعب وثقافة لغته [2].

أهمية الأدب الشعبي

وتكمن أهمية الأدب الشعبي في كونه جزءاً من كيان الأمة وهويتها الوطنية ووجودها الحضاري لهذا وظّف توفيق زيّاد في كتاباته الشعرية مستحضراً الموروث الشعبي الفلسطيني والعربي باعتباره جسراً يربط بين طموحاته ورغباته في الحلول بتراب الأرض والاتصـال المبـاشر بالشعب متمثلاً في حكاياته وأغانيه وعاداته وتقاليده وأمثاله الشعبية وبذلك أصبح للقصيدة حضور فاعل ضد محاولات طمس التراث الفلسطيني وسرقته التي يمارسها الإحتلال الإسرائيلي لنفي الشعب الفلسطيني عـن مقوماتـه الحضـارية والإنسـانية وخـير مثـال عـلى ذلـك قيـام الإسرائيليين بسرقة الأزياء الشعبية الفلسطينية من خلال اعتماد الثوب الفلسطيني زياً رسمياً لمضيفات الطيران الإسرائيليات [3].

---

(1) خليل حسونة. الأغنية والأغنية السياسية الفلسطينية(غزة: وزارة الإعلام، مكتبة اليازجي , 2005) ص4 .

(2) سيد عليان. أمثال وأقوال في حياة اليهود. ط1 (القاهرة: مكتبة مدبولي ,1997) ص4.

(3) عبد اللطيف البرغوثي. ديوان العتابا الفلسطيني(بيروت: مركز الوثائق والأبحاث، 1986)ص48.

أهداف الأدب الشعبي

ومـن الأهـداف التـي يحققهـا الأدب الشـعبي في أي ثـورة تحريريـة التعبئـة الثوريـة والتحريض والشحن بالقوة لمجابهـة اليـأس والقنـوط والإحبـاط والاستسـلام، وكـذلك الشـحن بالأمل في النصر وخلق الثقة في المستقبل وخلق الرأي العام وتكوين الـوعي وتطـوير الثقافـة الإنسانية وإغنائها بنصوص من الأدب الشعبي الراقي تضاف إلى رصيد الإنسانية [1].

علاقة الشاعر والأدب بالتراث

إن علاقة الشاعر بالتراث هـي علاقـة اسـتيعاب وتفهـم وإدراك واع للمعنـى الإنسـاني والتاريخي للتراث , وهو موقف يكتسـب صـفته هـذه مـن ارتباطـه بأحـد بعـدين: الإنسـاني والتاريخي , ومن هنا يصبح الشعر الغنائي كياناً يعيش التراث في ثناياه , كياناً بنائيـاً مقصـوداً إليه قصداً, والشعر الشعبي شـعر غنـائي بطبيعتـه وهـو نـوع مـن الشـعر الحـديث , اقـترن بالغناء منذ عصر مبكر في تاريخنا الأدبي وحفل كتاب الأغاني للأصفهاني بألوان الشـعر الغنـائي الذي تغني به المغنون خلال القـرون الأربعـة الأولى للإسـلام وهـو الكـلام المنظـوم باللـــهجة الدارجة سواءً كان على شكل أغان سعيدة أو حزينة أو على شكل قصائد " يعـدها " الشـعراء الشعبيون[2].

والموروث الشعب الفلسطيني من خـلال نصـوص يُظهـر أن الإنسـان الفلسـطيني هـو صاحب الأرض وتدعوه إلى العمل والفعل، فالشاعر يريد أن يجعل من الزيتونـة الفلسـطينية سـجلاً للـذاكرة والمأسـاة الفلسـطينية، ولهـذا فهـو يحـرص في توظيفـه للمثـل الشـعبي

---

(1) عبد العزيز الشـويط. دور النشـيد الشـعبي الجزائـري في معركـة التحريـر الكـبرى. ط1 (الجزائـر: دار أمواج للنشر، 2005) ص55.

(2) عبد اللطيف البرغوثي. مرجع سابق، ص 48.

على تسجيل ذلك من الحبة إلى القبة لكي يرسم خارطة متكاملة للتاريخ الفلسطيني المعاصر تكون سراجاً للأجيال القادمة [1].

المواسم في التراث الشعبي

الموسم فرح جماعي يختزنه وجداننا وذاكرتنا الشعبية، وقد سكن في الحس الشعبي شعوراً بالبهجة، وأطلق لحناً من الماضي مملوءاً بالحنان والنداوة، وهو علاقة مع القديم مربوطة بالخصب والولادة والإنتاج مملوءة بالخضرة والوفرة والماء [2].

ربط المواسم الشعبية بالواقع الحياتي وبالظروف الاقتصادية والاجتماعية:

ترتبط المواسم بانتقال الإنسان من زمن الصيد إلى زمن الزراعة، حيث يصبح لزاماً عليه أن يعرف مواعيد المطر ودخول فصل الشتاء وأوقات الحصاد والزراعة والحرث، وأزمان القطاف ومواقيت التدبيس، ويصبح بحاجة لتعيين مواعيد ظهور الشمس وغروبها وموسم ذلك وللمواسم أوقات معينة يتجمع الناس بها لتقرير أمر حول الزراعة وقضاياها وأثناء هذه الاجتماعات يتطرق الناس إلى عدة أمور يتدارسونها ويضعون حلاً لها ويشتركون سوياً في حالات الفرح لحلول فصل أو حين هطول المطر وفي موسم الحصاد وفي (الجورعة) يتحول هذا الفرح إلى أغان وأهازيج ودبكة وتقام سهرات خاصة يبحثون فيها نقاطاً عديدة من النقاط اليومية التي تعترضهم والتي يريدون لها أن تتحقق في المستقبل ويربطون ذلك بالإمكانيات والواقع بالحركة الصراعية بين المالك وغير المالك، ويستمر البحث يوماً بعد يوم عن معطيات جديدة لزيادة الإنتاج ولكشف وسائل إنتاج أخرى [3].

---

(1) http://www.birzeit.edu/news/news-d?news_id=78200

(2) محمد رمضان. المقاييس في التراث الشعبي. ط1 (دمشق: دار يعرب للدراسات، 1992) ص119.

(3) المرجع السابق، ص107-108.

التراث المادي

التراث المعماري

من المعروف أن هذا العالم يتكون من مجتمعات لكل منها شخصية اجتماعية متميزة ومرتبطة بتاريخه وبيئته الطبيعية الاجتماعية وجنسه العرقي والعلاقات الفردية والجماعية فيه وتطوره التاريخي واحتكاكه الاجتماعي والثقافي بالمجتمعات والثقافات والتيارات الفكرية المختلفة كما أن الوعي الذاتي للشخصية الاجتماعية هو الوعي التاريخي لهذه الشخصية ومعرفة البنية المادية والمعنوية لمجتمع يعني فهم ثقافته حيث أن ثقافة القوم هي مزيج من الجو الفكري المادي والروحي والاجتماعي لهم كما أنها تشمل روحهم وعواطفهم وحاجاتهم وآلامهم ومتاعبهم وأمانيهم وطموحاتهم.

وعلى ذلك فإن دراسة التراث الذي يشكل المعمار جزءاً هاماً واسعاً منه يعتبر من الدراسات الخاصة بدراسة ثقافة هذا الشعب وتاريخه حيث أن كل جزء من هذا المعمار يحكي تاريخاً شاملاً لهذا الشعب وهذه الأمة ويحكي أخبارها بكل تفاصيلها [1].

والتراث المادي هو عبارة عن أنماط الممارسة الحياتية من خلال وسائل العيش والتكيف للبيئة المادية التي تحيط بنا، ولقد كان الأباء والأجداد لا بل وقد كنا ومازال بعضنا على صلة عضوية بهذا التراث المادي [2].

من هنا يبرز دور بحث وتطوير التراث بشقيه العضويتين المادية والروحية أو الفكرية لأن هذا يؤدي إلى انفعال وعينا بتراثه من خلال تسلسله التاريخي، ولأن هذا يؤدي إلى مناعة فعالة ضد الاغتراب والتقوقع وضد الانخداع ببريق " الفكر الحديث " دون هضمه وجعله منسجماً مع ذاتنا المتجددة من خلال أصالتنا، وبالذات من هذه المرحلة التي تعيشها الذات الفلسطينية، فإن من الضروري أن نغذي هذه الذات بمضامينها

(1) عمر حمدان. العمارة الشعبية في فلسطين. تحرير: ناجي عبد الجبار ومروان أبو خلف (البيرة: مركز التراث الشعبي، د.ت) ص13.

(2) سامي مرعي. مرجع سابق، ص7.

العضوية لتكمل انطلاقتها متجددة بأصالة كـأسرة للأطـواق المفروضـة بشـكل مبـاشر أو غـير مباشر ولمنع خطر التـأطير السـياسي الشـكلي الـذي يخلـو مـن مضـمون أصـيل، وإن التـأطير السياسي أو الطموح إلى التجسيد السياسي للشخصية الجمعية يجـب أن يكـون ملـتحماً مـن إنعاش لمضمون أصيل متجدد لهذه الشخصـية مـن حيـث البعـد الـتراثي المتفاعـل مـع البعـد العصري والبعد المستقبلي[1].

ولا يقل التراث الأثري والمعماري أهمية عن الـتراث الفكـري الموجـود في المخطوطـات، ويتمثل التراث الأثري والمعماري في المساجد والقصور والحمامات والسدود والقلاع والحصـون والأبراج والأسوار، ويحتاج هـذا النـوع مـن الـتراث إلى جهـود تبـذل للكشـف عنـه وترميمـه وإصلاحه، والمحافظة عليه، ومما لا شك فيه تعد المعالم الأثريـة ثـروة قوميـة يجـب حمايتهـا لصالح حضارتنا العربية العريقـة وهنـاك الـتراث الفلكلـوري المتمثـل في الرقصـات الشـعبية والأناشيد والأغاني والمأثورات والأمثال وحلقات الذكر والأساطير والحكايات.

تراث فلسطين الأثري

تراث فلسطين الأثري، كما التراث الأثري في كل مكان، مـورد ثقـافي لا يُعـوض، ومـع أن فلسطين التاريخية هي من أكثر المناطق التي تم التنقيب فيها أثرياً على مستوى العالم، إلا أن الحاجة لا تزال ماسة إلى حماية تراثها الحضـاري وإدارتـه بشـكل صـحيح بعـد التـدمير الـذي تسببت به عقود من الاضراب السياسي والعنف الدموي، فمنذ احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة في سنة 1967 بقيت الأراضي الفلسطينية المحتلة مهملة نسبياً مـن جانـب علـماء الآثار بينما استمر وتوسع التنقيب الأثري في الدول المجاورة كالأردن ومصر وإسرائيل وقـبرص واليونان وغيرها.

وتتنوع التهديدات والتحـديات التـي تواجـه الـتراث الثقـافي الفلسـطيني، إلا إنهـا تشترك في جديتها وصعوبة حلها، بعض هذه الأخطار ذاتي، محـلي المنشـأ، مثـل التنقيـب

---

(1) المرجع السابق. ص11.

غير القانوني وغياب القوانين الوطنية التي تحمي الآثار، وضعف الاهتمام الرسمي والشعبي بهذا الأمر وبعضها الآخر يمتثل في الاتجار بالآثار، وقوانين الآثار الإسرائيلية، وسلسلة المستعمرات والطرق الاستيطانية والمعسكرات والجدران، والأسوار وأبراج الحراسة التي تبنيها إسرائيل على امتداد الضفة الغربية، ولا شك في أن أحد المستلزمات الرئيسية لمواجهة هذه التحديات وصولاً إلى اعتماد خطة وطنية شاملة لحماية تراث فلسطين الثقافي، يكمن في تحليل مفصل لهذه الأخطار في ظل وضع سياسي واقتصادي معقد للغاية[1].

التنقيب غير القانوني: نهب للذات

التنقيب غير القانوني عن الآثار قديم قدم التاريخ ذاته، وخصوصاً في الدول التي يعود تاريخ الاستيطان فيها إلى آلاف السنين، كما هي الحال بالنسبة لفلسطين والدول المجاورة، لكن تفاقمت هذه المشكلة هنا في العقود الاخيرة بسبب غياب الاستقرار السياسي، وتسلط الحكم الاجنبي على مقدرات البلد، فبحسب المسوحات الأثرية التي قامت بها سلطات الانتداب البريطاني في ثلاثينيات القرن الماضي، ضمت فلسطين التاريخية (إسرائيل، والضفة الغربية وقطاع غزة) ما مجموعه 35 ألف موقع أثري كبير وصغير (مدن، قرى، تلال، كهوف مقالع حجارة، أبراج، معابد، كنائس مساجد وغيرها) تعود بتاريخها إلى الحقب التاريخية وما قبل التاريخية كافة [2].

---

(1) عادل يحيي. آثار فلسطين بين النهب والإنقاذ. في: مجلة الدراسات الفلسطينية. تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينيةبيروت. ع 76. خريف 2008، ص128.

(2) David llan, U. Daheri and G. Avni, "Plundered! The Rampant Rape of Israels Archaeological Sites" Biblical Archaeological Review (2008 March/ April) pp. 38-41.

انظر إلى الجدول رقم (8).

جدول رقم (8)

المواقع والمعالم الآثرية المعروفة في الأراضي المحتلة عام 1967

(القدس الشرقية، الضفة الغربية، قطاع غزة)

اسم المنطقة	حجم المنطقة (كم2)	عدد القرى الأثرية الأساسية	عدد المواقع الأثرية	عدد المعالم	العدد الإجمالي
بيت لحم	581	71	136	1228	1364
غزة	371	42	44	140	184
الخليل	.0681	156	357	1859	2216
جنين	586	96	212	537	749
أريحا	649	16	76	451	527
القدس	332	51	181	1386	1567
نابلس	569	73	277	1015	1282
قلقيلية	151	35	53	418	471
رام الـلـه	782	80	347	1788	2135
سلفيت	201	23	86	662	748
طوباس	415	23	130	359	489
طولكرم	263	42	100	385	485
المجموع	5968	708	1988	10228	12216

قوانين الآثار وتأثيرها في التراث الثقافي الفلسطيني

يعود جزء كبير من مشكلة سرقة الآثار في الاراضي الفلسطينية إلى قوانين الآثار المعمول بها في كل من المناطق الفلسطينية وإسرائيل، فقانون الآثار الإسرائيلي الذي يحظر الحفريات غير المرخص بها، يسمح ببيع الآثار والاتجار بها، ذلك بأن سلطة الآثار الإسرائيلية تصدر نحو 300 رخصة تنقيب عن الآثار في إسرائيل سنوياً، كما تصدر ما بين 70-80 رخصة للاتجار بها [1].

وهكذا، فإنه في المناطق التي تكون سلطة الآثار الإسرائيلية مسؤولة عن تطبيق القانون أي في إسرائيل والقدس المحتلة، فإن الحفريات غير الشرعية تكون قليلة، وعرضة للعقاب في المحاكم، أما في الضفة الغربية وغزة حيث لا دور لسلطة الآثار والشرطة الإسرائيليتين، فإن الحفريات تجري بحرية شبه تامة، والقائمون بها يفلتون من العقاب، كما تقول (موراغ كيرسل) في مقالتها بعنوان: " المتاجرة بالآثار الفلسطينية " (The Traed in Palestinian Antiquities) والمنشورة في الـ Jeruseliem Quarterly العدد 33، سنة 2008 وهذا ما يفسر جزئياً على الأقل، كيف أن أغلبية الآثار المعروضة في سوق الآثار اليوم، إن لم يكن كلها، مصدرها الضفة الغربية، وذلك بشهادة الإسرائيليين أنفسهم فقد صرح حنانيا حزمي نائب مدير دائرة الآثار الإسرائيلية التابعة للإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية لصحيفة " الجيروزالم بوست " في تموز/يوليو 2005: " بأن الآثار المعروضة في السوق جميعها تأتي من القرى العربية، أو من المناطق التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية [2].

---

(1) Mark Schulman, "Rise in Antiquities Theft Vexes Israels Indiana Joneses" Christian Science Monitor, 14 November, 2001, http//www.csmoitor.com/2002/1114/p18s01-stgn.html.

(2) Orly halpem, "Palestinians: Israel to Steal Artefacts" The Jerusalem Post , 21 July, 2005.

ولا شك في أن الاضطراب السياسي الذي يعصف بالمنطقة منذ انـدلاع انتفاضـة الأقصى في سنة 2000 فاقم هذه المشكلة أكثر، فقد انتهى فعلياً التعاون الـذي كـان قائمـاً بـين شرطـة الآثار الفلسطينية ونظيرتها الإسرائيلية، وأدى انهيار السلطات الامنية في المنـاطق الفلسـطينية لاحقاً مصحوباً بتفاقم كبير لمشكلات الفقر والبطالـة، إلى زيـادة عـدد لصـوص الآثـار الـذين صاروا يعملون على مدار الساعة وفي مختلف مناطق الضـفة الغربيـة، ونتيجـة ذلـك، حقـق التجار الإسرائيليون أرباحاً هائلة وازدهرت سوق الآثار في إسرائيل بصورة ملحوظة، وفي سـنة 2000 قدرت قيمة تجارة الآثار لـ80 تاجراً إسرائيلياً ذوي رخصة بنحو 5 ملايين دولار [1].

الأماكن المقدسة

مدينة القدس

القدس مدينة تاريخية قديمة، لا بل إنها من أقدم المـدن التـي عرفهـا التـاريخ، و هـي جزء عزيز على العالمين العربي والإسلامي، وقد أجمعت كتب التاريخ والآثـار عـلى أنهـا كانـت عربية السيادة قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث، وإن أهلها الأصليين هم عرب كنعـانيون سكنوها قبل 5000 سنة اسمها الأول "يبوس" نسبة الى اليبوسيين بنـاة القـدس الأولـين، وهـم من العرب الأوائل نشئوا في الجزيرة العربية و ترعرعوا في أرجائهـا، مـر منهـا سـيدنا إبـراهيم الخليل -عليه السلام- حوالي سنة 1300 قبل الميلاد، ووجد فيها ملكا عربياً اسمه ملكي صـادق ودفع له جزية مرور عمّا كان يملكه من مواش ومتاع [2].

ولقد جمعت القدس من الآثار المقدسة الكثير، حتى أصبحت على مر الأجيال مقدسة بترابها شجية بتاريخها، فريدة بما يرقد في ترابها من عظام الشهداء والمؤمنين.

(1) Deborah Sontag, Stealing Millennial Loot in Israel, from 2 Millennium Ago, 2000, http://www.Libraray.cornell.edu/Colldev/mideast/judmill.htm.

(2)http://mukabbergirls.net/viewpage.asp?ID=72

وقد حوصرت مراراً ودمرت تكراراً، وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ، وذاق أبناؤها العذاب أشكالاً وألواناً غير أنها على الرغم مما أصابها ظلت قائمة في هذا الوجود، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان، وشاركت في صنع التاريخ الإسلامي والعربي في عظمته ونهضته الحديثة، فتحها الخليفة عمر بن الخطاب سنة 15 للهجرة أعطى أهلها الأمان بالوثيقة المعروفة بالعهدة العمرية، كما خلصها القائد صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين سنة 1187م 583 هجري ومن أشهر معالمها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين المسجد الذي أسري إليه بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبة الصخرة وكنيسة القيامة [1].

المقامات وأهمية انشاؤها

يعتبر مقام النبي موسى عليه السلام - قرب أريحا - من أهم مقامات فلسطين بسبب ضخامة أبنيته، وتاريخه القديم، وشهرته الواسعة بسبب موسمه ودوره في تاريخ فلسطين الحديث، في عهد الانتداب البريطاني، وقد حظي هذا المقام باهتمام بالغ من قبل المماليك والعثمانيين، ومن تلاهم فأنفقت عليه الأموال لتوسيع أبنيته، وترميمها وإطعام الزوار وإحضار الماء لهم، فكان من أهم أولويات المشرفين على أوقاف القدس في العهد العثماني، كما تظهر ذلك سجلات المحكمة الشرعية بالقدس المتعلقة بمقام النبي موسى فقد أوقف سلاطين المماليك، أراضي كثيرة وواسعة على المقام وكذلك أنفق العثمانيين أموالاً طائلة للموسم والمقام لما لعبته هذه المقامات من دور ديني وترفيهي وسياسي، في العهود السابقة، فهدف الحكام إلى إرضاء العامة، بإنشاء هذه المقامات، في الوقت الذي تخدم فيه سياسة الحكام بتثبيت المسلمين في فلسطين، واستمرار يقظتهم وتربصهم بالعدو، إذا ما فكر في القدوم إلى البلاد المقدسة، والسيطرة عليها، كما حصل في الفترة الأيوبية [2].

(1) http://www.gulfkids.com/ar/index.php/show_res/28/462

(2) خالد مراد. مقام النبي موسى. ط1. (نابلس: دار الفاروق، 1999) ص22.

أسباب إنشاء المقامات

إن من أهم أسباب إنشاء المقامات، كان إحياء ذكرى صاحب المقام، لإبقائها خالـدةً في وجدان الناس، ولإظهار إسلامية البلاد وتشجيع الناس على الاستقرار بها، وحثهم عـلى محاربـة الأعداء، أما الأسباب الخاصة والكامنـة وراء إنشـاء مقـام النبـي مـوسى عليـه السـلام فهـي لا تتعدى الأسباب التالية:

- إظهار إسلامية صحراء القدس (الممتدة إلى البحر الميت) والتي اشتهرت بوجود أديرة وقلالي للنصارى في هذه المنطقة، فعندما زار الظاهر بيـبرس هـذه المنطقـة هالـه ذلك وأمر بهدم القلالي[1] وإنشاء مقام النبي موسى كرمز لإسلامية المكان.
- تخليد ذكرى النبي مـوسى عليـه السـلام وهـو مـن أولي العـزم مـن الرسـل، يحظـى بتبجيل واحترام المسلمين، حيث كان لسيدنا مـوسى عليـه السـلام أثـر في تخفيـف الصلاة على المسلمين وإنقاص عدد ركعاتها، ولذلك ليس غريباً إقامة مكان لذكراه والتبرك بقبره [2].
- بناء مزار للنبي موسى عليه السلام في هذا المكان، ليؤمه الناس في وقـت محـدد مـن السنة.
- ليكن تقليد زيارة المقامات الخاصة بالأنبياء والصالحين تقليـداً إسـلامياً يقـتصر عـلى المسلمين [3].
- إبعاد أنظار العامة عن السياسة والحكم والحكام، وإشغالهم بالاحتفالات والطقـوس الدينية والترفيهية.

---

(1) مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل. ج2. د.ت، ص87.
(2) حديث شريف " مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر ". صحيح مسلم. ج1. ص102.
(3) ابن فضل اللـه العمري. مسالك الإبصار. ص254.

- كان السلطان الظاهر بيبرس، أول سلاطين المماليك البحرية (1277/1259م)، قد تميز بوعيه، وببعد نظره في مجريات الأمور من حوله، وبإنشائه المقام، يلفت نظر الرعية باهتمامه بالرموز والإشارات الدينية، مما يمكن اعتباره عملاً دعائياً، لكسب ثقة الرعية فبناء المقام تعني للعامة، إقامته لشعائر الدين، إتباعا لسنة الأيوبيين أسياد المماليك.

ولكل أمة من الأمم أعيادها ومناسباتها، ولكل شعب من الشعوب مواسمه وتقاليده الدينية والوطنية التي يفتخر بها، ويتوجب الحفاظ عليها.

أما الفلسطينيون فلهم مناسبات لا تحصى سواءً كانت دينية أو سياسية أو مأساوية وذلك بسبب موقع فلسطين الاستراتيجي الهام، ولتزاحم الدول والجيوش على اتخاذ موطئ قدم لها في فلسطين.

وليست المناسبة التي يحيي فيها الفلسطينيون موسم النبي موسى، عليه الصلاة والسلام إلا واحدة من تلك المناسبات العديدة ومن أشهرها وأكثرها إثارة للمشاعر وإلهاباً للعواطف، تلك سيرة صلاح الدين الأيوبي بطل حطين، وهازمة الفرنجة المعتدين، ومثبت منبر نور الدين في قبلة المسجد الأقصى المبارك بعد طرد الأعداء من رحابه الشريفة وما بارك حوله من أرض طاهرة [1].

(1) محمد رمضان. مرجع سابق، ص119.

المواقع المقدسة في الأماكن العاليـة

تقع المواقع المقدسة، بشكل رئيسي في أماكن مرتفعة على قمة جبل أو تل أو رابيـة في السهل وبصورة تجعلها تسيطر على المنطقة المجاورة، وحتى تلك المـزارات التـي تبنـي عـلى منحدر جبل أو بالقرب من مجرى الوادي، فإنها تبنـى بحيـث تسـيطر وتشرف عـلى المنطقـة المحيطة بها، وبحيث ترى من مكان بعيد، وبالمقارنة فإننا نجـد القليـل مـن " الأوليـاء" ممـن شيدت مزاراتهم في الوديان، وعندما يوجد مثل ذلك البنـاء يكـون عنـد ملتقـى واديـين، أو في مكان يوسع الوادي فيه مجراه، ليصبح بالإمكان رؤية المقام من مسافة بعيدة مـن اتجاهـات مختلفة [1].

* علاقة المزار بالأماكن المأهولة بالسكان

المواقع المقدسة في فلسطين لا تحصى، ففي كل القرى تقريباً، على الجبال وفي الوديـان وفي الحقول، نرى تلك المواقع، وبالكاد تكون هناك قرية، مهما صغرت لا تكرم قديسـاً واحـداً على الأقل وبصورة عامة فإن كل مكان مأهول يفاخر بأن لديه الكثير، وعلى سبيل المثال: فإن (عورتا) تمتلك أربعة عشر مـزاراً، أحـد عشر منهـا في القريـة نفسـها، وثلاثـة في الخـارج عـلى مسافة قريبة منها وفي (عناتا) هناك سبعة مواقع [2].

كما أن هناك عدد هائل من المزارات، والعديد منها ينتمي لمدينة ذات حجم معقـول، ولا يمكن رؤيتها بسهولة، لأنها ليست على قمم الجبال، كما هو الحال في القدس، ويبدو أنه لم يراع الاعتبارات المهمة، والتي تجعل معظم مزارات القدس غير مرئية:

---

(1) توفيق كنعان. الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين. منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية (رام اللـه: دار النشر الفلسطيني، 1998) ص25.

(2) توفيق كنعان. المرجع سابق،ص25.

1) إن المزارات المبنية لمعظم الأولياء داخل المدينة ذات بناء منخفض، وعلى أسطحها بنيت البيوت مثل: بيرم شاويش والشيخ ريحان والشيخ حسن القيرمي.
2) إن ازدحام البيوت في وسط المدينة يخفي المزارات التي لم يبق فوقها.
3) إن معظم المواقع المقدسة في منطقة الحرم، تقع داخل جدران المسجد الأقصى ومسجد عمر، ومن الطبيعي ألا ترى.

ومن ناحية أخرى فإن القسم الأكبر من المزارات الواقعة خارج أسوار المدينة، يمكن رؤيتها بسهولة مثل: الشيخ أحمد الثوري وسعد وسعيد والشيخ جراح والشيخ عكاشة وغيرها.

البيت الفلسطيني تصميمه ومكوناته

كانت المساكن في الماضي بسيطة ومتواضعة، وبخاصة في القرى والمدن الصغيرة والتي هي أقرب إلى حياة الريف منها إلى حياة الحضر، فكثير من البيوت كانت تبنى من كتل من الطين والتي كانت تصنع في قوالب خاصة، وحتى يزداد تماسك هذه الكتل كان يضاف إلى الخلطة الطينية كميات مناسبة من سيقان الحبوب (كالقمح والشعير) المدقوقة والتي تسمى «قصل».

وفي المناطق الساحلية من فلسطين شاع بناء المنازل المشادة من حجارة «طابوق» إسمنتية تصنع في قوالب خاصة، أما في المناطق الجبلية حيث يسهل الحصول على مواد البناء فقد شيدت المنازل من حجارة تستخرج من محاجر في الجبال، ويقوم على قطعها وتقطيعها وتشذيبها رجال مختصون[1].

البيت: هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان بعد عناء العمل، وهو رمز لوحدة الأسرة وأمنها واستقرارها، وقد يكون البيت مصنوع من شعر الماعز " خيمة بدوية " أو من أغصان الشجر كأكواخ المزارعين، ومن الطوب المصنوع من الطين أو من الحجر إن كان

(1) محمد الفرا. تراث فلسطين (عمان: دار الكرمل، 1989) ص43.

صخراً أو مصنوعاً من الأسمنت كما في المدن والقرى الحديثة، وعندما تبني الأسرة بيتها يعم الفرح والسرور لدى الأسرة والأهل وتذبح الذبائح، والبيت على أنواع وأشكال منها [1]:

- المغارة: وهي عبارة عن فراغ أو حفرة طبيعية داخل الصخر في المناطق الجبلية.
- الكوخ: وهو مصنوع من أغصان الأشجار وفروعها والقش والقصاب.
- الخيمة أو بيت الشعر: وهي هيكل طويل به عدة أقسام هي: المحرم وهو القسم المخصص للحريم والأبناء الصغار، والشق وهو المكان المخصص لجلوس الضيوف وبيت الشعر يصنع من شعر الماعز، وفي العادة المرأة هي المكلفة بصناعته.

وكانت الدار غالباً تتخذ الشكل المستطيل، وتبنى الغرف على أحد أضلاعه أو على بعض أو كل أضلاعه، وتتوسط الدار ساحة مكشوفة تسمى صحن الدار تستخدم في عدة أغراض كأن تزرع ببعض الأزهار والشجيرات لتكون حديقة للدار والتي يجلس فيها أهل الدار ويستمتعون بشمس الشتاء الدافئة، وبنسمات الربيع المنعشة، ويقضون فيها كثيراً من ليالي الصيف حيث يسمرون وبخاصة في الليالي المقمرة، وكثيراً ما كان يفصل بعض حجرات الدار صالة مفتوحة ودون حائط من الأمام وإنما تزينها عقود من الحجر، وكان يطلق على هذه الصالة «ليوان» وجمعها «لواوين» وربما كان أصلها من الايوان، ويستخدم الليوان في الولائم والمناسبات والأفراح[2].

بيت الطين: وهو البيت المبني من اللبن حيث يقوم البدوي أو القروي بإعداد الطوب بوضع الطين داخل قالب من الخشب بالحجم والسماكة المطلوبة ثم يجفف الطوب بتعريضه لأشعة الشمس وقد يحرق ليكتسب صلابة ولا ينكسر بسهولة، والبيت

(1) مروان أبو سويرح. مرجع سابق، ص119.

(2)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/home/home.htm

الطيني لم يكن عالياً ولا كبيراً، فهو مكون من غرفة أو اثنتان، ويحيط به سور بسيط من الطوب الطيني.

وكانت أسقف البيوت تصنع من الأخشاب وأغصان الأشجار وفوقها طبقة من الطين الممزوج بالقصب، وهذا النوع من الأسقف كان شائعاً في المساكن المصنوعة من الطين والتي كان يشترط صيانتها كل عام، وعقب أول تساقط للأمطار في تشرين أول (أكتوبر) والتي كان يطلق عليها «مطر الصليب» كان الناس يعتقدون أن هذا المطر هو بمثابة تحذير لهم وإشارة على بدء موسم الشتاء فالناس يتركون البر، ويعودون إلى منازلهم الدائمة، كما يقومون بتفقد بيوتهم وصيانتها حتى لا تُداهمهم الأمطار وتسبب لهم الأضرار، وكانت أسقف بعض البيوت على شكل عقد من الحجارة الصغيرة المثبتة بالجص على هيئة الأسواق القديمة المسماة بالقيصريات، لأن هذا النمط من البناء يرجع إلى العهود الرومانية [1].

وفي داخل بعض الغرف كانت توجد في إحدى الحيطان ما يشبه الخزانة دون أبواب وإنما تستخدم ستارة من القماش لحجبها، ويطلق عليها «يوك» وهي على ما يبدو كلمة تركية ويستخدم «اليوك» في حفظ اللُحف والمخدات ومرتبات «فرش» النوم والملايات والأغطية ونحوه إذ كان معظم الناس ينامون على الأرض دون استخدام للأسرة، وفي بعض الأحيان يقوم بعض الناس ببناء غرفة فوق إحدى غرف الدار تسمى «علّية» نظراً لعلوها عن باقي الغرف وتستخدم في النوم في ليالي الصيف الحارة، أو تستعمل مثل صالة حيث ينفرد بها صاحب الدار بزواره من الرجال، ويمكن الصعود إلى هذه «العلية» بواسطة درج بسيط يسمى «سلملك» وهي أيضاً كلمة تركية، ومن أجل الحماية، وخشية من وقوع الناس وبخاصة الأطفال كان يوضع عليه درابزين، والذي كان يطلق عليه «حضير» وهي على ما يبدو تحريف لكلمة حذر لأنه يحذر ويمنع الناس من السقوط، وكان أثاث البيت بسيطاً للغاية ويتألف من البسط الصوفية في فصل الشتاء،

(1) محمد الفرا. مرجع سابق، ص43.

والبسط القطنية في الصيف، وتسمى «قياسات» ومفردهـا «قيـاس» وكـذلك كانـت تسـتخدم السجاجيد العجمية وبخاصة في بيوت الموسرين من الناس[1].

كما أن العمارة القديمة والبيت القديم تتعرضان وبشكل عنيف إلى التدمير مـن خـلال عمليات تحديث القرى والمدن وتنظيمها وتجديـدها، حيـث أن البيـوت القديمـة هجـرت ولم ترمم كما أن الكثير منها آل إلى التهدم في وقت لا يوجد فيه أي اهتمام من قبـل المسـئولين في المؤسسات الوطنية بهذه البيـوت وعـدم الـوعي الـوطني لأهميـة هـذه الأبنيـة مـن الناحيـة التاريخيـة والتراثيـة حيـث أن هـذه الأبنيـة تعتـبر جـزءاً مـن الـثروة الوطنيـة إذا لم يحسـن استثمارها في هذه الأيام فالتفريط فيها يحرم الأجيال القادمة منها، وهذا الوضع يهدد باندثار هذه المخلفات وانقطاع الصلة الوجدانية للشعب بتراثه وماضيه وتاريخه وجذوره الحضارية، ولما كانت المخلفات العمرانية والتراث المعماري جزءاً من تاريخ وحضارة هـذا الشـعب فلابـد من مضاعفة الاهتمام بهذا التراث وبخاصة من المهندسين نقابة وكليات وجامعات مؤسسـات وأفراداً على المستويين الأهلي والرسمي كما أن هذا الأمر يقع ضمن دائرة مسؤولية السلطات المحلية والمجالس البلدية التي لها اليد الطولي في الإشراف على النمو العمراني وتنظيمه وعليـه يقع على عاتق كل مجلـس محـلي وبلـدي مسـؤولية الحفـاظ عـلى البنايـات القديمـة الهامـة وترميمها وتوظيفها كمرافق سياحية أو عمـل متـاحف شـعبية أو مقـرات لـبعض المؤسسـات المهتمة بهذه القضايا لتبقى هذه المخلفات شاهداً لنا على مر الأيام [2].

وفي الغالب كانت تزين حجرة الجلوس بقطع من السجاد الموشى بزخارف جميلة، أو بآيات قرآنية، وكان من يدخل إلى غرفة الجلوس يخلع حذاءه عنـد عتبـة الحجـرة ثـم يجلس على حشية من حشيات القطن، وفي فصل الشتاء كان «كانون النار» جزءاً مـن مكونات حجرة الضيوف، وفي فصل الصيف وحينما يشتد الحر، كان كثـير مـن النـاس

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/home/home.htm

(2) عمر حمدان. مرجع سابق،ص 14.

يبنون في ساحة الدار عريشاً من الخشب، ويغطى سقفه بسعف النخيل أو بأوراق العنب المزروع من حوله ويقضون في العريش أو كما يسمى «العريشة» أوقاتاً يكون فيها المكوث في الحجرات صعباً من شدة الحر، وفي وسط الدار كان يُبنى خزان أسمنتي صغير يسمى «بُتيِّة» لخزن المياه التي يستخدمها أهل الدار، أما الزير فكان يوضع في مكان ظليل، ويخصص للشرب فقط وفي بعض البيوت كانت تحفر آبار للحصول على المياه الجوفية وبعضها كان يستخدم لتجميع مياه الأمطار وتخزينها [1].

أدوات تراثية فلسطينية

ورث الإنسان الفلسطيني أدوات تراثية بسيطة، وهي تدل على قدرة الإنسان الفلسطيني على الانتفاع بمواد البيئة الأولية، وتسخيرها لصنع ما يلزمه من أدوات في جميع مرافق حياته كما أنها تثبت عمق روابط الإنسان الفلسطيني الحاضر بأجداده وتبين تطوره الحضاري الطبيعي في مجال الصناعات اليدوية، ونشير إلى أهم هذه الأدوات:

أولا: أدوات المعادن: يشمل هذا النوع من الأدوات جميع الأدوات التي يصنعها الفلسطيني من مواد الحديد والقصدير والنحاس والمعادن الأخرى [2].

أدوات المطبخ البدوي[3]:

- الباطية: وعاء مصنوع من الخشب يسكب الطعام فيه.
- الصينية: وعاء مصنوع من النحاس، ويستعمل للمنسف.
- اللقان: وعاء عميق مصنوع من الفخار أو الخشب أو الألمنيوم ويستعمل لعجن الدقيق لصناعة الخبز.
- الزبدية: وعاء صغير مصنوع من الفخار تشبه الصحن يقدم فيها الأكل.
- القدر: وعاء كبير للطبخ بأحجام مختلفة، ويصنع من النحاس والألمنيوم.

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/home/home.htm

(2) ناجي عبد الجبار. مرجع سابق، ص6.

(3) مروان أبو سويرح . مرجع سابق، ص123.

- المغرفة: أداة مصنوعة من الخشب أو النحاس أو الألمنيوم تشبه الملعقة ولها ذراع طويل لتحريك الطبيخ في القدر وأخذ ما في القدر وسكبه في الأوعية الأخرى.
- الرحى: عبارة عن قطعتان من الصخر على شكل قرص دائري توجد في أعلى إحداها فتحة لوضع الحبوب، وتدار بواسطة مقبض خشبي مغروس بجسم الرحى والقطعتان مرتبطتان بعضهما ببعض بواسطة قطعة معدنية بطول نحو (10 سم) تمر خلال قطعة خشبية مثقوبة من الوسط حتى تسهل الحركة والدوران.
- السكين: عبارة عن قطعة حديدية إما من الحديد المطاوع أو الفولاذ، حادة ولها يد تقطع بها الخضروات والفواكه واللحوم ويذبح بها الحيوانات والطيور.
- المفراك: يصنع من الخشب له ذراع بطول نحو (40 سم) تقريباً ويثبت في رأسه ثلاث أصابع خشبية مخترقة الذراع وبارزة من الناحيتين، يستخدم في تقليب وتحريك بعض الأطعمة داخل القدر.
- الصاج: وعاء مقعر مصنوع من الحديد دائري الشكل بقطر نحو (60 سم) تقريباً يوضع مقلوباً فوق النار ويوضع عليه الرقاق ويسمى خبز الصاج.

العمران والأغاني الشعبية الفلسطينية

تعد الأغاني الشعبية من أهم الفنون في الأدب الشعبي الفلسطيني لتداولها في مناسبات عديدة ولاحتوائها على مخزون ثقافي واسع لمختلف نواحي الحياة الفلسطينية وبخاصة الجانب الذي يتعلق بالعمارة حيث أن البيت والحوش والمدينة والقرية والسرايا والمسجد وباقي التشكيلات العمرانية تشكل البيئة المحيطة بالإنسان الفلسطيني، وقد طرقت الأغاني نواحي كثيرة وجوانب عديدة من أشكال العمارة وفنونها ووظائفها وجميع ما يتعلق بها، والحياة في نظر الفلسطيني لا تطيب إلا في بلده وفي داره " الواحد ما بتريح إلا في بيته " وكذلك فان الموت لا يطيب إلا في البلد " ابلادنا فيها الموت طاب " تستعمل الأغاني بشكل واسع في الثقافة الشعبية الفلسطينية فتستعمل في الأفراح

ومناسبات العرس والطهور وعقد العقود وبناء البيوت أو عند السكن وكذلك عند الحج وكذلك في مناسبات الحزن ومن أجل ترقيص الأطفال أو الهدهدة وفي وقت العمل، وتتنوع أغاني النساء بتنوع المناسبات والأغراض التي تغني فيها وكذلك بتنوع أنماط الأغاني وأشكالها وقد ترد أفكار ومعان تتعلق بالعمران وبخاصة في مجالات تنظيم البيت واستعمالاته وفي توصيف البيت من الناحية التشكيلية أو الوظيفية وكذلك في وصف مواقع البيوت [1].

الملابس والتطريز

الأزياء الشعبية تاريخ قديم:

اختلاف المناخ وتنوعه والمنظر العام لأراضي هذه المنطقة لعب دوراً حساسا في نشأة المجتمع الذي تميز سكان المدن وسكان الأرياف والبدو الرحل الذي قطنوا الصحراء وبالرغم ضيق الوقت للقرويين بالأعمال الفنية والحرف المهنية فقد شاركوا بالتراث الشعبي كالشعر والنثر والأغاني الشعبية، والملابس المطرزة للمرأة القروية كانت بالنسبة لها ذو قيمة عالية مما تتميز به هذه الملابس من روعة فنية، فقد كانت كل منطقة تمتاز بنوع خاص من التطريز والتفصيل، وهذه الإصلاحات ازدادت مع الزمن [2].

وقد ظهرت الأزياء التراثية الشعبية الفلسطينية التي تبرز فيها خاصية التطريز المزخرف بالإبرة والخيوط المختلفة الألوان منذ آلاف السنين فيما تؤكد الكتب التاريخية إلى وجود أثار لذلك من العديد من المناطق التراثية مثل مغارة "الزطية" الواقعة في المنطقة الشمالية الغربية لبحيرة طبريا شمال فلسطين المحتلة عام 1948، ومغارات الطابون

(1) عمر حمدان. مرجع سابق،ص118.

(2) عبد السميع أبو عمر. التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي. ط2(القدس: الشرق العربية، 1987) ص أ.

والسهول والوادي والوعد وكباران في منطقة الكرمل وكهف داخل جبل القفرة جنوب مدينة الناصرة، وغيرها الكثير[1].

وإن الأزياء الفلسطينية قديمة، وأقدم النقوش تدل على الملابس الجلدية في فلسطين، هي النقوش التي وجدت في مغارة أم قطفة وكهوف بئر السبع، والنسيج هو العامل الذي ينفذ عليه التطريز والنسيج الأول بفلسطين من صوف الأغنام وقد عرف إنسان فلسطين استئناس الحيوانات في العصر الحجري المتوسط، في مرحلته الأولى، أي منذ فترة لا تقل عن 12000 سنة قبل الميلاد، وأهم الحيوانات التي استأنسها هي: الكلاب والماعز والبقر والثيران [2].

ولكن يقال أن أقدم الزخارف والنقوش التي تشير إلى وجود الملابس الجلدية هي التي تم العثور عليها في مغارة تسمى »أم قطفة« إضافة إلى كهوف منطقة بئر السبع الواقعة في النقب وهي المنطقة الجنوبية من فلسطين عام 1948، وكغيرها من الحرف اليدوية تأثر تسويقها خلال الانتفاضة الفلسطينية عام 1987 والممارسات التي كانت تفرض عليها إضافة إلى وقف التصدير للخارج وفي الوقت نفسه هبوط السياحة إلى أدنى درجاتها في تلك الفترة، أما بعد وصول السلطة عام 1994، فقد بدأت الأمور في التحسن مع انفتاح الأسواق إلى حد ما وخاصة في الضفة الغربية حيث الأعداد الكبيرة من السياح[3].

ويمكن أن يحدث في الفن الشعبي، أن تتأثر منطقة بأخرى، فتأخذ إحداها عن الأخرى أو أن يأخذ كل منهما عن الأخر، فمثلاً يمكن أن تظهر بعض الوحدات الزخرفية على ثياب منطقة أخرى غير منطقتها، كأن تظهر زخارف منطقة بيت لحم على ثياب منطقة بيت دجن ، وهذا الفن لا يقتصر على منطقة دون الأخرى أو على قرية أو بلدة، إنه فن نراه في كل قرية وبلدة حتى في بعض المدن وخاصة المدن الجبلية، انه فن شامل، إنه ظاهرة أكثر من الأشجار وجوداً، حتى إننا نستطيع أن نقول: أينما وجدت فتاة

(1)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(2) عبد الرحمن المزين. الأزياء الشعبية الفلسطينية. موسوعة التراث الفلسطيني، د.ن، ص15.

(3)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

فلسطينية ريفية أو بدوية أو من المدينة وجدت الزخرفة الشعبية على الأزياء أنه فن ضروري في حياة كل فتاة فلسطينية كالهواء والماء [1].

وتتنوع الملابس في فلسطين بتنوع المناطق واختلاف البيئات المحلية، وتعرض البلاد لكثير من المؤثرات الخارجية، وننظر إلى الزي الفلسطيني بأنه لا ينفصل عن محيطه وعن ثقافته المتوارثة فالزي تعبير عن ارتباط الإنسان بأرضه وثقافته.

فيما تؤكد موسوعات الفلكلور أن الرجال والنساء كانوا على السواء يرتدون الملابس المطرزة والمزركشة إلا انه بعد الفتح الإسلامي اقتصر ذلك على النساء والفتيات دون الرجال الذين اقتصرت الزركشة على بعض ملابسهم مثل: منديل الدبكة، الحطة، الحزام وربطة العنق [2].

ويلاحظ في بعض الأحيان أن زي المدينة هو زي ريفي أو متأثر بالريف، ومردّ ذلك نابع إلى أن بعض العائلات في المدينة ذات منشأ ريفي، يضاف إلى ذلك بطء التطور الحضاري الذي يؤدي إلى تكون المحمولات من حالة البداوة إلى الريف كبيرة، ثم من البداوة والريف تكون كبيرة في المدينة، لذا قد نجد الريف في المدينة[3].

وفن الأزياء الشعبية الفلسطينية، هو جزء من التراث الفلسطيني، وأهم ما يميزه هو فن الزخرفة " التطريز " التي تزينه، والمتأمل للزخرفة الشعبية " التطريز" فإنه يجد أن هناك مدارس فنية تختلف باختلاف المناطق والقرى، وتميز كل منطقة عن الأخرى، بل يمكن القول أن الفرد العادي يمكنه أن يحكم على الزي عندما يراه، من حيث زخرفته ولونه، ومن خلال ذلك يمكنه معرفة البلدة التي ينتمي إليها [4].

ويعتبر التطريز من ابرز الفنون الشعبية الرابطة لما بين الماضي والحاضر حيث نظام التطريز من حيث توزيع الألوان وأنماطها، وقد تزايدت خلال السنوات الماضية صور

---

(1) عبد الرحمن المزين. مرجع سابق، ص11.

(2)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(3)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/clothes/clothes.htm

(4) عبد الرحمن المزين. مرجع سابق، ص10.

ارتداء الأزياء الشعبية الفلسطينية في المدن وذلك بـدافع الحفـاظ عـلى الـتراث الـذي تحـاول إسرائيل طمسه وإبعاده عن الشعب الفلسطيني ليفقد أحد الدلائل القوية على وجوده عـلى أرض فلسطين منذ آلاف السنين[1].

والتطريز أحد المشغولات اليدوية التي تعد فنـاً مـن الفنـون الشـعبية الرائعـة والتـي اهتمت به المرأة العربية وخاصة الفلسطينية كون تراثا فلسطينيا هاما، تراث حاول الاحـتلال الإسرائيلي على مر الأزمان السابقة النيل منه وطمس معالمـه بشـتى الطـرق والوسـائل، لـيس بداية بمنع دخول المواد الخام التي تستخدم في المشـغولات اليدويـة، ولا نهايـة بمنـع تسـويق المشغولات اليدوية لـ"التطريز الفلاحي" وبالرغم من ذلك بقي التراث الفلسطيني صامداً أبياً على الانكسار والاندثار حيث ورثته الأم لابنتها فبات الحفاظ عليه شـغلها الشـاغل بخيوطهـا الحريرية وإبرها الخاصة تشـغل قطعـاً غايـة في الجـمال والروعـة تـزين بهـا جنبـات منزلهـا المتواضع لتضفى عليه شيئاً من السحر والجمال الأخاذ، لقد بات التطريز هوايـة تعتمـد عـلى بعض من الخيوط الحريرية ذات الألوان الزاهية وأقمشة من التفت الأبيض وأحياناً كثيرة من الأسود لصنع الأثواب المطرزة بالزخارف والأشـكال الهندسـية والعـروق والرسـومات المختلفـة وغالباً ما يكون اللونان الأساسيان في التطريز الأحمـر والأخضر فتضـيئان إشراقـاً وجـمالاً عـلى الثوب الذي عادةً ما يكون اللباس الرسمي في الأفراح والمناسبات السعيدة[2].

فالتطريز وأشكاله المختلفة سمة من سمات الشـعب الفلسـطيني وجـزء مـن تراثـه الوطني وشعاره الاجتماعي بل أنه من المظاهر الخاصة التي تميز الشعب الفلسـطيني عـن غيره من الشعوب خاصة وانه يقوم بتطريز ملابسـه بنفسـه وبأسـاليب تقليديـة تسـتخدم فيها الإبرة والخيط والتي تحتاج إلى صبر وقدرة على التحمل، بل إن هذه الحرفة تم توارثها من الأجداد إلى الأبناء والأحفاد وذلك من خـلال الحفـاظ عـلى طريقـة وأسـلوب التطريـز، وخاصة أن ورش العمل في معظمهـا تـتم داخـل المنـازل وتحديـدا في معسـكرات اللاجئـين

(1) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(2)http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

المنتشرة في كافة الأراضي الفلسطينية[1]، وفي منطقة الجنوب فلم يحدث تغير كبير على الأزياء المطرزة إلا بعد الاحتلال الإنجليزي الذي رافقه غزو ثقافي ترك بصماته واضحة على المفاهيم الحضارية للشعب الفلسطيني، وزيادة الوعي الحضاري لدى الشعب الفلسطيني وشعوره القوي بالخطر الذي يتهدد ثقافته المادية بصورة رئيسية، فقد عاد الاهتمام بالمورثات الوطنية وعلى رأسها الملابس المطرزة، وأصبح التطريز أحد الرموز الوطنية الهامة، بالإضافة إلى أنه أصبح من المنتجات المهمة التي تدر أرباحاً لا بأس بها على العديد من الجمعيات الخيرية والنساء المحترفات لهذه الصنعة [2].

والزي الفلسطيني يجمع ما بين الزي الوطني والشعبي والزي الغربي والجدير بالذكر أن الزي الشعبي هو الزي الفلسطيني، وزي الرجل الأصلي القروي يتكون من العباءة ذات اللون الأسود أو البني والحطة والعقال التي توضع على الرأس وزي رجال المدن يرتدون البدلات مع الحطة والعقال أما البدو فيلبسون القمباز العريض ذات اللون الأسود، وأغلبية النساء يلبسن الأثواب المطرزة الطويلة والمعاطف القصيرة المطرزة أيضا وشالات ملونة بأجمل الألوان الخلابة، وبعض النساء يلبسن الجلابيب مع الشارب الطويل في حين تلبس بعضهن الزي الغربي [3].

ولتنوع التطريز في الأزياء الفلسطينية ما يبررها حيث كانت العادات الاجتماعية تفرض على الفتيات ضرورة القيام بتجهيز ملابس زواجها التي تطغى عليها ألوان ورسومات البهجة والفرح فيما كان الرجال يتفاخرون ببعضها مثل غطاء الرأس ولكن بعد دخول الإسلام التزم جميع الرجال بقواعد عدم تشبه الرجال بالنساء ومن هنا بدأ

---

(1)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(2) نبيل عناني. دليل فن التطريز الفلسطيني (رام الله: مركز التراث الشعبي الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة، د.ن) ص18.

(3) عبد السميع أبو عمر. مرجع سابق، ص أ.

الرجال في صيحة أخرى تتمثل في تـزيين غـير ملـون لملابسـهم حيـث طغـت عليهـا الخطـوط الطولية للسراويل [1].

ولا شك في أن إحياء التراث الشعبي والحفاظ على خصائصه الفنية وإبراز أصالته يعتبر تخليداً لحضارة عريقة فالفن يظهر مدى ثقافة الشـعوب مـن حيـث الزمـان والمكـان، وهـذا الفن عريق وقديم بقدم فلسطين على خارطة العـالم حيـث مارسـه أهلهـا واسـتخدموا مهنـة التطريز نتيجة إبداع في نفس المبدع ونجد في التطريز ألوان عفوية تدل على ما في البيئة مـن أحياء كما أن هذه المهنة تقتصر على النساء فقط دون الرجال.

والتطريز يعتبر من الهوايات المفضلة عند المرأة الفلسطينية وهناك الكثير مـن النسـاء احترفن هذه الهواية حتى أصبحت تدرس في كثير من المعاهد التي تشرف عليها وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين والإتحاد العام للمـرأة الفلسـطينية، حيـث شـكل التطريـز منـذ بداياتـه الأولى لوناً من ألوان التراث الشعبي الفلسطيني، فكانت النسـاء الفلسـطينيات يحرصـن عـلى اقتناء هذا الثوب ضمن خصوصياتهن ولا سيما جهاز العروس الذي لا يكتمل بدونـه، فكانـت كل أم تحرص على أن تصنع الثوب المطرز باللون الأحمـر المـزدان بـالورود الحمـراء والعـروق الخضراء لابنتها، فقد حرصت المـرأة الفلسـطينية عـلى تطريـز حاجياتهـا الضروريـة في المنـزل لتضفي عليه لمسة جمال مستوحاة من الواقع الذي تعيشـه فكانـت أغلـب المشـغولات التـي تصممها منقوشة وكأنها حديقة غناء مزدانة بالورود والأزهار زاهية الألوان مختلفـة الأشـكال والأحجام ناهيك عن طائر الحمام الذي يتطاير على أجزاء معينة من مشغولاتها التـي تـتراوح بين الأثواب التي تخصها لابنتها العروس في جهازها والمطـرزات الأخـرى مـن وسـائد ومفـارش وشالات زاهية الألوان رائعة التصميم[2].

ويتكون التطريز من وحدات زخرفيه تتكون من حركـة أو مجموعـة حركـات لكـل حركة معنى خاص تختلف هذه الحركات وتعددت وتنوعـت والتـي تتمثـل وفي وحـدات

(1) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(2) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

طبيعية وهندسية كل نوع يشتمل منها على أعداد كثيرة ومن تداخلها وتآلفها أمكن تكـوين وحدات زخرفيه جديدة لذلك نجد في الثوب الواحد مجالاً للإبداع والتفـنن وهـذه الوحـدات مستوحاة من البيئة التي يعيش فيهـا أبنـاء الشـعب الفلسـطيني ومنهـا الوحـدات الزخرفيـة المتنوعة.

الوحدات الزخرفيـة: [1]

1) وحدات زخرفية طبيعية، وتشمل: نبات أشجار، طيور، أزهار، حيوانات، برتقـال، عنـب، زيتون، قرنفل، سنابل قمح، النخلة.

2) أدوات، وتشمل: مشط، مفتاح، منجل، سلسلة، قنديل، قوار.

3) دلالات، وتشمل: علم فلسطين، الحطة.

4) هندسية، وتشمل: مثلث، دائرة، مستطيل، قوس، قاع فنجان، ساعة، خيمة، نجوم.

ولكل لون في الثوب دلالة خاصة مثل النخلة السنابل التي تزيد من قيمة الثـوب كـما تختلف شكل التطريز مـن ثـوب إلى آخـر حسـب المناسـبة التـي سيلبس لهـا الثـوب فثـوب الخطبة تطرز عليه أشكال النقـود، أو الأثـواب العاديـة فقـد تكـون عليـه أشـكال مـن الأواني الفخارية والأشجار.

كما أن لكل سن ثوب يناسبه فيختلف ثـوب الفتـاة عـن ثـوب المتزوجـة وعـن المـرأة الكبيرة في السن حيث نجد ثوبها لا يتخذ في الغالب أشكالاً صاخبة بـل أشـكال هادئـة راكـزة مع سنها أما ثوب الفتاة فيكون له طابع خاص حيث الأشكال المختلفة الألـوان الزاهيـة التـي تتناسب مع عمرها كما يختلف ثوب الفلاحة عن ثوب البدوية في الغـرزة والألـوان والأشـكال حيث ثوب البدوية له مكملات لا نجدها في ثوب القروية مثل: البرقع، الحزام، الشناف [2].

(1) محمد سليمان. مرجع سابق، ص 211-220.

(2) مروان أبو سويرح. مرجع سابق، ص102-107.

أهمية الأزيـاء الشعبيـة

لكل شعب زيه الخاص بالذي يميزه عن غيره من الشعوب ويعتز المـرء بزيـه الشـعبي ويتباهى ويتفاخر به وهـذا الـزي تـراث شـعبي تتناقلـه الأجيـال عـن بعضـها الـبعض حيـث يستطيع الفرد معرفة هوية الفرد الآخر من خلال زيه الشعبي الذي يرتديه.

ونظراً لأهمية الأزياء الشعبية يبرز هذا الاهتمام من خلال المعارض التي تقام في شـتى بلاد العالم لتعرض كل دولة فنونها الشعبية الخاصة بها مع التركيز على جانب الأزياء الشعبية لأنها تعتبر بمثابة عنوان وهوية الفرد [1].

الوظيفة الاجتماعية للتطريز:

اهتمت المرأة الفلسطينية اهتماماً كبيراً بفن التطريز، ووظفته من أجل إطفاء جو من الجمال على بيتها وحياتها، فقد استعملته لتزيين عدد كبير مـن الـنماذج الضروريـة في البيـت واستعملته كـذلك كعـنصر رئـيسي في تـزين ملابسـها، ويلعـب التطريـز دوراً هامـاً في عمليـة توظيف الملابس في المناسبات والمواقف المختلفة من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية هي [2]:

- كثافـة التطريـز:- حيـث تـدل الثيـاب المطـرزة بكثافـة عـلى الغنـى والجـاه والمركـز الاجتماعي بعكس الثياب قليلة التطريز، كما ترمز إلى الشباب والجمال، ولذا فهـي تسـتهجن عـلى كبـيرات السـن، وتلـبس الثيـاب المطـرزة في المناسـبات السـعيدة والزيارات، وتحرم في المناسبات الحزينة والمآتم وأثناء فـترة الحـداد، ولا يستحسـن لبسها للمرأة التي يكون زوجها غائب.
- الألوان:- تربط الألوان الصارخة و خاصة الأحمـر في ذهـن النـاس بالحيويـة والإثـارة ولهذا فإنهـا تقـتصر عـلى الشـابات، وعنـد البـدو تطـرز الفتيـات غـير المتزوجـات والعجائز ثيابهن بألوان قاتمة كالكحلي أو البني على الأسود، بيـنما تقـتصر الثيـاب المطرزة بالأحمر على الشابات المتزوجات.

---

(1) محمد سليمان. مرجع سابق، ص 211-220.

(2) نبيل عناني. مرجع سابق، ص18.

- النماذج الزخرفية:- تقوم النماذج الزخرفية في الوقت الراهن بدور "الموضة"، إذ يستدل منها عما إذا كان الثوب قديماً أو حديثاً تماماً كما تفعل التفصيلات والألوان الحديثة لدى المرأة في المدينة ويزيد من أهمية الزخارف أن الثياب لا يتغير تفصيلها لدى المرأة القروية كما أن تنظيم التطريز على الأجزاء المختلفة للثوب لا يتغير، ولذا فإن النساء يتابعن التجديدات في النماذج الزخرفية بلهفة لإشباع رغبة التغيير والتجديد لديهن.

بعد أن أغتصب الصهاينة الأرض الفلسطينية عمدوا إلى طمس وسرقة التاريخ والتراث الفلسطيني وأقاموا في عواصم أوروبا معارض لأزيائنا الشعبية المطرزة وفنوننا التطبيقية المتمثلة في فن الزجاج _ الفخار _الصدفيات والتطعيم بالعاج والعظم _ المنحوتات الخشبية _ النحاسيات _ الحصير الخوص كما أقاموا المهرجانات والحفلات لرقصتنا الشعبية والأغنية والموسيقى الشعبية، ونسبوا كل ذلك بالزيف والتضليل لأنفسهم [1].

أنواع وأدوات التطريز

يوجد نوعان للتطريز التطريز العادي، تكون عبارة عن غرزة على شكل علامة الضرب " x" أما الحبة فتكون عبارة عن غرزتين متتاليتين،أما النوع الثاني من التطريز والذي هو أقل انتشاراً فيطلق عليه التطريز المثمن ويكون عبارة عن أربع غرزات متقاطعة هي نفسها الحبة العادية التي يعتمد عليها النوع الأول لكن الفرق نزيد عليها غرزتين على شكل علامة الجمع "+"[2].

أشكال التطريز

وتضم الملابس المطرزة كافة الأشكال والألوان فمنها الجاكتات، الشالات، وأغطية الوسادات الفساتين، والكوفيات، الملاءات المختلفة الاحجام، وللتطريز مدارس

---

(1) عبد الرحمن المزين. مرجع سابق، ص3.

(2) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

وتوجهات تختلف من مكان إلى أخر مـن حيـث التصـميم واللـون والخيـوط المسـتخدمة أو المساحات المطرزة وكيفيتها، لدرجة أن الشخص تعرف منطقة أو قريته أو مدينته من ثوبه[1].

وتتفنن المرأة وتبدع في تصميم أشكال المطرزات سـواء عـلى الأثـواب أو الوسـادات أو المفارش التي تنسجها بخيوطهـا الحريريـة وأقمشـتها المتفاوتـة الألـوان بـين الأبـيض والأسـود والسكري، ومن هذه الأشكال ما نجده منسوجاً بدقة على الأثواب من حدائق وورود وأزهـار زاهية الألوان غالبيتها من اللون الأحمر القاني يزينها عروق مـن الأخضر قـد تكـون عـلى كـل ريشة الطاووس تجدها تمتد مـن أسـفل الثـوب إلى أن تصـل إلى أعـلى الخـاصرة بالإضـافة إلى طيور الحمام المتناثرة في تناغم وانسجام وتوازن بين أجزاء الثوب خاصة في الذيل أمـا الأكـمام فيكون غزلها من الورود الحمراء فقط مما يضفي عليها جمالاً وبريقاً، وتختلف أنواع العروق التي تزدان بها الأثواب فمنها عرق الحمامة وآخر يسمى عرق الموج يكون شكله تماماً كمـوج البحر وثالث يطلق عليه عرق السرو حيث يأخذ شكل شجرة السرو ناهيك عن عرق السفينة والقلب والنجمة والورد وغيرها كثيراً، حيث أن المـرأة تسـتوحي تصـاميمها مـن واقـع حياتهـا ومظاهرها فتنسج الحدائق والبحر والسفينة الطبيعة الحية والجافة كما أنها تحـاول أن تجـد التصاميم التي تعبر عن حالتها وواقعها السياسي فتجدها تطـرز بخيوطهـا خريطـة لفلسـطين وتبرز عليها مكان بلدتها الأصلية يافا حيفا المجدل يبنا الرملة اللد وهكذا أملاً منها في الرجوع إليها[2].

المأكولات الشعبية

تعتبر مصادر الغذاء متشابهة في مختلف أنحاء العالم، لكن ما يختلف هو طريقة صنع الطعـام أو تحضـيره، فأهـل فلسـطين قبـل حـرب العـام 1948 لم يكونـوا يشـترون المعلبـات عـلى الإطـلاق، فمعظـم حاجـاتهم متـوافرة، الـخضروات والفواكـه والحبـوب يأخـذونها مـن

(1)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(2) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

أراضيهم وبساتينهم، والحليب من ماشيتهم ويصنعون مشتقاته داخل بيوتهم، وكذلك المربّي (التطلي) ومن أنواعه مربى الخشخاش الملفوف (الزفر ويشبه البرتقال) لذلك نستطيع أن نقول أن الأسرة الفلسطينية كانت شبه مكتفية ذاتياً بالنسبة للغذاء، لأن جميع المستلزمات الأساسية كانت موجودة على مدار السنة لديهم، فالأسرة الفلسطينية نواة إيجابية لمجتمع يسعى لأن يأكل مما يزرع، لا لمجتمع يتّكل على غيره ليأكل مما لا يزرع [1].

وكما أن لكل شخص طعاماً مميزاً أو نوعاً يفضله على غيره، طعاماً مميزاً أو نوعاً يفضله على غيره فإن لكل شعب أطعمة شعبية يفضّلها وتنسب إلية مثل: (المسخن، المنسف البامية الفاصوليا الخضراء، البازيلا، المقلوبة، ورق العنب، ورق الملفوف، كفتة بالطحينية التبولة، الفتّوش كوسا محشي، سمك بطحينة، سلطة طحينة، العجة، بيض بالبندورة شوربة العدس، المجدرة مدردرة، العدس بالأرز، الدجاج المحشي، رز مفلفل شيش كباب [2].

أبرز الحلويات الشعبية الفلسطينية [3]:

الحلويات الشعبية، الهريسة، المهلبية، الرز بحليب (البحتة (العوامة أو لقمة القاضي المعمول بالجوز والتمر، البقلاوة، القطايف بالجبنة، الكنافة.

بعض الأكلات

المنسف العربي: يعتبر طعام المنسف من أرقى وأهم المأكولات عند البدو، لما له من قيمة ومعنى كبير لعدة اعتبارات اجتماعية، منها الواجب فتقدم المناسف في المناسبات السعيدة والأفراح ويقدم المنسف للضيوف العظام حتى على مستوى الشيوخ والأمراء والملوك ويتكون المنسف من عناصر رئيسة هي " اللحم، اللبن، خبز الصاج، والأرز " ثم يضعون السمن البلدي بكمية معروفة ومقدرة ويضعون رأس الذبيحة على المنسف،

(1) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/food/food.htm

(2) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-2329.html

(3) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/food/food.htm

ويغطون المنسف برغيف من الخبز الصاج، ثم يضعونه أمام أكبرهم سناً، ويقول المعزب: " تفضلوا على ما قسم الله ويا هلا ويا مرحباً بكم وياريته منازل الهناء "، وتقال بعض الكلمات للترحيب بالضيوف يشكل الضيوف حلقة حول المنسف يمد الكبير يده ويزيح رغيف الخبز من على المنسف ويبدأ بالبسملة، ويبدأ الضيوف بالأكل وعليهم الأكل باليد اليمنى، وكلاً من جهته وإذا شبع أحدهم قبل الآخرين عليه أن يبقى جالساً وواضع يده في الأكل حتى ينتهي آخر واحد من طعامه، ويقولون: " يخلف الله على المعزب وبالأفراح المسرات " ويجب على المضيف أن لا يتناول الطعام مع الضيوف بل يبقى حريصاً على خدمة الضيوف ويقدم لهم الماء والشراب ويحثهم على المزيد من الأكل.

- الفريكة: حرق القمح قبل جفافه، ويحرق على نار خفيفة ثم يفرك لاستخراج الحبوب ومن ثم يجرش على الرحى حتى تنكسر الحبيبات ولا تطحن، ثم يوضع القليل من الفريك بالماء المغلي في القدر مع اللحم بالكميات المطلوبة، أو يستخدم الفريك في حشو الطيور قبل طبخها " خاصة الحمام ".
- البرغل: جرش القمح بعد إنضاجه وتجفيفه بطريقة معينة، وفيما بعد يطبخ بالكمية المطلوبة وحسب نوع الأكلة.
- الجريش: جرش القمح العادي ويطبخ إما مع ماء أو مع اللحم أو المرق.
- السميد: دقيق الذرة الخشن، ويستخدم لصناعة بعض الأكلات وخاصة الحلويات "الهريسة".
- الفتة: وهي تقطيع الخبز ووضعه في الباطية وإضافة المرق عليه، ووضع اللحم بالقدر المناسب.
- العدس: نوع من البقوليات، ويطبخ مجروش وحسب الطلب.
- الأرز: عرف حديثاً وله أنواع وأسماء كثيرة " الأرز، أو التمن، أو العيش ".
- الخبيزة: غذاءاً شعبياً ذا قيمة غذائية، وهي نبتة برية ذات ورقه مستديرة خضراء، تستخدم في بعض الوصفات الشعبية الطبية.

- اللـوف: نبات بري أوراقه أكبر من أوراق الصنيعة وهو غذاء شعبي لذيذ يؤكل بعـد طبخه بالماء إضافة البيض له " يجب تجفيفه تحت أشعة الشمس قبل طبخه لما فيه من مواد قد تضر باللسان" وطبخه وأكله مفيد لقتل وطرد ديدان الإسكارس.
- الصنيعة: نبات بري يشبه اللوف في طعمه المر، يأكلها الفقراء وتنمو بكميـات كبـيرة شتاءاً وفي جميع المناطق الزراعية.
- الحمصيص: نبات بري عريض ناعم وطعمه حامض، يؤكل ويستسيغه النـاس، يطـبخ بإضافة الماء وقد يضاف إليه العدس المجروش، وكذلك الكثير من النباتات البرية التي تؤكل [1].

العلاج الشعبي

الحكمة من وراء العلاج الشعبي هـو الإيمـان والتسـليم والثقـة العميقـة بـين المـريض والحكيم لذلك يتقبل المريض من حكيم الدواء بنفسية هادئة دون تردد، لذلك يكـون للـدواء تأثير كبير وعلماء الفلسفة يقولون إن نصف المرض يكون سببه عامل نفسي.

وفي الريف الفلسطيني كان الناس وما يزالون يؤمنون بالعلاج الشعبي طالما أن العناية الصحية الحقيقية غير متوفرة لهم نظـراً للظـروف الاسـتعمارية أو الاقتصـادية القاسـية التـي يعانون منها، ولبعد الكثير من القرى الفلسطينية عن المدينة، ولعدم توفر المواصـلات بصـورة جيدة وسريعة، وإذا كانت المرأة هي المريضة فهذا عند الكثير خاصة القبائـل البدويـة عيـب كبير أن تذهب للطبيب إلا أن البعض تحرر من هذا التعصب في الآونة الأخيرة.

ومنذ أن وجد الإنسان على سطح الكرة الأرضية وهو يبحث ويجتهـد فـيما حولـه عن أشياء تنفعه في حياته وكلما كانت الحاجة ماسـة لهـذا اجتهـد أكـثر فعنـدما يصـاب الإنسان بمرض كان يلجأ إلى الطبيعة للانتفاع بأعشابها عـن طريـق التجربـة أو الصـدفة،

---

(1)مروان أبو سويرح. مرجع سابق، ص123-125

وكان ابن سينا والرازي حريصان ومجتهدان في هذا المجال حباً في اكتشاف الكثير من الأعشاب التي يمكن بها إشفاء الكثير من الأمراض حتى دخلت تجاربهم إلى أوروبا عن طريق بلاد الأندلس.

وللأعشاب الطبية دور بارز في الطب الشعبي الفلسطيني وتستحوذ على اهتمام الكثير من الناس خاصة عند سكان الصحراء وسكان القرى وإذا سألت البدوي في الصحراء على ما تحتويه مخلاته تجد أحد الأشياء فيها هو الدواء مثل الشيح والجعده وغيرها وكذلك القرى التي لا يكاد يخلو بيت منها [1].

التراث اللفظي

1- الأمثال الشعبية

موقع فلسطين:

نظراً لوقوع فلسطين في موضع القلب من الوطن العربي ووقوعها على خطوط الوصل بين الشعوب العربية في الشمال والجنوب، ولما كانت تشكل منطقة صدام وارتطام على مر العصور وقد تعرضت لسلسلة هجرات متعاقبة، وكانت على الدوام محط أنظار الغزاة والطامعين، وملتقى أجناس وأقوام كثيرة، فلقد تميزت بثروة ضخمة من الأمثال الشعبية الفلسطينية التي أفرزتها عوامل التأثر والتأثير والاحتكاك، فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن نسبة كبيرة من الأمثال الشعبية العربية تم اقتباسها من الأمثال العربية الفصيحة، فلقد ساعد كل ذلك على تشابه الأمثال الشعبية بين شعوب المنطقة والشعب الفلسطيني، ورغم هذا التشابه بين نسبة كبيرة جداً من أمثالنا الشعبية بما يقابلها من الأمثال العربية، إلا أن في أمثالنا نسبة كبيرة تحمل خصائص ومميزات تجعلها تنفرد عن غيرها وتتميز عنها، والأمثلة على ذلك كثيرة فإننا نجد ذلك واضحاً كما في الأمثال التي

(1) محمد سليمان. مرجع سابق، ص119-121

وردت بها أسماء المدن الفلسطينية مثل: "لو كانت عكا خايفة من البحر.. ما وقفتش ع الشط" ، "ببيع السلق على أهل سلوان" [1].

المثل هو الكلام المقتضب الذي يحمل مدلولاً نفسياً، ويتسم بالقبول والتداول وينتقل عما ورد فيه إلى ما يصح قصده وهو مرتبط بالأسرة الممتدة، وهو قريب من الشعر والعرب يتداولون الأمثال بسبب لغتها فهي ذات إيقاع وتتقبل الكلام الموزون الذي يذكر بالاستقرار والثبات [2].

تعريف المثل ومفهومه:

إذا كان مصطلح " فولكلور folklore " كما جاء ذكره لأول مرة سنة 1846 على لسان (وليم تومز) يعني بترجمته الحرفية " حكمة الشعب " والذي كان يقصد به دراسة الآثار الشعبية بشموليتها[3] فان خير دليل يبلور ويوضح هذا المعنى "المثل الشعبي" فهو بالفعل وليد تجربة عقلانية واعية رصدت بتدبر ووعي، ودقة ملاحظة، وقوة استنتاج "حكمة" أو قولاً هو ما يسمى "المثل الشعبي" فاستساغه الشعب، أخذ صفة الاستمرارية في التداول والقبول من شخص لآخر [4].

وتعرفه دائرة المعارف الأمريكية "هو جملة قصيرة مصيبة المعنى تستحضر بدقة الحقيقة الشائعة وتتولد أساساً من المجتمعات الأولى بأسلوب عامي غير أدبي وتكون شكلاً فلكلورياً شائعاً في كل الأجيال " [5].

---

(1) مازن الشوا. موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية. الكتاب الأول. ط1 (القاهرة: د.ن، 1996) ص11.

(2) موسى علوش. من الأمثال والأقوال والتعابير الشعبية الفلسطينية(رام الله: د.ن، 1995) ص17.

(3) فوزي العنتيل. بين الفلكلور والثقافة الشعبية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978) ص29-163.

(4) ناجي المصرف. موسوعة الخط العربي. ج الأول والثاني (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984) ص60.

(5) إبراهيم شعلان. الشعب المصري في أمثاله. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972) ص18.

والمثل كما تعرفه دائرة المعارف البريطانية هو (جملة قصيرة موجزة، مصيبة المعنى شائعة الاستعمال[1] نستشف منها روح الشعب الذي صدرت عنه، ومدى ما وصل إليه من حكمة عبر العصور، ومن حصيلة التجارب ومختلف وجوه التعامل مع الحياة [2] ويقول جورجي زيدان: أنها عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح، دون أي اكتراث للطبقة التي أفرزت هذه العظات وذلك دون أي وعي اجتماعي للأمثال [3] أما " ألكساندرا كراب " فيرى أن المثل يعبر شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور واسع من الناس [4].

والمثل جزء من التراث وإن تميز بسمات معينة كسرعة الانتشار يتشبث بالمياه ويرفض الموت المطلق إلى حد أن تموت الطبقة التي أنتجته الإقطاع على سبيل المثال ويبقى المثل متغلغلا في الوجدان الجمعي يصارع البقاء كما انه ضمن هذا يختزل القصة الشعبية والنادرة الطرفة في لغة جماهيرية مكثفة لا تتطلب ذاكرة متفرغة للحفظ المنهجي للأسماء والتواريخ والواقع كما هي الحال في الحكاية الشعبية أو الأسطورة أو الأغنية [5].

المثل الشعبي في معظم الحالات تعبير عن نتاج تجربة شعبية طويلة تخلص إلى عبرة وحكمة وتؤسس على هذه الخبرة للحضّ على سلوك معين، أو للتنبيه من سلوك معيّن، والأمثال أشبه بالرواية الشعبية التي تقصّ قصة موجزة فتسهم في تكوين وجدان الطفل حين يلقّنه أركان الحكمة الشعبية ومعارج السلوك المستحبّة، ومجموعة الأمثال الشعبيّة، على تنافر بعضها البعض في كثير من الحالات، تكوّن ملامح فكر شعبي ذي سمات

---

(1) وليد ربيع. دراسة المجتمع الفلسطيني من خلال أمثاله الشعبية. م1. ع 1، (البيرة: مجلة التراث والمجتمع) ص30.

(2) أحمد الطويلي. في النقد والأدب الشعبي (تونس: دار أبو سلامة للطباعة والنشر. د.ت) ص117.

(3) خليل حسونة.المثل الشعبي العربي الفلسطيني (غزة: دار ابن خلدون ,2002) ص10.

(4) الكسندر كراب.مرجع سابق، ص235.

(5) خليل حسونة. مرجع سابق، ص9.

ومعايير خاصّة فهي إذن جزء مهم من ملامح الشعب وقسماته وأسلوب عيشه ومعتقده ومعاييره الأخلاقية [(1)].

والمثل هو خلاصة لتجربة إنسانية ذات جذور اجتماعية سحيقة ومنحدرة صيغت بعبارة قصيرة سهلة التناقل، و يبدو أن الذوق الشعبي لعب دوراً هاماً و فعالاً في صياغتها وتشكيلها ووضع البنية الأخيرة لها والتي يتداولها الناس [(2)].

والمثل جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهةً من جيلٍ إلى جيل، وهو جملة محكَمة البناء بليغة العبارة شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات، وإذ يلخّص المثل قصة عناءٍ سابق وخبرة غابرة اختبرتها الجماعة فقد حظي عند الناس بثقة تامة، فصدّقوه لأنه يهتدي في حلِّ مشكلة قائمة بخبرة مكتسبةٍ من مشكلة قديمة انتهت إلى عبرةٍ لا تُنسى، وقد قيلت هذه العبرة في جملة موجزةٍ قد تغني عن رواية ما جرى [(3)].

والمثل أو القول هو ميراث الشعب وأحد ثقافات لغته، فإذا أردت أن تعرف شعباً معرفة حقيقية اقرأ أمثاله، ولكل شعب أمثاله التي تمثل كل طبقات الشعب، والأمثال هي المصدر الثابت للمؤرخ الاجتماعي والأخلاقي، لأن المثل يمثل الإنسان عبر تاريخ كل شعب بالإضافة إلي أن الأمثال والأقوال تعد من الشواهد اللغوية التي يستشهد بها في مجال دراسة اللغة [(4)].

إن المثل الشعبي هو فلسفة العامة ولا خلاف على أن التراث الشعبي والفلكلور هو أصدق المصادر والمراجع لدراسة حياة الشعوب من الناحية التاريخية، كما أنه هو المنطلق الوحيد الذي يعتبر أصدق ضروب التراث وألوانه في التعبير عن حياة الأمم، لأنه الأكثر تحللاً من القيود وسيطرة الحكم، إذ لا يستطيع هؤلاء _ الحكام _ منعه من

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(2) علي أبو فخيدة. الحكاية في المثل الشعبي الفلسطيني. ط1 (عكا: مؤسسة الثقافة الفلسطينية , 1990) ص5.

(3)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(4) سيد عليان. مرجع سابق، ص4.

الانتشار بين أفراد الشعب مثله في هذا مثل النكتة سريعة الانتشار مع اختلافهما في الشكل والمضمون والهدف [1].

ويدعو المثلُ الناسَ إلى التزام أحكامه إذ يُقال: «زي المثل واعمل»، وطمأن المثلُ الناس إلى أن الخبرة الشعبية لم تغفل أمراً: «ما خلّى المثل وما قال».

والمثل في قول الفارابي: هو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وقنعوا به في السرّاء والضراء، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص، ولذا فالمثل قيمة خلقية مصطلح على قبولها في شعبها وهو يمرّ قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير هذا الشعب، وينمّ صراحةً أو ضمناً عن هذه المعايير على كل صعيدٍ وفي كل حال يتعاقب عليها الإنسان في حياته [2].

ويجتمع في المثل أربع صفات لا تجتمع في غيره وهي إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة التعبير ، وهذا هو منتهى البلاغة مثل [3]:

- الوحدة عبادة _ الصباح رباح _ الناس معادن _ العطا قيمة _الضرة مرة - سلم تسلم.

ويعد المثل أو القول المأثور أو التعبير اللغوي واحداً من أشكال التعبير في الآداب على اختلافها ويأتي استخدامه في اللغة من قبيل التفلسف الاجتماعي لتشبيه حوادث ومواقف الحاضر بما يشابهها من الماضي بغرض النصح أو التعليم أو الوعظ أو صياغة فكرة في شكل أدبي بكلمات بليغة، لذا يعتبر المثل أو ما شابهه مرآة حقيقية تعكس صوراً من الماضي للحاضر، فالأمثال هي خلاصة تجارب الأمم وهي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع التاريخي والفكر الاجتماعي لكل أمة، وتعد أيضاً ميراثاً لأبناء هذه اللغة أو تلك

(1) محمد ماضي. أقوال وأحكام في الأمثال. ج الأول. ص6.

(2) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(3) محمد ماضي. مرجع سابق، ص7-8.

يجب المحافظة عليه ومن أكثر الشعوب استخداماً لهذه الأنواع الأدبية هي الشعوب السامية [1].

إن الأمثال الشعبية والعامية ما هي إلا نتاج مراحل تاريخية متواصلة، وخلاصة خبرات وتجارب طويلة على مدى العصور، وما هي إلا انعكاس لحياة الشعوب وواقعها وظروفها من تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية، وهي تعبير صادق وترجمة حقيقية لقيم هذه الشعوب وتشكل مثلا حيا لأخلاقها وتطلعاتها [2].

ويقول علماء في المثل أنه ليس مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية، وإنما هو عمل كلامي يستحث قوة ما على التحرك، فالمعنى والغاية يجتمعان في كل أمثال العالم وهي وإن اختلفت في تركيب جملها أو في صلاحها أو مدلول حكمتها أو سخريتها، كتاب ضخم يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها [3].

وهذه الأمثال هي عبارة عن سجل حافل لأخلاق الأمم، وأكبر معبر عن سلوكها، وعاداتها وتقاليدها، من حيث أفراحها وأحزانها وآلامها وأحلامها، فالأمثال مليئة بكنوز من القيم والحكم والأحكام والتشبيهات، إنها تتحدث عن الخير والشر، عن السعادة والشقاء، عن الغنى والفقر عن الكرم والبخل، وتحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق، وتستهجن الرذيلة وتنهي عنها، كما تدعو لتحقيق أسمى وأنبل معاني الأخوة والمحبة، خاصة الترابط الأسري والتعاون بين أبناء المجتمع العربي الفلسطيني [4].

فالمثل هو مفتاح العقلية ؛ وبناء على هذه القاعدة البسيطة فانه يمكننا اعتبار أن المثل من أيسر المفاتيح التي تساعد الإنسان على فهم عقلية كل شعب من شعوب الأرض أينما كان.

---

(1) سيد عليان. مرجع سابق، ص3.

(2) محمد ماضي. مرجع سابق، ص5.

(3) فكتور سحاب. التقاليد والمعتقدات والحرف الشعبية في فلسطين قبل 1948. ط1 (بيروت: دار الحمراء، 1993) ص191 _ 192.

(4) محمد ماضي. مرجع سابق، ص5.

وقد طلعت بلادنا فلسطين على العالم بحشد كبير من الأمثال الفلسطينية ؛ في كل مجال من المجالات و في مختلف المناسبات، وقد أثر هذا المثل الفلسطيني _ الذي هو جزء مهم من المثل العربي _ في أمثال شعوب عديدة ؛ و يعتبر الشعب الانجليزي من أهم تلك الشعوب التي تأثرت بالمثل الفلسطيني المعروف [1].

أهمية الأمثال الشعبية وخصائصها:

وللأمثال أهمية كبرى في حياة المجتمع لأنها تعبر عن تجربة وتكشف عن فلسفته الاجتماعية والخلقية ويستعين بها الإنسان أثناء حديثه ليدل باختصار على حقيقة أمنت بها الأجيال[2].

هذا ومن خصائصه تركيب الأمثال سهولة اكتنازها في الذاكرة وسهولة تلقينها إلى المستمع ليعيد المثل ويكرره، ومن أفضل دراسات الآداب الشعبية والأمثال منها بصورة خاصة، ما جاءنا من مفكري السويد حين يلخص (كارل باكستورم) السويدي أهمية الأمثال في النقاط الخمس التالية [3]:

1- تتحدث الأمثال عن سعادة من يتداولها وعن شقائهم وعن الغنى الفقر والشرف والخزي والجمال والقبح والقوة الضعف والعظمة والوضاعة.
2- الأمثال من الناحية العلمية تريح النفس وتسخر وتمدح ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكار جادة.
3- تلقي الأمثال الدروس بأسلوب من المدح الحاذق وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة والحكمة العلمية والعدالة والمشاركة والعاطفية ثم السخرية اللاذعة الذكية.

---

(1) عبد العال القدرة: أمثال فلسطينية وإنجليزية (في المال والعمل) ص14-15.

(2) نبيل علقم. مرجع سابق، ص33.

(3) يسرى عرنيطة. الفنون الشعبية في فلسطين. منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت: مركز الأبحاث، 1968) ص187.

4- تتكرر نفس الأمثال عند شعوب العالم المختلفة وإن لم يعبر عنها الناحية الشكلية بنفس الألفاظ.

5- تستقبح الأمثال الرذيلة وتعلي من شأن الفضيلة فهي الصفات ذات قيمة تهذيبية.

الأمثال الشعبية إحدى الخصوصيات الثقافية التي يتسم بها شعب من الشعوب، وقد ينفرد شعب ما بترديد مجموعة منها، وقد يشترك فيها مع غيره من الشعوب مع وجود اختلافات بسيطة، كل حسب أسلوبه ولهجته[1].

وأمثالنا جزء من تراثنا، تناقلته الأجيال عبر العصور من جيل إلى جيل حتى وصلنا بثوبه الحالي ولم تكن تلك الأمثال محصلة نزوة عابرة عبر عنها بعضهم من جراء ملاحظة مباشرة وإنما أتت ثمرة ملاحظات متواصلة وتجارب عديدة، ولم تكن أمثالنا تجميع كلام وصوغ أشعار بل هي انعكاس لظروف معينة عاشها الإنسان في حقبة زمنية، فرضت عليه تلك الظروف والاهتمام ببعض قوى الطبيعة في محاولة منه للاستفادة من جوانب الطبيعة والحذر من جوانب أخرى، ولم يكن هناك أقوى من عنصر المناخ في التأثير على الإنسان مما جعل الإنسان يفكر جلياً بالتغيرات المستمرة في الأحوال الجوية وتردداتها المنتظمة وغير المنتظمة [2].

ولقد وقعت عدة محاولات لتعريف المثل، ولا شك أن المثل شأنه شأن عناصر فولكلورية كثيرة يعود اختراعه إلى فرد نبيه وصاحب تجربة حياتية، و لكنه مجهول غالباً نتاجه الذي تركه ليردده الناس تأثر بهذا الترديد وأصابه بعض التطور، ليكون متداولا بين الجماعة وربما لم يحدث هذا الاختراع وتطويره بالنسبة لبعض الأمثال إذ أنها وفدت من الخارج بالهجرة من منطقة أخرى وأصابها بعض التعديل، نظراً لاختلاف البيئة المستقبلة عن البيئة المرسلة.

---

(1) http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-39/alrawe1.asp

(2) علي موسى. الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية (دمشق. دار الفكر.1997) ص أ.

وعبر عصور التـاريخ نعـثر عـلى الكثـير مـن تعريـف المثـل ونلاحـظ أن محصـلة كـل التعاريف تركز على شيوع المثل، نظرا لحاجة المجتمع إليه، والى تداوله، وإن هذا التداول هـو بالنسبة للعامة والخاصة من الناس معاً، مما يدلل على انه يرضي ويقنع العامة والخاصـة كـما تركز هذه المحصلة على إيجاز المثل، وإنسانيته، وكونه وليد تجربة، وانه في الأصـل إنتـاج فـرد ذكي مجهول في الغالب وانه مطبوع بطابع تعليمي، وأنه سهل ليكـون مفهومـاً مـن الشـعب وإن كان أحياناً عميق المغزى وكثيراً ما يكون فيه حكمة [1].

والسمات العامة المستفادة من مصادر هذا الموضوع تجمع على نقاط تميز المثـل عـن الأشكال الأدبية بأنه جـمال التشـبيه خلاصـة تجربـة المـاضي، براعـة التعبـير، إيجـاز في الكـلام جودة في الصياغة لطف الكتابـة وجـمال البلاغـة، ويضـاف إلى الخصـائص السـابقة أن المثـل ينطوي على فلسفة بسيطة في أسلوب شعبي لنفـرق بينـه وبـين الحكمـة التـي تتعمـق فيهـا الفلسفة في الغالب بالإضافة إلى أنه عبارة عن لقطة سريعة موجزة من الماضي في أسلوب فيه بلاغة وجمال ولطف[2].

والمثل الشعبي هو نتاج لتداخلات التاريخ والثقافـة والجغرافيـا والآداب والاقتصـاد والدين والعادات والتقاليد، وحين تنصهر كل هـذه العوامـل مجتمعـة في ذاكـرة الشـعوب يخرج للوجود هذا العطاء العبقري بفلسفته الحادة اللاذعة المتقدمة والتي تفرز الحكمـة البالغة في قليل من الكلمات والأمثـال الفلسـطينية، بالإضـافة إلى كونهـا عـنصراً هامـاً مـن عناصر الأدب الفلسـطيني، فهـي تـاريخ لا يرقـى إليـه الشـك في تبيـان الحـالات النفسـية والسياسية والاجتماعية _ كأية مثال في أية أمة _ التي عاناهـا الشـعب الفلسـطيني خـلال حقب مختلفة من الزمن، فهناك مثال ظهرت إبان الحكم العـثماني وأمثـال أخـرى بـرزت للوجود أيام الانتداب البريطاني، الذي كان السبب في كل مـا أصـاب فلسـطين مـن ويـلات

(1) فؤاد عباس. معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية. ط1 (عمان: دار الجليل , 1989) ص14.

(2) سيد عليان. مرجع سابق، ص3.

وكوارث، وأمثال تناقلتها ألسنة الناس مع الثورات المتعاقبة في سبيل التحرير والاستقلال ومقاومة الغاصب المعتدي، من هذه الأمثال [1]:

_ أرض ولدت عليها، لا تفرط فيها.

_ ارقص للقرد في دولته.

_ كلب الباشا باشا.

القيم الاجتماعية في الأمثال:

وتمارس الأمثال دوراً مميزاً في إبراز القيم الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، فمن خلال تداوله يسعى العامة إلى تعميق وترسيخ معاييرهم الأخلاقية، ونظراتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم ونظرتهم إلى الأمور، لذلك كانت الأمثال الشعبية دالة للتراث الحضاري[2].

الفلسطينيون كغيرهم من العرب ؛ شعب يميل إلى ضرب الأمثال ؛ يؤيد به الأقوال ويعلل به الأعمال والأفعال في كل مناسبة من المناسبات وفي كل موقف من المواقف، وللمثل عند الفلسطينيين مكانه هامة وحيز واسع من الاعتبار والتقدير.

ولو نظرنا إلى الأمثال الفلسطينية لوجدنا أن تلك الأمثال وثيقة الصلة بالبيئة (المكانية والزمنية) شأنها في ذلك شأن غيرها من الأمثال العربية المعروفة على مر الأزمنة والعصور.

وللأمثال الفلسطينية _ كما للأمثال العربية _ قيمة أخلاقية علاوة على قيمتها الاجتماعية وتصور العقلية الفلسطينية والنظرة الفلسطينية إلى الحياة، تماماً كما تصور الأمثال الانجليزية ونظرة الانجليز إلى الحياة وما ينعطف عليها [3].

---

(1) إسماعيل اليوسف. الجامع في الأمثل العامية الفلسطينية. ط1 (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع , 2002) ص8.

(2) فوزي قديح. منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية. د.ن. 2003، ص5.

(3) عبد العال القدرة. مرجع سابق، ص13.

وتظهر شخصية الفلسطيني في محاولته إعطاء بعض صفات شخصيته إن لم تكن كلها إلى ابنه فهو يحرص أن يكون قطعة منه، يوجهه، يعلمه، يربيه تربية صالحة لأن «الكلب المخاربي يجيب لأهله المسبة» فمن كان جيداً، فإنه كالشجرة التي تظلل على جذورها، ومن كان سيئاً فإنه يجر الشتم على أهله[1]:

رب ابنك وأحسن أدبه، ما يموت (تاي خلص) أجله.

الابن الفاسد يجيب لأهله المسبة.

ومع ذلك فالأهل غالباً لا يتخلون عن أبنائهم حتى لو ضلوا سواء السبيل، يحاولون إصلاحهم وترميم الخراب الذي حدث، وتلافي النتائج التي ترتبت على أعمالهم، والمثل يدلل على ذلك: "الغصن مني ولو مال".

لذلك فالأهل يضطرون إلى استخدام العنف لإصلاح أبنائهم، ولتقويم سلوكهم إذا حادوا عن الطريق أو سلكوا طريق الإثم أو الشر، ومع هذا يظل عنف الأهل غير قاس هدفه الإصلاح وإعداد الفرد للتكيف مع المستقبل، وإعادته إلى الطريق القويم: "سيف الأهل من خشب ".

لا أحد يستطيع التخلي عن أهله وأقاربه، لأن من لا أهل له لا وطن له، ولا يعترف أحد بقوة من تخلى عن أهله أو العكس (العزوة تساوي للنذل قيمة) يبقى عائشاً حياته على هامش حياة الآخرين حياة الذل.

اللي يطلع من ثوبه يعرى.

أهلك ولا تهلك.

اللي من دمك ما يخلو من همك.

عمر الدم ما صار مي.

ومع ذلك تنشب الخلافات حتى داخل الأسرة الواحدة، لكنها تحل وإن تأزمت على مبدأ التراضي لأن:

---

(1) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

الظفر ما يطلع من اللحم.

أصلك يردك.

الحر ما يتنكر لأصله.

ويكون لرأس الأسرة أو العشيرة دور هام في حل المنازعات، لأن شيخ القبيلة أو سيد الأسرة صاحب تجربة، والآخرون يعترفون به ويقتدون بأعماله ويأخذون من حياته وتجاربه دليل عمل ويتوجب على رأس الأسرة أن يدفع المخاطر عنها، فالمثل التالي يوضح ذلك:

اللي مالو كبير مالو تدبير.

هكذا نرى أن الأمثال الشعبية ككل نتاج اجتماعي يحيا عملية متواصلة من التطور والتغيير بما في ذلك ذبول أمثال وموتها وازدهار أمثال أخرى بل ظهور أمثال جديدة، أما وتيرة الحركة والتطور فتتفاوت تبعاً لطبيعة المثل ودوره وتبعاً للزمان والمكان.

المثل، كما هو معروف، خلاصة تجربة، به يعبر الفرد عن تلك التجربة، وما أفاد منها وما استقر في نفسه من حكم عليها، ولأن التجارب يتعرض لها كافة الناس، وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية والطبقية والدينية، ويستوي في هذا العالم والجاهل والمثقف والأمي [1].

الأمثال الشعبية:

يتفق علماء الفلكلور في العصر القديم والحديث على اعتبار الأمثال الشعبية والعامية هي من أهم الآداب وألون الفنون الشعبية التي تكشف عن التيارات الاجتماعية، والمظاهر الحضارية والكثير من التلميحات السياسية، ونحن نستطيع من خلال المثل الشعبي التعرف على أشياء كثيرة عن حياة الشعوب من حيث أفكارها ومعتقداتها وميولها وتوجهاتها [2].

(1) عبد الحافظ شمس. دائرة الأقوال في الحكم و الأمثال. ط1(بيروت: دار الخيال، 1997)ص 126.

(2) محمد ماضي. مرجع سابق، ص6.

تشابه الأمثال

كثير من هذه الأمثال تتشابه،بسبب تشابه البلاد العربية في العادات والتقاليد، و هـذا أن دل على شيء فإنما يدل على عمق الوحدة الثقافيـة العربيـة، هـذه الوحـدة التـي تجسـد مصير العالم العـربي وحتميـة اتحـاده السـياسي والإقليمـي، ولكـن رغـم كـل مظـاهر التشـابه والتقارب توجد هناك أمثال معينة تميز كل دولة عربية عن غيرها، كذالك قد تميز كـل ناحيـة أوجهة من نفس البلد عن الناحية الأخرى [1].

وتتشابه الأمثال العربية مع الأمثال الغربية ففي العربية يقولون " الأعور بين العميـان باش كاتب " وفي الإنجليزية يقولون: "Among the blind the one-eyed man is a king"

ويقولون بالعربية " موت يا حمار يجيك العليق " وفي الإنجليزية يقولون:

"Till the grass grows the stead stores"

ويقولون بالعربية " اللي بطلبه كله بفوته كله " وفي الإنجليزية يقولون:

"Grasp all lose all "

ويقولون بالعربية " ما بجيب الرطل إلا الرطل ووقيه " أو " لايفل الحديد إلا الحديد " وفي الإنجليزية يقولون:

"Diamond cuts diamond "

ويقول مثل روسي: " الأمثال عملة الناس "

ويقول مثل بوسني:" الأمثال في الكلام تضيء في الظلام "

ويمكن تفسير ذلك بتأثير الهجرات الثقافية على مر العصور التاريخيـة نتيجـة لعوامـل اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، كما يمكن إرجـاع ذلـك إلى وحـدة التجربـة الإنسـانية التـي تنتقل من دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة [2].

(1) فوزي قديح. مرجع سابق، ص4.

(2) موسى علوش. من الأمثال والأقوال والتعابير الشعبية الفلسطينية. (رام اللـه: د.ن، 1995) ص20.

والمثل العربي سهل الانتشار وسريع التداول لأن البشر بطبعهم ميالون إلى ما هو طريف ومختصر لا طويل ولا ممل، فربما أثرت كلمات بسيطة يتضمنها مثل أكثر من حديث طويل منمق، والمثل بحكم كونه نابعاً من واقع البيئة فإنه ينتشر فيها ويسرى بين أفراد المجتمع كما تسري النار في الهشيم فهو منهم وإليهم [1].

والمعروف أن الأمثال العامية تأتي بألفاظ غير فصيحة، ولكنها رغم ذلك تتميز برشاقة في اللفظ كتلك التي نجدها في الأمثال الفصحى، بل إن الأمثال العامية أقرب إلى اسماع الناس وقلوبهم على اختلاف طبقاتهم، ومن الأمثال الفصحى، وليس في الكلام ما هو أوقع في الأسماع، وأشد تأثيراً في النفوس من الأمثال[2].

أنواع الأمثال [3]:

ما ترك المثل قولاً إلا قاله وقد تنوع المثل إلى أنواع عديدة وهي:

أ. الحث على الجد والاجتهاد والترغيب في كسب الحلال مثل: الرزق بده نطة - الوظيفة إن ما أغنت.. سترت .

ب. بعض الأمثال تعكس عمق الإيمان بالله والتسليم بالقضاء والقدر مثل: العمر واحد.. والرب واحد - الأرزاق والأعمال.. بيد الله.

ت. بعض الأمثال تستنكر الكسل والاعتماد على الغير مثل: أكل ومرعى.. وقلة صنعة - حزموني وقمطوني.. ومالي على السفر نية.

ث. هناك أمثال تحث على عدم الطمع مثل: الطمع ضر ما نفع - إن لقاك الربيع.. ارتع قبله - بني آدم عينه فارغة.. ما يملاها إلا التراب.

جـ. أمثال بها أسماء مدن وقرى فلسطينية مثل: يافاوي.. يا برتقال . حاوي يا بلح.

---

(1) فوزي قديح . مرجع سابق، ص5.

(2) إسماعيل اليوسف. مرجع سابق، ص7 .

(3) محمد ماضي. مرجع سابق، ص7-8.

بربراوي يا عنب.

ح_ أمثال فيها التشبيه بالحيوانات والطيور مثل:

فلان مثل الصقر.. بحضر الطعام من مناقير الطيور.

فلانة رقبتها.. مثل رقبة الزرافة.

إن غاب القط.. العب يا فأر.

فلان جمل.. محامل.

خ_ أمثال فيها أسماء الفصول والشهور مثل:

في آب.. اقطف العنب ولا تهاب.

برد الصيف.. أحد من السيف.

في الصيف حريق.. وفي الشتا غريق.

آذار أبو الزلازل.. والأمطار.

ومن الأمثال ما تفرزه «حادثة» أو «حكاية» حيث تتلخص خبرة حياتية أو موقف في عبارة أو تعليق موجز، وقد وجد المثل سبيله إلى البلاغة العربية فيما عرف باسم الاستعارة التمثيلية حيث يوحي بإجراء تشبيه بين حالتين: الحالة الراهنة التي يستعير فيها القول المتمثل به والحالة التي صدر عنها ذلك القول، ويكون المثل إشارة موحية تتكئ على خبرة حياتية سابقة [1].

وظائف الأمثال [2]:

مما سبق يتضح أن للمثل وظيفة يؤديها وغاية يبررها، وهو من أجل ذلك يضرب عندما يكون هناك حاجة إلى ذلك من أجل تقديم الحجة وتوضيح الحقيقة وإسداء النصح وتفسير الحقائق وتبرير الأعمال ومقارنة الأفعال ووصف الواقع ونفي الأمور والنهي عن المحظور والتنبيه إلى ما هو حاصل.

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(2) موسى علوش. مرجع سابق، ص29.

فلتدعيم الحجة يقال: جار تصابحه كيف تقابحه.

ولتجسيد الحقيقة يقال: عدو جدك مابودك.

ولإسداء النصح: على قد فراشك مد رجليك.

وللتبرير يقال: الرجال محاضر مش مناظر.

وفي المقارنة يقال: مثل خطيب جمزو، ومثل عريس كوبر.

الأمثال هي ذاكرة الشعوب، وحافظة تجاربهم وخبرة أجيالهم، وهي ترجمة صادقة للحس الشعبي المصاب باللهجة المحكية، وانتشر المثل نتيجة تعبيره عن حادثة معينة، قاله شخص مجهول ليصبح فيما بعد مع مرور الأيام ملكاً لعامة الناس يرددونه في الحالات المشابهة للحادثة أو الواقعة التي قيل فيها.

كثير من الأمثال الشعبية الفلسطينية تحمل صفات الحكمة وتعبيراتها، وتتفق إلى حد كبير مع شبيهاتها من الأمثال الشعبية العربية، نتيجة تشابه وتجانس الأجواء واللغة والتاريخ والأحداث ومن هنا ليس غريباً أن نجد مثلاً شعبياً فلسطينياً له ما يشبهه في الأمثال الشعبية العراقية أو المصرية أو غيرها من البلاد العربية من حيث الصياغة والمفهوم.

لدى الشعب العربي الفلسطيني ثروات هائلة من الزاد الثقافي والفكري بما فيه من مجازات وكنايات ورموز وأمثال، وتتفاوت الأمثال باختلاف مواضيعها، ويجد الإنسان مثلاً أو أمثالاً لكل ما يخطر بباله من موضوعات تتصل بالحياة على اختلاف بيئاتها، وقد يجد كثيراً من الأمثال تحمل معاني متضاربة وينفي بعضها بعضاً، إلا أن الناس يولون الأمثال ثقة شبه تامة في تصديق أقوالهم وحالاتهم النفسية [1].

---

(1) أحمد حجازي. موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية. ط1 (عمان: دار أسامة، 2003م) ص7.

إن التراث ليس شيئاً عفا عليه الزمن ويندثر، كما أنه ليس شيئاً للتاريخ والمتحف فقط، بل هو في الحقيقة سجل عبقرية هذه الأمة، وهو كذلك القوة الدافعة لإعطاء الأمة شعور ومطمحاً للوحدة والديمومة [1].

ويؤكد على هذا ويدلل عليه " المثل الشعبي نفسه الذي يتخذه أبناء الشعب الفلسطيني مثلاً استهلاليا ومفتاحياً لأقوالهم قائلين:

المثل ما خلاش إلا ما قالها.

ليبرهن بهذا المثل الشعبي الفتاحي شمولية المثل الشعبي وخاصية تغطيته لجميع عناصر الحياة الأدبية والمادية [2].

وأن تراثنا على وجه الخصوص لا يمكن لأحد تفسيره إلا أبناءه المتعايشون له لأنهم الأقدر على معرفة أسرار لهجته العامية التي يتداولونها شفاهية، فأهالي نجد أدرى بشعابها كما يقول المثل العربي وأبناء الشعب الفلسطيني يقولون:

ابن بطني بيعرف وطني

خاصة وقد فرضت علينا منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى اليوم هيمنة ثقافية كادت تشلنا حتى عن التعبير عن تراثنا الذي هو مصدر هويتنا فأصبح العديد من العرب لا يكتبون عن تراثهم إلا مما يترجمون عن المستشرقين العساكر المقنعين بقناع الرحالة ودارسي الآثار والمرتدين لباس المبشرين من دارسي التراث، وقد حاولوا جميعاً جاهدين أما رد هذا التراث إلى من هم غير العرب أو تشويهه ولتخفيف من وجدان الشخصية العربية واستغلالها بالنفاذ داخل أفكاره لسهولة غزوه عسكرياً وثقافياً والسيطرة عليه كما حدث فعلاً قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، أو كتابته بلغتهم مما يخرج عن المعنى المراد به ويفقد التراث نكهته التي هي من خصائصه [3].

---

(1) كامل اسعفان. التراث وواجبنا نحوه(القاهرة: مكتبة الانجلو، د.ت) ص 13.

(2) سليم المبيض. ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية. مرجع سابق، ص7.

(3) سليم المبيض. الجغرافيا الفلكلورية للأمثال الشعبية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986) ص19.

وهكذا استمرت العامية كأداة فنية تعبر بسلاسة عن مشاعر هـذا العـربي الفلسـطيني ووجدانه فكانت وسيلة التفاهم وحل قضاياه لتؤكد صلابته وقدرته على التأقلم معها جميعـا ولتعكس بمفرداتها المتنوعة تفاعلات هـذا الشـعب مـع الشـعوب الأخـرى سـواء عـن طريـق علاقته الثقافية أو الاقتصادية والهجرات الطبيعة أو الناجمة عن الغـزو الاسـتعماري والثقـافي لموقعها [1].

صفات المثل الشعبي[2]:

المثل الشعبي يبحث في جذور الشعب عن الأصالة والحقيقة، وهو أحـد روافـد الأدب الشعبي له أدوات تعبيره، ووسائل تصويره، طبائعه ومميزاته التقط من أفواه النـاس وبحـث فيه العديد من العلماء القدامى والمحدثين، وأكدوا أنه صورة عن حياة أناس تلمس همـومهم وقضاياهم بحيث بات شكلا فولكلوريا شائعا في كل الأجيال وموقفاً صادقاً يختزن وجهة نظـر تحتمل خلاصة التجارب الاجتماعية المادية، ولذلك للمثل واقعية تجريبية تتحرك فيها القوانين الأساسية للتطور الاجتماعي، كما يمتاز بخصوبة تصويرية شأن أي فكر، والمثل نتيجة هذا كلـه وعاء يحفظ التراث النفسي الخالد للمجتمع.

ولا بد من أن نلاحظ أن كثيراً من الأمثال لا تتفق، بل تتنـاقض لـو وُضـعت جنبـاً إلي جنب كمثل قولهم: «الجار للجار ولو جـار» وقـولهم: «يـا جـاري أنـت بحالـك وأنـا بحالي» الأول يدعو إلي التضامن مع الجار في كل حال، والثـاني يـدعو إلى الانصراف عنـه، ولو قلنا إن المثل خلاصة فكر الشعب وخزانة حكمتـه لحـقّ لنـا القـول إن هـذا الفكـر متناقض إذ يجمع هذين المسلكين معاً غير أن التناقض هنـا لـيس سـوى مظهـر إباحـة الاختصار، فلو فُصّل المثلُ الأول فيه، إن الجار لزم أن ينجدَ جـاره في مصـيبته أو حاجتـه وأن يسارع إلى مواساته، ولو بدا قبل ذلك من الجار سلوك جائر، وأمـا المثـل الثـاني فلـو فُصّل لقيل فيه: دع جارك وشأنه وانصرف إلى شأنك ولا تتدخل فـيما لا يعنيـك، والحـق

(1) سليم المبيض. 1990. مرجع سابق، ص7.

(2) يسرى عرنيطة. مرجع سابق، ص187-188

أن المثلين لا يتناقضان لأن مواساة الجار والمسارعة إلى نجدته أمر يعنيك، ولا يضايق جارك، بل يسعده ولكن واجب الجار حيال جاره لا يُطلق يده في كل شؤون هذا الجار[1].

وهذان المثلان يبيّنان أن الحكمة الشعبية ثرية ثراء لا يوصف، إذ جعلت لكل حالٍ حكمة ولكل احتمال عبرة، ولكن إذا أشاد مثلٌ بالأب وجعله عمود العائلة وعمادها وناقضه مثل آخر يُعدُّ الأم ركيزة العائلة وحاضنتها فليس لأن الفكر الشعبي متناقض، بل لأن التجارب والحالات شديدة التنوع ولكل حالة وتجربة مثل، ولو اقتصرت الأمثال على إظهار جزء من الخبرات الاجتماعية المتناقضة لما حق للدارسين أن يعدوا الأمثال صورة للفكر الشعبي وللتقاليد الاجتماعية، ولكان ظهر جزء من الصورة وخفي جزء، ووظيفة الأمثال ليست قطعاً إظهار الشعب في مظهر منطقي متجانس أمام الدارسين، بل الأمثال خزانة تراث تتراكم فيها صور الحياة وعبرها بكل تناقضاتها وتنوّعاتها[2].

معنى المثل: (إللي ما له أرض.. ما له عرض)

الأرض والعرض، الشرف، يتساويان في كفة ميزان.

إن هذا المثل الشعبي الفلسطيني يؤكد على قوة تمسك الإنسان الفلسطيني بأرضه واعتزازه بها وعدم التفريط بسنتمتر واحد منها مهما بعدنا عنها، ومهما ابتعدت عنا، فإن الشعب الفلسطيني مازال موجوداً في الشتات أو في الوطن، فإنه مازال جزء كبير من أرضنا مغتصباً، ومازال شعبنا محتفظاً بأوراق أرضه محتلة في فلسطين وهذه المستندات هي شهادة "الطابو"، إثباتاً واعتزازاً بأنه مازال يؤمن بأن أرضه مازالت موجودة ومدونة باسمه في المكان المسمى باسم قريته أو بداوته أو عزبته أو خربته أو مدينته وما فيها من معالم مازالت موجودة من آثار بعض المباني من المدارس والمقابر والجوامع والأضرحة والجبال والوديان والأشجار والرمال [3].

(1) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(2)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(3) محمد ماضي. مرجع سابق، ص9.

الحكايات الشعبية

إن التجربة في الحكاية الشعبية بشكل عام هي تجربة خصبة ثرية تمتاز بتنوعها وتباينها وهي تجربة أصيلة تعبر عن واقع المجتمع وخاصة تجربة السواد الأعظم من الجماهير التي تعيش الحكايات في أذهانها ثم تنمو مكتسبة ألواناً وأصباغاً ذات دلالات، وخاصة أن هذه الطبقات هي الأكثر جذرية والأوسع امتداداً وهي التربة الخصبة التي تنمو فيها الحكاية وتجد فيها البيئة الملائمة للبقاء وما دمنا بصدد تقييم التجربة فيها فهي إذن تجربة جماهيرية أصيلة عريضة عريقة في وجودها السحيق الذي قد يمتد إلى مئات أو آلاف السنوات، فالإنسان هو الإنسان بعواطفه وهمومه وآلامه وصراعه من أجل البقاء بغض النظر عن الوسائل التي يستخدمها في تحقيق غاياته سواء أكانت بدائية أو متطورة والبحث عن الوجود ومحاولة قهر الطبيعة وركوب متنها هي أهداف أزلية تابعت الإنسان منذ لحظة وجوده وظلت تواكبه إلى أخر مراحل تطوره العلمي والتكنولوجي فغاية الإنسان في الحياة واحدة وإن ما ينوبه من تغير في الوسيلة وطريقة التفكير والامكانات المادية والعقلية ليس إلا نتيجة التجربة المتراكمة في سلم الحضارة [(1)].

يعد العديد من الباحثين والمعنيين بالتراث وتصنيفه أن وظيفة الحكاية الشعبية هي التعويض عن عدم مقدرة الإنسان على تحقيق رغبات معينة كان من الصعب عليه تحقيقها والحكاية الشعبية الفلسطينية ليست بمعزل عن هذا التفسير، ولذلك فإننا نرى في القصص الشعبي الفلسطيني تعويضاً عن الجوع وعن العجز أمام المرض العضال، وعن الانسحاق أمام المضطهد، فنجد في ثنايا الحكايات الحطاب الفقير وقد حصل بطريق الصدفة على «باطية» يمتلئ بالطعام بمجرد دعوته لذلك ونجد الأعمى وقد جلس تحت شجرة فأرسلت له العناية الإلهية حمامتين تتحادثان وتقول الأولى للثانية أن الأعمى إذا تكحل بريشي من دمك فسيبرأ ويسرع الأعمى الملهوف على مداواة نفسه بالطريقة الرائعة التي هبطت عليه من السماء ويبرأ أما الشاب الفقير المضطهد والذي أهمله

(1) علي أبو فخيدة. مرجع سابق، ص7.

الناس وأهدروا حقوقه يجد خادماً ذا قوة خارقة يعينه على أن يبرز نفسه وينال إعجاب الجميع بتحقيقه للمعجزات أو بقضائه على مضطهديه[1].

والتراث القصصي الشعبي لم يفقد جذوره أو أصوله وسماته وخصائصه الشفاهية برغم التدوين أو التسجيل الكتابي أو التعبير الإملائي لنصوصه[2].

والأصل في الحكاية الشعبية أنها تقصد إلى غاية بل أن الحكايات التي تستهدف تقضيه وقت الفراغ في ظاهر الأمر للتسلية والترفية، ولكن تقصد غاية أخرى وراء ذلك ربما تأكيد معرفة أو تأصيل قيمة إنسانية أو تأكيد مثل اجتماعي أو أخلاقي [3].

وأن للحكاية الشعبية تأثيراً واضحاً وإن كان غير مباشر أو ربما مباشراً في بعض الأحيان في تشكيل الحضارة الإنسانية فأولئك العلماء الذين يبكرون الخرافة والأساطير والميتافيزيقيات إنما عاشوا في ظل مجتمع شكلت فيه هذه الأمور كثيراً من القيم والعادات والتقاليد والنوازع الاجتماعية التي رسخت و صارت جزءاً من كيان كل فرد بشري لا يمكن الخلاص منها وأولئك العلماء المنكرون لهذا الفكر الشعبي والأسطوري بطبيعة الحال هم بعض هذا المجتمع ومن ناحية أخرى فإننا يجب أن نلاحظ أن التجربة في الحكاية الشعبية هي تجربة بسيطة طفولية ساذجة وسبب ذلك أنها صادرة عن الإنسان العادي البسيط الذي يتناول في كثير من الأحيان قضايا حياته اليومية العادية ببساطتها ليصورها في حكايته فليس الحكاية فكراً مفلسفاً خضع لكثير من الدراسة والتأمل [4].

إن فن الحكاية الشعبية الفلسطينية فن متطور، وأسلوبه غير مصطنع، لكن له تقاليد فنية (لغوية وأدبية) تميزه من فنون السرد الشعبية الأخرى، ويرتكز هذا الأسلوب على ضروب في الكلام ذات أناقة لا تتوفر في المحادثة العادية، وخصوصاً في حديث الرجال،

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/stories/stories.htm

(2) محمد النجار. من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي.ج2 (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003) ص152.

(3) عبد الحميد يونس. الحكاية الشعبية (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1968) ص84.

(4) علي أبو فخيدة. مرجع سابق، ص8.

وأن النساء طورن هذا الأسلوب ويرجع الفضل إليهن في نقل هذا الصنف من التراث عبر الأجيال وتكون رواية الرجل الذي يود أن يروي الحكاية اشعبية مرضية، عليه أن يتبنى أسلوب النساء السردي[1].

والحكاية الشعبية هي نافذة عقلية نستطيع من خلالها أن نلقي الضوء على الخيال البشري في مراحل تطوره المختلفة، كما أننا نستطيع من خلالها أن نحدد بعض القسمات والملامح لهذا الخيال الطفولي الذي بلا شك ساعد على تشكيل المجتمعات البشرية المولودة والمتوارثة [2].

إن استعادة الحكاية الشعبية وقراءتها من جديد على الأجيال الناشئة هي شكل من أشكال استعادة صورة الوطن واستحضارها في الذاكرة، فالحكايات الشعبية ترتبط في الذاكرة بتلك الأيام الأولى من العمر، عندما كنا نستمع إليها لأول مرة من أفواه الأم والخالة والجد والراوية في محيط القرية، هذه الحكايات مرتبطة تماما بملامح القرية، لأن الرواة عندما كانوا يتبسطون في القص وإعطاء التفاصيل الإضافية كانوا يربطون الأحداث وحركة الشخصيات بمحيط القرية التي يعيشون فيها.

هذه الحكايات لا يمكن إلا أن تنسجم مع صورة الأرض بما فيها من جبال ووديان وطرق وغابات وإلا لما كان من الممكن أن تستمر هذه الحكايات في الذاكرة، وتظل محل اهتمام الشعب، منتقلة شفوياً من جيل الى جيل [3].

والحكاية الشعبية تروى في إطار قصصي معين يميزها كصنف أدبي ليس فقط من القصص التي تروى في ديوان الرجال، بل أيضا من أصناف القصص الشعبي التي تدور في أطر أخرى في المجتمع الفلسطيني، ومن هذه الأصناف نذكر الحكاية التي تفسر

---

(1) إبراهيم مهوي. قول ياطير. نصوص ودراسة في الحكاية الشعبية الفلسطينية (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،2001) ص9.

(2) علي أبو فخيدة . مرجع سابق، ص7.

(3) نمر سرحان. حكايات شعبية في فلسطين. ط1 (القاهرة: دار الفتى العربي، 1987) ص5.

المثل والحكاية التـي تصـف حـدثاً ونـادراً (النهفـة أو النـادرة)، والحكايـة التـي تـروي حـدثاً (السالفة) وحكاية الحيوان، وحكاية الجان وحكاية الولي، وكذلك الأسطورة والمغامرة [1].

والسير والحكاية الشعبية أكثر تاريخية من الأساطير بطبيعـة الحـال إذ أنهـا أقـرب لأن تكون رؤية وجدانية شعبية للتاريخ وأحداثه وأبطاله، ومن ناحية أخرى لا ينتمي فن الحكاية إلى عصر بعينه وإنما هو نتاج تاريخي مستمر في إطار فني تلقائي [2].

وهناك مسألة العلاقة بين الحكايات الشعبية الفلسطينية والنكبة التي أصابت الـوطن الفلسطيني بعد الغزو الصهيوني، كما أن هناك حكايات مشهورة بين الأقطـار العربيـة بحكـم وحدة الثقافة العربية ووحدة الأرض والتاريخ، لم تنقطـع أوصـالها إلا نتيجـة إقامـة الكيانـات المختلفة منذ عهد قريب، أما الطـابع المحـلي البحـت فنجـده في حكايـات أشـبه بالحتوتـة أو الخبرية المحلية، بينما الحكاية الخرافية وحكاية الحيوان لها جذور وصلات عربية بل وفارسية أو هندية أو عالمية.

انه من الأهمية بمكان، في هذه المرحلة من تاريخ الوطن أن يركز الباحث الفولكلـوري الفلسطيني اهتمامه على جمـع ودراسـة الحكايـات الشـعبية التـي نبعـت مـن قـرى ومـدن فلسطينية بعينها بحيث يساعد على خلق الصـلة بـين الثقافـة الشـعبية والأرض التـي وصـل العدو ابتلاعها وتهويدها وتغيير أسمائها ليخلق واقعاً يقف وراءه وينكر حق شعبنا في أرضـه ووطنه [3].

وتشكل الحكايات الشعبية الفلسـطينية جـزءاً مـن تـراث القصـص الشـعبي العـربي وتحكى بالـلـهجة الفلسطينية ذات الفـرعين: الفلاحـي والمـدني، ويرجـع طغيـان الحكايـات الفلاحية على المدنية في هذه المجموعة الى ازدياد عدد الرواة الفلاحين على المـدنيين، فكـان

---

(1) إبراهيم مهوي. مرجع سابق،ص9.

(2) قاسـم عبـدوه قاسـم. بـين التـاريخ والفلكلـور. ط2(القـاهرة: عـين للدراسـات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعية ،2001) ص48.

(3) نمر سرحان. 1978. مرجع سابق، ص7.

يتوفر الفراغ لرواية الحكايات ويتميز الرواة المدنيون من نظائرهم الفلاحين بكونهم أكثر تهذيباً في استخدام اللغة واقل استعداداً للإيمان بالمعتقدات الشعبية [1].

ويحفل التراث الشعبي العربي بكم هائل من طراز الحكاية الشعبية، التي مازالت محفوظة وشائعة حتى الآن، إما بفضل التدوين خلال كتب التراث، أو من خلال التواتر الشفاهي عبر الأجيال وقد اعتمد عليها المسرح العربي والمصري منذ نشأته حتى الآن في استلهام موضوعات لعديد من مسرحياته.

وتعتبر الحكاية الشعبية من حيث القدم من أقدم الموضوعات التي ابتدعها الخيال الشعبي وعرفها الإنسان في كل مكان، فالرواية الشفاهية " للحكايات أقدم بكثير من التاريخ، ولا ترتبط بقارة واحدة " [2] فقط ترتبط بعقلية الإنسان الذي ابتدعتها عقليته الجمعية، ليحملها "بمقولته الفكرية وأسلوب النظرة التأملية التي يرى بها الإنسان وجوده، والوجود المحيط به سواء أكان ذلك من واقع الحياة، أم مما يتخيليه لما فوق الحياة الطبيعية " [3].

ومن نماذج الحكايات الشعبية [4]الجمل والحمار الباطية - العنزة العنزية- نص انصيص - الشاطر محمد- القرصة الزلمة والحية- بنت تايه الرأي - اللبيب والإشارة- فرط رمان ذهب - الطوير الأخضر لم تشبع "نجمة" من اللحم- المعز بن صالح - الربيع يأتي رغم شتاء الاحتلال الطويل.

---

(1) إبراهيم مهوي. مرجع سابق، ص14.

(2) سيث طومسون. الحكاية الشعبية: عالميتها وإشكالها. ترجمة: احمد آدم , ع21 (القاهرة: مجلة الفنون الشعبية 1987) ص80.

(3) صفوت كمال. مدخل لدراسة الفولكلور الكويتي . ج31 (الكويت: وزارة الإعلام، 1986) ص 242.

(4) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/stories/stories.htm

التراث الفني

1- الأغاني الشعبية

تشكل الأغنية بنوعياتها المختلفة عنصراً هاماً وأساسياً ولوناً خاصاً، له أهميتـه الكـبرى بين إبداعات وممارسات الإنسان العربي الفنيـة والموسـيقية والأغنيـة إبـداع مشـترك بـين كـل الشعوب مهما اختلفت مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية [1]، وتعد الأغنية الشعبية انعكاس واضح لواقع الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع [2].

وتسعى الأغـاني الفلكلوريـة إلى تحقيـق غايـة أخلاقيـة سـلوكية أو تعليميـة أو تـؤدي وظيفة تدريبية لاستيعاب العادة أو التقليد أو لاكتساب قدرة ذهنيـة أو جسـمية أو تحقيـق متعة فنية لمن يؤديها ويستمع إليها [3].

إذا كانت المحنة التي مَرَّ بها شعب فلسطين منذ بدايات القرن العشرين وحتى يومنـا هذا قد أثرت تأثيرًا واضحًا في ثقافته وفي أغانيه كجزء مـن هـذه الثقافـة، إلا أن هـذا لم يمنـع الشعب الفلسطيني أن يصرِّح بأغنيات تعبر عن أحوالـه المختلفـة في الأفـراح والأعيـاد وحتـى أثناء العمل والتجارة [4].

والأغنية الشعبية الفلسطينية، تطـورت عـبر مراحـل زمنيـة مـن الأغنيـة العاطفيـة إلى الحزينة إلى المقالة وهنا يقتضي الأمر منـا وقفـة عنـد موضـوع الأغنيـة لأنهـا العـنصر، الأكـثر وضوحاً الذي يشكل التداخل البـارز بـين عنـاصر الـتراث الشـعبي التقليديـة، والموروثـة منـذ

(1) فتحي الصنفاوي. مدخل إلى دراسة المأثورات الشعبية الغنائية (الفلكلور الغنائي). (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001) ص49.

(2) هاني الهندي. الحزن في الأغنية الشعبية الفلسطينية. ط1 (عمان: دار البشير، 2007) ص53.

(3) محمد الجوهري. رشدي صالح والفلكلور الشعبي: دراسة لأعماله وفصول مـن تأليفـه. ط1 (جامعـة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2003) ص322.

(4)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-35/alrawe.asp

قديم الأزمان مع دوافع المقاومة التي انطلقت من الشعور بالحيف والظلم الذي وقع على المجتمع في الزمن الذي كان فيه الفلسطينيون يعِّولون على الأمة العربية لتقوم بتحرير أرضهم، وفي المراحل التاريخية التي كانوا يلعبون فيها دوراً ثانوياً في المقاومة، بعد الدور العربي، كان الغناء الشعبي يدور حول تمجيد الوطن، والتحسر على ضياعه، والتنديد بالسماسرة وعملاء الأعداء والتشوق للأرض التي أصبحت وراء الاحتلال والحديث عن أحزان الاغتراب والهجرة [(1)].

وتشكل الأغاني الشعبية حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، وتعلق المواطن الفلسطيني بأرضه وحبه الشديد لقريته، وحرصه على حماية تراثها، وتحفظ هذه الأغاني شخصيته وعواطفه وهمومه باللهجة العامية المتداولة في كل قرية أو مدينة، وتمدح شباب هذه القرية ونسبها وحسن نباتها [(2)].

والغناء الشعبي ربما هو الفن الأكثر شمولية من حيث قدرته على قيادتنا إلى جميع السلوكيات وكان الغناء يستخدم كوسيلة للتعبير عن العشق والحزن والفرح وما إلى ذلك ولكنه من بابٍ خفي كان سجلاً لسلوكيات عصره بحيث نستطيع فهم حيثيات هذا العصر الذي أنشئت فيه الأغنية من خلال مفرداتها، ولنأخذ هذه المقطوعة البسيطة من أغنية جفر وهنا نتحقق مثلاً من طريقة عمل الخبز في ذلك الزمن وتلك المنطقة وبتدقيق أكبر قليلاً نعرف أن الوشم أيضاً كان من سمات الجمال لأن البيت يروي أحياناً " مدقوق ع صديرها "وهناك الكثير من الأمثلة التي تختصر حياة الفلاح الفلسطيني في جمل سواء أكانت هذه الجمل أغانٍ أم أمثال [(3)].

وهناك نوعين من الغناء الشعبي، الأول: الأغنية الفلولكلورية التي تعتمد لحناً شعبياً قديماً مميزاً بالثبات والتواصل مثل الجفرا، العتابا، الميجنا، دلعونا، يا ظريف الطول،

---

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1574.html

(2)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-35/alrawe.asp

(3) خالد جمعة. مرجع سابق. ص4.

يا غزيل يا هويولي عالأوف مشعل، ليابليا، أبو الزلف، والثاني: الأغنية الشعبية – التي تعتمد لحناً شعبياً قديماً يمتزج باللهجة العامية، " للوصول إلي وعي جديد في ضبط أشكال هذه الأغاني لم يحقق أكثر من تسمية جديدة تنطبق مباشرة علي محاولات التسمية القديمة [(1)].

إن التراث هو أساس ما نستلهم في التلحين وهناك أغاني المواسم والألعاب يتم تلحينها بأسلوب حداثي بالاستعانة بالموسيقى الشعبية الفلسطينية القديمة وذلك من أجل تواصل هذه الأغاني والنصوص مع الأجيال القادمة والحفاظ في نفس الوقت على هذا الميراث العظيم[(2)].

نماذج الغناء الشعبي*.

يمكن تقسيم نماذج الغناء الشعبي في فلسطين إلى نوعين رئيسيين: الأول: عادة يؤديه فنان شعبي منفرد ومتخصص في أداء هذا اللون، والثاني: هو كل ما عدا ذلك من نماذج الغناء الشعبي، فأما نماذج النوع الأول فسنعرض لها من خلال عرض شخصية الفنان الشعبي الذي يقدم هذا اللون:

الحدَّاء

هو ما يوازي الفنان الشعبي الذي يطلقون عليه في لبنان اسم "الزَّجال" أو "القوَّال"، ويطلق أهل شمال فلسطين مصطلح حدَّاء على الشاعر الشعبي المبتكر لأغاني الشعب الذي يدعى لأحياء الاحتفالات الشعبية في مناسبة العرس، ويشترط في الحدَّاء أن يكون صوته رنَّانًا جهوريًا، وأن يكون حاضر البديهة قادرًا على التحاور والتناظر، فقد جرت العادة أن يثير الجمهور المنافسة بين الحدائين ليتناظروا، ومن أشهر المناظرات المرتجلة تلك التي يدور موضوعها عن السمراء والبيضاء، والحياة القروية والمدنية والسيف والقلم.

---

(1) http://www.arabtimes.com/osama-all/doc21.html

(2) http://online.yahala.co.il/interview/article.php?yahala=2&id=25

* للتعرف على المزيد من نماذج الغناء الشعبي الفلسطيني انظر إلى الملحق رقم (4) ضمن ملاحق الدراسة.

الشاعر الشعبي

هو الفنان الشعبي الذي يقف أمام الجمهور ليتلو قصائد وقصصًا من التراث الشعبي بمصاحبة الرَّبابة في الغالب، ويعتبر الشاعر الشعبي لسان الجمهور وواعظه وباعث الحماسة فيه، وقد يقوم أحيانًا بدور المونولوجست والمهرج، فهو يروي النِّكات لجمهوره في أثناء إلقاء الرواية.

المُنْشِد

وهو الدرويش الذي يتلو المَواجِد الصوفية في الحضرة أو يقرأ قصة المولد ويتلو فيها من أشعار، ثم يتلو المدائح النبوية أمام الجمهور من المؤمنين المحتفلين بيوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم أو في مناسبة من المناسبات الاجتماعية التي يودون أن يتبركوا فيها بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه [1].

أغاني العمل والعمال في فلسطين

وتُعَدُّ أغاني العمل مثل أغاني الأعراس والاحتفالات الدينية مجالاً يشير إلى شمول التعبير الغنائي كل مجالات النشاط الإنساني للشعب الفلسطيني أو معظمها، فتكاد لا توجد مهنة إلا يعبر عنها بالغناء خاصة وأن الشعب الفلسطيني بدأ يحس بوجدانه الشعبي أنه مهدد بالتدمير والاغتراب والتشويه لذا فإنه يتشبث بكل أصوله وجذوره ويحرص أشد الحرص علي تواصله الكامل عبر كل إمكاناته الثقافية العميقة[2].

وتتناول أغاني الأرض، الحراثة، الحصاد، قطف الزيتون الرعي، أغاني المطر، أغاني الهجرة، وأغنية العمل ارتبطت بالأرض [3].

---

(1)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-35/alrawe.asp

(2)http://www.arabtimes.com/osama-all/doc21.html

(3) علي الخليلي. أغاني العمل والعمال في فلسطين.عرض ونقد: أسامة فوزي.ط2 (بيروت:منشورات ابن خلدون، 1980) ص5.

وتعتبر الأغنية الشعبية الفلسطينية من أبرز ألـوان الـتراث الشـعبي الفلسـطيني التـي أولاها الدارسون اهتماماً خاصًا، حيث تشترك الأجيال في إبداع كلمات هذه الأغنيـة، وصـياغة إيقاعها وتعكس الأغنية الشعبية الفلسطينية صـورة حيـة دقيقـة لأشـكال الحيـاة وهمومهـا وتعبر عن مدى امتزاج الوجدان الجماعي وأحلام الناس برائحة الأرض، وعبق الـتراب بـالعرق والدم، حيث تظهر قوة اعتزاز الشعب الفلسطيني بقيمه وتقاليده وتضحياته وتصـور أمانيـه وتطلعاته إلى العيش بحرية وكرامة وعزة.

وتشير الباحثة "رنا درويش" إلى أن الأغنية الشعبية تستمد لونها مـن طبيعـة المنطقـة التي تظهر فيها، فلكـلٍّ مـن الجبـل والسـهل، والسـفح والسـاحل، والـوادي والبـوادي أغانيـه وأهازيجه ومواويله، ففي المراعي الجبلية والبوادي شاع الحُـداء الشـفاف الـذي نقـل معانـاة الشباب وصوّر عشقهم، وأحلامهم بفتيات الحيّ، وراعيات قطعان الماعز والضأن، وأما المصـدر الثاني فكان الموسم الذي تصوره فلكـل موسـم أغانيـه وأهازيجـه الخاصـة، فأهـازيج موسـم القطاف تختلف عن الحرث والبذر والحصاد والمصدر الثالث هو المناسـبة التـي تـرتبط بهـا، حيث برزت الأغنية الفلسطينية في مناسبات الأفراح من خطبة، وزواج وختان، وشهدت ليـالي السمر والأعراس رقصات الشباب، ودبكاتهم وهم يغنون على أنغام الآلات الشعبية "كاليرغول والشبابة" [1].

أن العرب لم يعد بوسعهم تحرير فلسطين.

أن الفلسطيني يجب أن يأخذ بيده زمام قضيته.

أن مكونات الذات الفلسـطينية موجـودة (في الفولكلـور، بمـا في ذلـك التصـميم عـلى التحرير كعقيدة شعبية راسخة).

أن الشعور بالهوية الوطنية، قد رافق الإنسـان الفلسـطيني منـذ أن بـدأ وعيـه بهويـة متميزة مع العقد الثالث من القرن العشرين تعبير الإبداعي الشـعبي الفلسـطيني يعـبر عـن هذه الهوية في ظروف محددة وعندما يمتلك الشـعب الأدوات الضروريـة للجهـر بمـا يشـعر

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1637.html

به، ويمتلك القدرة على الدفاع عن مشاعره، بالضبط وصف أبو هشام الجلماوي ذلك في هـذه الطلعة:

المد الثوري ف كل بيت

حتى اللي ساكن الكويت

لولا الثورة ما غنيت

ولا يمكن يسمحوا لي

أشكال التعبير

يترسخ في الذهن الشعبي الفلسطيني شعور عميق بأن فلسطين هي الأرض المقدسـة التي جُبلت بدم الشهداء الذين حرروها من الحكم الروماني في زمـن الفـتح الإسـلامي وهـي نفس الأرض التي حررها الشهداء الأبـرار، والقـادة الغـر الميـامين مـن قبضـة التتـار وغـزوات الصليبيين، وحافظوا على ميزاتها العربية والإسلامية، ويرى المـواطن الفلسـطيني المعـاصر بـأن دوره هو ذلك الدور المكمل لدور مـن سـلفه مـن القـادة الـوطنيين والشـهداء الأبـرار الـذين طردوا زحف المحتلين وتقول المرويات الشعبية بأن تحريـر فلسـطين واجـب يمليـه الواجـب والالتزام بالمعتقدات الدينية الجهادية، فضلاً عن أنـه شرف يقـوم بـه الأبطـال حـماة العـرض والأرض والدين، وأن معركة التحرير هذه تمتزج فيها قـيم شـتى: قـيم الـدين وقـيم البطولـة وقيم الشهامة [1].

وخلاصة القول بان الفلكلور الذي عبّر عن همـوم مجتمـع صـغير، مغلـق، ومنعـزل في قرية في الريف الفلسطيني، وجد نفسه في عهد المقاومة والثورة الوطنية المتجـددة منـذ عـام 1920 بحاجة لتجديد أدواته ليعبر عن شخصية الشعب التي تتبلور وتتجدّد، الشـعب نفسـه انتقـل مـن مرحلـة الصراع مـع الإقطـاعيين والزعامـات المشـيخة القديمـة إلى الصراع مـع

(1) عبد العزيز كتكت، موسوعة الفلكلور الفلسطيني. فقرة: فنان شعبي (عمان: د.ن، 1988).

عدو تشترك كل فئات الشعب في ضرورة مقاومته، وضرورة وجود لغة مشتركة يفهمها كل الناس، ويتحدون وراء مضامينها [1].

المـوال الـفلسطيـني

للموال الفلسطيني أهمية كبيرة في التراث الشعبي، حيث يعتني الشعب الفلسطيني به من خلال ما يقال في الغزل والمجال الوطني، ومواويل الدبكة التي تقال في الأفراح وقد يهتم الشباب بها، كما يرددونها أثناء العمل معبرين عن حفاظهم لها، والآلة الموسيقية المصاحبة للموال هي الشبابة واليرغول والربابة.

تطور جديد في مسار الأغنية

"الموال" من أشهر أنماط الأغنية الفلسطينية، ويطلق عليه البعض أغاني " الأوف " فيه يمزج الفلسطيني بين الأرض والحب والمرأة بصورة يمتزج فيها الوجد مع الأمل، وهذه منابع أصيلة أغنت الشعر الشعبي في فلسطين "والموال" الحديث المتطور عن "المواليا " عبارة عن بيت أو أبيات من الشعر الزجلي تبدأ بكلمة " أوف " وهذه الكلمة يقصد بها خلاصة الشوق والحنين ودلالة على عظم الرغبة في وصول الحبيب، كما أنها نوع من الحسرة على الماضي والأطلال وإن كان المغني يبدأ بتطييب خاطر الفتاة قبل التعرض لقضايا الحنين والبعد وقد ذكروا أن " المواليا " هو نفس النوع المعروف في الشعر العامي " بالموال " لأن أمثلته قد جاءت مزيجاً من ألفاظ معربة وأخرى غير معربة، وتعبر ظريف الطول، صفة شائعة في الأغنية الفلسطينية التي تستطرق إلى العشق والجمال ووصف المحبوب الوسيم المشوق القوام، فالفتاة الطويلة الرقيقة هي أجمل أنواع النساء وإذا كان ظريف الطول يطلق كوصف للجمال (الشاب والفتاة) فإن أغاني " مشعل " اختصت بالحنين واللوعة والشوق وهي سريعة النغمات تقترب من الموال ومشعل في التراث الفلسطيني " الشاب المعطاء ذو القدرة والنخوة ".

---

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1574.html

ملاحظات على الأغنية الشعبية الفلسطينية

إن غناء الشعب الفلسطيني يمثل صورة حية وصادقة لواقع هذا الشعب من القديم وحتى الآن وبالرغم مما يمكن أن يوجه من نقد إلى موضوع أو محتوى الأغنية الفلسطينية خاصة في قدراتها المختلفة، ومراحل تطورها، فإنها كانت تعبيراً عن مراحل متميزة من حياة هذا الشعب، فظروف الإنسان الفلسطيني المميزة أبدعت وشكلت شخصيته النضالية على مدى نصف قرن من التمرس النضالي الذي أثر بدوره في الأغنية وجعلها شيئاً عادياً جداً، فالقمع التركي ثم البريطاني فالصهيوني من بعده أدى إلى تفجير البعث الشعري الفلسطيني بزخم وعنف لم يشهده الوطن العربي لسنين طويلة مما ساعد على إبقاء الأغنية الفلسطينية بمثابة الخيط الذي يبقي الروابط بين الناس والحنين في صورة أغانٍ تتلقفها الأذن وتنطق بها الألسن، وهذا يعني أن الأغنية أبقت على هوية الفرد الفلسطيني من الضياع، رغم التمزق والشتات وأصبحت الذكريات بمثابة الأوتار التي تشد الفلسطينيين إلى ساعات من الدفء الصادق واللقاء ولو عن بعد، وعبر الأسلاك، وفوق حواجز الإرهاب والقمع والتنكيل في سويعات من أجل الرغبة وحب اللقاء على أنه يجب علينا أن نلاحظ على الأغنية الفلسطينية عدة أمور منها [1]: أن ترتبط الأغنية ارتباطاً واضحاً بالبيئة التي وجدت فيها وبالظرف الذي قيلت فيه قبل أن تصبح شائعة متداولة، ومن جانب آخر فإن معظم الأغاني الشعبية كانت تقع ضمن مواضيع الحب، إلا أن هذه الأغاني تحولت إلى أغاني مقاتلة نظراً لظروف الشعب الفلسطيني بعد انطلاقة ثورته، ومن أهم أناشيد الشعب الفلسطيني تتمثل معظم الأحيان بأناشيد الأفراح بالمدن والقرى واحتفالات الختان للأطفال [2].

(1) خليل حسونة. الأغنية والأغنية السياسية الفلسطينية. مرجع سابق. ص19-26.

(2) نمر سرحان. أرشيف الفلكلور الشعبي الفلسطيني. ج2ترجمة:محمود عوض. ط1 (عمان: بدون، 1985) ص8.

وكذلك الأناشيد والأشعار في منازل الفلاحين وخيام البدو وبالشوارع والمدن الكبرى وأخيراً أناشيد الفرح والحزن للمسلمين والمسيحيين كافة [1].

وسائل الموروث الثقافي الشعبي في عملية التنشئة الاجتماعية

1) الأغاني الشعبية والتنشئة

المعنى الواسع للثقافة هو كل ما ينتجه مجتمع ما من إنتاج مادي ومعنوي، أي أن كل منتجات الإنسان في حياته اليومية والعملية والترفيهية تمثل الثقافة لذلك المجتمع أو لتلك المجموعة الإنسانية والمعنى الآخر هو المعنى الضيق للثقافة ويعني ما ينتجه الإنسان من إنتاج مادي ومعنوي، كما تعني تأثر ذلك المجتمع أو تلك المجموعة الإنسانية بالنتاج المادي والمعنوي لغيرها وتأثرها منه ومدى النقل الكامل والاستيعاب والتمثيل.

فإن عملية الثقافة على اعتبار خاصية الاستمرار في الثقافة نابعة بالضرورة من أن الثقافة نتاج للتراث المتراكم تاريخياً أو بمعنى آخر " أنها نتاج للتراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة [2]، وتتمثل هذه الثقافة في مراحل الأولى بأغاني المهد والحكايات الشعبية والألعاب الشعبية، وتساهم الأغاني الشعبية في عملية التنشئة من خلال مراعاة مجموعة من الاعتبارات والمعايير التالية:- [3]

1) تتميز الأغاني الشعبية بالروح التلقائية فهي لم تنشأ نشأة إرادية ولكنها نشأت من خلال تفاعل البشر مع بعضهم البعض في نطاق اجتماعي معين، هذا التفاعل نجد تعبيره في العادات والتقاليد والأغاني ومن ثم يمكننا القول بأن الأغنية الشعبية تتصل بروح المجتمع أساساً وتعكس طبيعته.

---

(1) أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي:مدخل لدراسة المجتمع.ط7(الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998) ص186.

(2) أحمد أبو زيد.. مرجع سابق، ص190.

(3) سبيكة الخاطر. التنشئة الاجتماعية في أغاني الأم القطرية (قطر: دار الكتب القطرية , وزارة الإعلام، 1992) ص31.

2) أن الأغنية الشعبية عادة ما تعبر عن الحس الشعبي وليس عن عقلية أو أحاسيس الصفوة الاجتماعية ومن ثم تتميز الأغنية الشعبية بالبساطة ؛ لأن البسطاء من البشر في حياتهم هم الذين ابتكروا كلماتها وأبدعوا ألحانها، وبهذه الطبيعة نجد أن الأغنية الشعبية تعبر عن المجتمع في حالة بساطته واسترخاءه ولما كان الطفل يمثل الكائن البسيط الذي لم يدخل معترك وتعقيدات الحياة الاجتماعية بعد فإننا نجدها ذات تواصل وعقليته البسيطة وأحاسيسه وعواطفه وهو الأمر الذي يخلق اتصالاً بين الطفل وروح المجتمع من خلال الأغنية الشعبية.

3) أن الأغنية الشعبية عادة ما تستخدم اللحن الشعبي الذي يثير العواطف والمشاعر فهي لا تخاطب العقل، وإنما تتفاعل مع الحس العامي البسيط، من ثم نجد أنها الأكثر تأثيراً في عالم الطفل الذي قد تستند حركاته وتفاعله على أنغام أو تفاعلات هذه الأغنية، وأيضاً لأن الجوانب العاطفية والشاعرية هي الجوانب الأقوى في الطفل، ومن ثم تكون الأغنية الشعبية متصلة بروح الطفل وروح المجتمع.

4) من ناحية المعاني لا تتطلب الأغنية الشعبية ذات الطابع العاطفي تفكيراً في المعاني وإنما هي تدفع ببعض المعاني البسيطة إلى الطفل مستغلة بذلك الصور الخيالي والتصورات المتفائلة التي تشيع في النفس بهجة وسروراً، ومن ثم نجد أن الطفل يستوعب مضمونها أو يتواصل ذاتياً مع الأغنية، حتى من خلال اللحن لأنها الأكثر بساطة كطبيعته والأكثر عاطفية كذاته، هذا إلى جانب أنها من خلال الخيال الذي يحقق عالماً جديداً يعيش فيه الطفل.

1) أغاني الأطفال والتنشئة:

تعتبر أغاني الأطفال أقدم الأغاني الشعبية وأوسعها انتشاراً وهي تتشابه فيما بينها من حيث النغم والمضمون بين الثقافات في شتى بقاع العالم، وأثبتت بشكل واضح

العلاقة بين الثقافة الراقية " الرسمية والثقافة الشعبية " وهي من أغنى المصادر التـي تحفـظ لنا بقايا معتقدات وممارسات ومناسبات درست ولم يعد لها وجود في عالمنا الحاضر.

ومن أوجه الأهمية الكبيرة التي تحفزنا إلى ضرورة الاهتمام بتسـجيل أغـاني الأطفـال ودراستها وتحليلها:

أ. تتميز أغاني الأطفال الشعبية بوضوح ارتباطها الاجتماعي فهي تعبير حي واضح عـن المجتمع وهو ما يمكن أن نسميه تراثاً شعبياً بالمعنى الصحيح.

ب. كشفت الدراسات السابقة لأغاني الأطفال (العربية والأوروبية على السواء بوضوح شديد عن صفة الاستمرار عبر الزمن على نحو مـا يمكـن أن يمتـد عـبر مئـات أو آلاف السنين أحياناً، وهي تشبه في ذلك أغلـب عنـاصر الـتراث الشـعبي المتصـل بالطفل.

وتتميز أغاني الأطفال من الناحية الشكلية بأن الإيقاع هو الذي يلعـب الـدور الحاسـم فيها وهذا يفسر لنا طبيعة العلاقة الوثيقة بين أغاني الأطفال والألعـاب الشـعبية وكـذلك بـين أغاني الأطفال والرقص الشعبي، كما تتميز أغاني الأطفال بالقافية الواضحة التـي تسـتبدل بهـا أحياناً السجع أو الجناس [(1)].

وقسمت أغاني الأطفال من حيث المضمون إلى أربع فئات كبيرة هـي:

1) الأغاني التي تتردد في أثناء التعامل بين الطفل والكبار المحيطين به، مثل أغاني المهـد أغاني ملاعبة الطفل.

2) الأغاني التي تـردد مـن خـلال تعامـل الطفـل مـع البيئـة وخاصـة البيئـة الطبيعيـة المحيطة به،مثل أغاني المطر، أغاني الطفل للشمس والقمر.

---

(1) محمد الجوهري وآخرون. الطفل في التراث الشعبي: في كتاب الطفل والتنشئة الاجتماعية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989) ص64.

3) أغاني تنشأ نتيجة التفاعل بين الطفل والمجتمع المحيط بـه في مناسـبات مختلفـة " أغاني الختان الزواج، أغاني رمضان " [1].

الخلاصة:

التراث بمفهومـة العـام هـو محصـلة للتطـور التـاريخي لأي مجتمـع مـن المجتمعـات وبالذات المجتمع الفلسطيني على كافة الأصعدة سياسياً واجتماعياً وثقافياً ومعنويـاً ووطنيـاً، ويمثل الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني، وبدونـه يضـمحل ويتفكـك داخليـاً، وقـد ينـدمج ثقافياً في أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القويـة، كـما يمثـل الـدرع الـواقي للكيـان الثقافي الفلسطيني وحمايته من أخطار الغزو الفكري وصموده أمام التحديات المصيرية التـي يواجها، ومن الضروري أن نعتني بالتراث بروح المسئولية القومية وإحيـاء القـيم والمبـادئ مـا يجعل هذه الأمة تفخر بإبداعها الأدبي والفني والثقافي والتراث ليس خيراً كلـه وليس شراً كلـه ، كما أن التراث لـه علاقـة بمفـاهيم أخـرى كالتـراث الشـعبي الـذي يسـاهم بحفـظ الهويـة الوطنية الفلسطينية لان التراث الشعبي هـو اصـدق مـا يقـال لأنـه يخـرج عفويـاً ولا يعـرف صاحبه، كما أن التراث والفولكلور يتفقان في أنهما ينحدران من الماضي ولكن الفولكلور لازال يتطور، أو يعيش في المجتمع ويتفاعل معه، وهو ملتصق بالثقافـة الشـعبية التـي تنتقـل مـن جيل إلى آخر شفاهة كما أن الفولكلور يمتاز بفنيته وتعبيره عن الهوية الوطنية وهناك فروق بين التراث وكلاً من النص والتاريخ والأنثروبولوجيا.

وبوادر الاهتمام بالتراث في فلسطين بدأت بعد الحـرب العالميـة الأولى، كـما أن الـتراث الشعبي الفلسطيني وجد في الرحلات العربية، ولا تنفصل الثقافة الشـعبية الفلسـطينية عـن الثقافة الشعبية الكنعانية (بلاد الشام) بل ترتبط ارتباطاً خاصاً بهـا مـن هنـا تعـددت أنمـاط التراث الفلسطيني إلى أربعة أنواع:

---

(1) توفيق كنعان. الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين. منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية (رام اللـه: دار النشر الفلسطيني، 1998) ص25.

1- التراث الفكري أو الذهني يتمثل في العادات والتقاليد (الولادة والأعراس والموت) والمواسم والأعياد ووسائل التسلية أو الترويح عن النفس كالألعاب الشعبية.

2- التراث المادي يضم كل الثقافة التي ترى بالعين ومنها المواقع التاريخية والأثرية ويضم الأسوار والقلاع والحصون، ويضم المساجد والكنائس وقبور القديسين والأولياء والصالحين، ويضم كذلك أنماط البناء وهندسته وفنه وتخطيطه، و" القصبة " والسوق والخان والبئر و"السبيل " والحي و" الحوش " والمنزل وأعمدته وقناطره ونوافذه ، وهو وصف لأشكال وأحجام الأدوات التي يستعملها الشعب في حياته اليومية (أدوات الطعام والشراب وأدوات الحرف والمهن وغيرها، وأشكال وهندسة القرى والبيوت (المنشآت العمرانية من مسكن ومنشآت عامة) ، ويضم أيضاً الأزياء الشعبية كالكوفية والعقال والقمباز والسروال، ووسائل الزينة من كحل وحنا... والمطبخ الشعبي التقليدي وأدواته، والفنون التشكيلية، ويضم الحرف والصناعة التقليدية التي تعتمد على المواد الخام المحلية.

3- التراث الفني: ويشمل الغناء والموسيقى، والعزف، والألحان، والآلات الموسيقية والدبكات والرقصات، والأهازيج والتهاليل، وأغاني الأفراح وأغاني العمل وأغاني المناسبات الدينية بالإضافة إلى الزجل والشعر العامي الذاتي وغيرها.

4- التراث اللفظي:وهو ما يتعلق بالألفاظ التي ورثناها عن أجدادنا واللهجات العامية التي نستخدمها والأمثال والحكايات والحزازير الشعبية التي نرددها في حياتنا اليومية.

الفصل الخامس

دور التليفزيون في الحفاظ على التراث

" رؤية مستقبلية للتليفزيون الفلسطيني "

الفصل الخامس

دور التليفزيون في الحفاظ على التراث

" رؤية مستقبلية للتليفزيون الفلسطيني "

تمهيد

تعتبر وسائل الإعلام المرئية المسموعة من أكثر الوسائل الإعلامية الجماهيرية تأثيراً على الجمهور بما تنفرد به من قدرة فائقة على جذب الانتباه والتأثير والإقناع خلال توصيل الرسالة الإعلامية ومخاطبة ذهن وعقل المشاهد وعواطفه.

ويعد التليفزيون من أهم الوسائل الإعلامية الجماهيرية باعتباره يمثل الوسيلة المفضلة والمحببة والأكثر مشاهدة بالمقارنة مع وسائل الإعلام الأخرى، لما يتميز به من الإلمام بمفردات لغة الصوت والصورة والحركة والألوان والإضاءة والمؤثرات الصوتية والخدمات الإنتاجية المختلفة من ديكور وأثاث وملابس ومكياج ووسائل إيضاح.

ونظراً للتطور والتقدم المتلاحق في مجال الإعلام بشكل عام والإعلام التليفزيوني الفضائي بشكل خاص، ورغم التأخر الفلسطيني القصري- بسبب منع الإحتلال الإسرائيلي -في مواكبة النمو المتسارع في إمتلاك وإنشاء قنوات تليفزيونية فضائية، أنشأت السلطة الوطنية الفلسطينية نافذة إعلامية مرئية تحت إسم " تليفزيون فلسطين " عام 1994.

ويعد تليفزيون فلسطين الوسيلة الإعلامية المرئية الأولى التي أنشأت على أرض فلسطين وانطلقت عبر الأثير لتغطي كافة المناطق التي تخضع للسلطة الوطنية الفلسطينية (غزة وبعض أجزاء من الضفة الغربية) ومن ثم مناطق الأراضي المحتلة عام 1948 داخل الخط الأخضر بما فيها القدس.

وانطلقت قناة فلسطين الفضائية عام 1999 ببث إشارتها على القمر المصري (نايل سات) لتشكل إنطلاقة إعلامية حرة تلبي حاجة الفلسطينيين الماسة إلى إعلام مرئي فضائي يخترق الحدود والحصار المفروض، ويجسد لم الشمل الفلسطيني لربط اللاجئين

بوطنهم الأم التي هُجروا منها، وتعزيز التواصل والترابط الإجتماعي والحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية.

وتساهم قناة فلسطين الفضائية في رسم الصورة الحضارية للشعب الفلسطيني لدى الرأي العام العالمي من خلال التركيز على القضية الفلسطينية بكل مكوناتها، بالإضافة إلى محاولة توضيح وكشف المخططات الإسرائيلية المتواصلة التي تهدف لطمس الوجود الفلسطيني على الأرض.

ورغم أن هناك قصور واضح في الكثير من الجوانب سواء المهنية أو الإدارية في تليفزيون فلسطين كشفت عنها العديد من الدراسات الإعلامية العلمية، يمكن بجهود المخلصين محاولة التخفيف والحد منها والعمل على تطوير وتحسين الأداء إلى الأفضل بما يخدم الأهداف والمصلحة العليا.

وتعتبر هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطيني من المؤسسات الهامة التي تم تأسيسها في عهد السلطة الوطنية الفلسطينية لتمثل السيادة الفلسطينية، ونظراً لأدراك مدي أهميتها تم إنشائها ضمن مبنى مقر الرئيس الراحل ياسر عرفات (منتدى الرئيس) في موقع استراتيجي على شاطئ بحر غزة.

وحاول الإحتلال الإسرائيلي منذ إنشائها بوضع المعيقات أمام الخطط والبرامج التي تسعى لتحقيقها من خلال تأخير وعرقلة ومنع دخول الاجهزة التقنية والمعدات اللازمة التي تحتاجها الإدارات والدوائر المختلفة في هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطيني، ومن ثم قصف المقرات وأبراج الإرسال التابعة لها ومنع الطواقم الصحفية من الدخول لمناطق الأحداث وإطلاق النار على العاملين من مراسلين ومصورين يقومون بتغطية المستجدات والتطورات على الساحة الفلسطينية.

ولهيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني سياسات خاصة في برامجها والمواد الإعلامية التي تعرضها وتقدمها للجمهور وفقاً للأحداث والمواقف السياسية التي تتخذها السلطة الفلسطينية في تعاملها مع الاحتلال الإسرائيلي حسب حالة التصعيد والتهدئة في المقاومة، ومدى التقدم والجمود في عملية السلام.

ونلاحظ في ظل الانقسام الفلسطيني الأخير بين فتح وحماس أن فضائيتي (فلسطين والأقصى) أتجهتا إلى التراشق الإعلامي فيما بينهما، مما انعكس سلباً على الأهداف السامية والمصلحة العليا للشعب الفلسطيني بخدمة القضية في تعزيز الصمود والوحدة بدلاً من الإختلاف والصدام الذي يساعد الإحتلال الإسرائيلي في الاستفراد والمضي قدماً لتنفيذ ما تبقى من خطط وسياسات تهدف لفرض الأمر الواقع على الأخوة المتخاصمين.

ولذلك يتطلب من جميع المؤسسات الإعلامية الفلسطينية ومن خلفها العربية إلى بث روح الوفاق والوحدة والمساهمة في لم شمل شطرى النزاع (غزة والضفة الغربية) من خلال تعزيز الدعوات إلى التوافق باستضافة الشخصيات الأكثر إعتدالاً في توجهاتها وآراءها نحو الوحدة واستبعاد المتعصبين من الطرفين، وبث الاخبار والبرامج والخطابات وانتقاء المصطلحات والألفاظ التي تدعو إلى التأخي والتراحم وتعزيز الصمود والتحدي لمواجهة الإحتلال باعتباره العدو الاساسي والابتعاد عن نشر الإدعاءات والافتراءات والاكاذيب التي ترسخ الانقسام، لمجرد إنتماء المؤسسة الإعلامية أو تعصب العاملين في مجال الإعلام لتنظيم أو حركة أو حزب أو التعاطف مع طرف وتبني وجهة نظر على حساب الأخرى.

أهمية التراث الفلسطيني في خدمة القضية الفلسطينية

لا شك أن أهمية التراث الفلسطيني تنبع من كونه يخدم القضية الفلسطينية ويحافظ على جذور الهوية العربية والإسلامية والأمتداد التاريخي والجغرافي والديني واللغوي والفكري... وربط المواطنين الفلسطينيين في الداخل من مختلف محافظات الوطن بالمهاجرين واللاجئين بالخارج لتحقيق التواصل الاجتماعي والفكري والنضالي بين أبناء الشعب الفلسطيني، وزيادة إدراكه لما يحيط ويناط ويحاك ضده من قوى الاستعمار الإسرائيلية المحتلة التي تحاول طمس معالم الحضارة الفلسطينية العربية الإسلامية في الأراضي المحتلة عبر منع أي محاولة لنشر وبث التراث الفلسطيني ومحاولة العمل على محق

وتدمير كل ما له علاقة بالثقافة الفلسطينية ضمن برنامج صهيوني كامل لاقتلاع الشعب الفلسطيني من جذوره سياسياً وثقافياً وجغرافياً وديموغرافياً، مما يتطلب زيادة البرامج الثقافية التراثية التي تركز وتجسد حقوق الشعب الفلسطيني وثباته منذ آلاف السنين في أرضه.

وتبرز هنا أهمية القضية الفلسطينية وما تشكله من استقطاب الدول العربية والإسلامية للاستفادة من التراث الفلسطيني في تأكيد هوية الأرض للعرب والمسلمين ودحض كافة الأكاذيب والافتراءات التي تنسب هذا التراث والأرض إلى المحتل الإسرائيلي باستخدام كافة الوسائل في مقدمتها التليفزيون بما يتمتع به من مميزات الجمع بين مفردات الصورة والصوت،

وهذا يدعو إلى بذل وتكثيف الجهود للوصول إلى الجمهور الفلسطيني والعربي في الداخل والخارج للمياهمة في تأكيد حق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه عبر إثبات الحقوق الفلسطينية وتشبث الشعب الفلسطيني على أرضة منذ آلاف السنين من خلال ثقافته وتراثه المتوارث عبر الأجيال مما ينعكس إيجابياً لخدمة القضية الفلسطينية وكسب الرأي العام العالمي.

مما يتتطلب زيادة البرامج والمواد التراثية الإعلامية التي تتناول تراث وتاريخ الشعب الفلسطيني الذي تميز بالحضارة والقدرة على التعايش مع كل مقومات الصمود والتحدي، وأصبح له طابع خاص جسد الحياة بكل مكوناتها البيئية والاجتماعية والفكرية والتاريخية والنضال والمقاومة الأصيلة التي اكتسبها من جذور الأمة العربية والإسلامية التي تتمتع بتراث عريق شهد له العالم على مدار التاريخ.

أهمية التليفزيون في الحفاظ على التراث

يمكن للتلفزيون أن يعمل على ترسيخ الهوية الثقافية الفلسطينية من خلال عرض وتقديم كافة أنواع التراث الفلسطيني خلال برامجه وفقراته بالطرق والأساليب التي تجعل المشاهد يتشوق إلى متابعتها لتعزيز الذاكرة لديه بحفظ ما يؤكد حقوقه وثوابته وجذوره في الأرض التي سلبت منه والتمسك بها ونقلها إلى الأجيال القادمة ليكون هناك تواصلا ثقافيا تراثيا يعكس جذور الشعب في هذه الأرض المباركة.

ونشير إلى أنه ومع بداية انتفاضة الأقصى الثانية في29 سبتمبر عام 2000 تم توحيد البث بين قناة فلسطين الفضائية وقناة فلسطين الأرضية، وفي بداية عام 2006 تم دمج التليفزيون الفلسطيني والفضائية الفلسطينية ضمن هيئة واحدة تحت مسمى هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطيني، ويرجع ذلك إلى قلة الإمكانيات المادية عدم وجود ميزانية مالية كافية مخصصة لتلفزيون فلسطين ولقناة فلسطين الفضائية.

والتليفزيون كوسيلة إعلامية (وفقاً للدراسة) يعد من أكثر المصادر لمعرفة التراث لدى الجمهور الفلسطيني، مما يؤكد أهمية التليفزيون في التعريف بالتراث باعتباره الوسيلة الأكثر انتشاراً وتأثيراً وقدرة على الإقناع باستخدام كافة عناصر مفردات لغة الصورة المرئية ونقاء الصوت وإثارة الحركة وجاذبية الألوان، مما يتطلب إعداد برامج تراثية تتناسب مع خصائص ومميزات التليفزيون بكل مكوناته التي يختلف في الكثير منها مع الوسائل الأخرى، بالأضافة إلى أن الكتب تأتي في المرتبة الثانية كمصدر لمعرفة التراث بعد التليفزيون، مما يستدعي من مؤلفي الكتب إعطاء التراث أهمية وأولوية في كتاباتهم بما يستحقه من ذكر وتوضيح وشرح وتفسير.

وتعد نسبة المواد التراثية المقدمة في التليفزيون الفلسطيني ضئيلة جداً رغم أهمية المواد التراثية في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية إذا ما قورنت بالمواد الأخرى، مما يدل على عدم اهتمام التليفزيون بالمواد التراثية ومعظمها تأتي كفقرات زمنية ما بين البرامج والعمل على توعية الجمهور بالهوية الثقافية الفلسطينية من خلال برامج التراث

التي تعرض الجوانب المستنيرة للحياة في الماضي واكتساب المعرفة في الاهتداء لسير الحياة في الحاضر ورسم الحياة للمستقبل من خلال الاستفادة من التجارب السابقة، ما يتطلب من القائمين على التلفزيون الفلسطيني لإعادة النظر في الخريطة البرامجية بشكل عام باعتباره التليفزيون الحكومي الرسمي والذي أصبح يبث على المستوى الفضائي مع بداية انتفاضة الأقصى الثانية في سبتمبر من عام 2000.

متطلبات النهوض بوسائل الإعلام للحفاظ على التراث

1- معرفة مدى ما توليه وسائل الإعلام العربية والإسلامية من أهمية في التمسك والحفاظ ونشر وتقديم التراث العربي والإسلامي، والتعرف على كيفية توظيف المواد التراثية في خدمة وتدعيم الهوية والقضايا العربية والإسلامية.

2- الاهتمام من قبل الباحثين والمتخصصين في مجال الإعلام والتراث بتحليل ما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة من مواد تراثية وتحديد الموضوعات التي يقدمها، ورصد أنواع التراث وأشكاله التي تركز وسائل الإعلام على عرضها وتقديمها.

3- ضرورة إدراك القائمين على الوسائل الإعلامية لأهمية الإنتاج والتوثيق للمادة الإعلامية الخاصة بالتراث بما يخدم القضايا العربية والإسلامية .

4- الأخذ بعين الإعتبار أراء الصفوة الثقافية العربية والإسلامية فيما تقدمه الوسائل الإعلامية المختلفة حول التراث وتقيمهم لهذه المواد من الباحثين في السياسة والتاريخ والجغرافيا والآثار والأدباء والكتاب والمفكرين باعتبارهم قادة الرأي والفكر بالمجتمع.

5- معرفة الموضوعات التي تعرضها البرامج والفقرات التي تتناول التراث في وسائل الإعلام.

6- دراسة المجالات التي تتناولها المادة التراثية الفلسطينية المقدمة من قبل وسائل الإعلام.

7- التأكد من مراجع ومنابع ومصادر المادة التراثية التي تقدمها وسائل الإعلام.

7- تحديد الفئات المستهدفة من عرض المادة التراثية في وسائل الإعلام.

8- التعرف على المساحة التي تفردها وسائل الإعلام لتناول التراث ووقت العـرض والتقـديم والنشر

9- اتباع أساليب وطرق المعالجة التحريرية والفنيـة السـليمة والحديثـة في عـرض وتقـديم المواد التراثية عبر وسائل الإعلام.

10 – استخدام اللغة المناسبة والمفهومة والمألوفة لدى الجمهور خلال عرض وتقديم المـادة التراثية.

خطة عملية لكيفية قيام التليفزيون الفلسطيني بالحفاظ على التراث

يمكن لمختلف القنوات التليفزيونية الأستفادة من هـذه الخطـة وفقـاً لطبيعـة الـتراث والثقافة والفكر والعادات والتقاليد للدولة التي تعنى بالحفاظ على موروثها الثقافي من خلال وسائل إعلامها وخاصة القنوات التليفزيونية

الاهتمام بجميع أنواع التراث المادي والفكري واللفظي والفني

أ- التراث المادي

تتميز فلسطين بوجود الكثير من الأماكن المقدسة مثل المساجد كالمسجد الأقصى وقبـة الصخرة المشرفـة بالقـدس بمسـاحته الكليـة (144دونـم) وكنيسـة المهـد ببيـت لحـم والحـرم الإبراهيمي بالخليل وغيرهـا بمـا يمثلـه مـن مكانـه دينيـة وتاريخيـة لـدى المسـلمين والمنـازل السكنية الأثرية التي بنيت منذ مئات السنين ولا تزال موجودة حتى الآن وخاصـة في الأراضي المحتلة عام 1948، التي تؤكد جذور الشعب الفلسطيني المرتبطة بالأرض المقدسة منذ القدم وتشكل حياة الفلسطينيين المكتسبة من حضارة الأمة العربية والإسلامية.

وكذلك وجود أدوات حرف ومهن وأدوات الطعام والشراب والصناعات التقليديـة التي تعتمد على الطين كالفخار والخزف التي كان يعتمد عليها المـواطن الفلسـطيني في تلبيـة حياتـه المعيشـية يمكـن مـن خـلال إعـداد الـبرامج المختلفـة والفقـرات المميـزة

تناول هذه الأماكن والأدوات والتركيز على أهميتها سواء الدينية أوالتاريخيـة أو الحضـارية أو الثقافية وتوضيح وكشف زيف الاحتلال الاسرائيلي في انتساب مثل هذه الأماكن والأدوات لـه من خلال التقارير الميدانية المصورة واجراء المقابلات مع المتخصص والإعتماد عـلى آيـات مـن الذكر الحكيم والأحاديث النبوية والأدلة والبراهين والحقائق من خلال الوثائق والمخطوطـات والاستعانة بالأرشيف الكتابي والمصور وإجراء اللقـاءات والمقـابلات مـع الخـبراء والمتخصصـين وكبار السن الذين لهم المعرفة والمعلومات الكاملة عن مجالات التراث المختلفة.

ونظراً لأهميته أصبح الـتراث المـادي المعـماري يـدرس ضـمن كليـات الهندسـة بقسـم الهندسة المعمارية وكليات الآثـار مـما يؤكـد أهميتـه الحضـارية، ولكـن لا يعنـي ذلـك عـدم الاهتمام والتركيز على أنواع التراث الأخرى والتي لا تقل أهميـة عـن الـتراث المـادي، كـالتراث الفكري (العادات والتقاليد، والشعر والنثر، المواسم والأعياد والمجال العلمـي، والمجـال الأدبي، والألعاب والتسـلية) والـتراث اللفظـي (كالأمثـال الشـعبية والحكايـات الشـعبية، والحزازيـر والنكت) والتراث الفني (كالغناء والموسيقى، والدبكة، والرقص الشعبي، والزجل والأهازيج).

يشير الجدول السابق إلى أن التليفزيون الفلسـطيني عـرض الـتراث المـادي المتمثـل في الأماكن المقدسة يليها الصناعات التقليدية، ثم المنازل السكنية، يليها أدوات الحـرف والمهـن، ثم أدوات الطعام والشراب، يليها الأسوار والقلاع، ثم الفنون التشكيلية وأخيراً وسائل الزينة.

ب- التراث الفكري

من المعـروف أن الشـعب الفلسـطيني عاداتـه وتقاليـده مـن الشـعوب العربيـة والإسلامية التي تحكم الكثير من العلاقات الاجتماعية والترابط الأسري والأحكام والكثـير من القضايا داخل المجتمع والأسرة الفلسطينية منذ القدم، نظـراً لكونـه لا توجـد دولـة مستقلة، وبالتي فإن العادات والتقاليد والعرف هـي التـي تـتحكم في طبيعـة المجتمـع وتنظيم شئونه لغاية الأن، كذلك الشعر والنـثر وهـذا سـاهم فيـه الكثـير مـن الشـعراء

الفلسطينيين كسميح القاسم ومحمود درويش وإبراهيم طوقان والذين سخروا الشعر لصالح النضال الفلسطيني، وكما ويزداد تقديم التراث الفكري فيما يتعلق بالمواسم والأعياد والتي تفرد لها فترة قبل وخلال المواسم والأعياد لما تمثله من تراث توراته الأبناء عن الآباء والأجداد سواء كانت دينية أم عرفية.

ج- التراث اللفظي

للأمثال الشعبية اهمية خاصة في حياة الشعوب وخاصة الشعب الفلسطيني الذي احتفظ بالكثير من الأمثال في ذاكرته حتى أن الاحتلال والمأساة التي عانى منها لم تزيده إلا إصراراً على الاحتفاظ بالأمثال وخاصة فيما يتعلق بالأرض والمدن والمساكن وغيرها التي تمثل عن تعبير صادق للمواقف والأحداث والعلاقات الاجتماعية في كلمات بسيطة وسهلة تساهم في توضيح آليات التعامل مع الآخرين بتجسد الطريق لكيفية التصرف واتخاذ السلوك المناسب.

د- التراث الفني:

الرقص الشعبي وما تتضمنه من دبكة شعبية تشتهر بها فلسطين والعديد من الفلسطينيين يمارستها في الكثير من المناسبات وخاصة في الأفراح والمناسبات السعيدة وبالطبع يمكن أن يعرضها خلال المهرجانات وعروض الفرق المختلفة باعتبارها تمثل الهوية الفلسطينية منذ القدم وبلباس الزي والثوب الفلسطيني خلال الممارسة.

2- مصادر المادة التراثية التي يمكن الإعتماد عليها:

أ- واقع الحياة:

نلاحظ أن واقع الحياة في فلسطين يزخر بالتراث الفلسطيني باعتباره على علاقة ترابط انسجام مع الأرض والإنسان، خاصة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة والمنازل السكنية والأدوات والحرف التقليدية، بالتالي فطبيعي أن يكون احد أهم مصدر المادة التراثية وخاصة المصورة من الواقع.

ب-   المهرجانات المحلية والدولية:

المهرجانات المحلية والدولية التي تنظمها الجهات المحلية والدولية وتشارك بها فرق الفنون الشعبية كفرق الدبكة الشعبية، وتقدم عروضاً وفنون شعبية من غناء ورقص شعبي.

ج-   المعارض المحلية والدولية:

تعد المعارض المحلية والاقليمية من أهم المصادر التي يمكن الإعتماد عليها من قبل وسائل الإعلام عموماً والتليفزيون خصوصاً لما تتمتع به من محتويات لمختلف الأشكال والأدوات الحرفية واليدوية التقليدية التي يمكن اعداد التقارير التليفزيونية المميزة التي تعزز الثقافة والتراث الفلسطيني العربي الإسلامي.

د- مراكز الفنون والتراث:

تسهم مراكز الفنون والتراث الشعبي في الحفاظ على التراث من خلال ما تمتلكه من معلومات ذات توثيق سليم بالإضافة إلى تدريب الفرق والجماعات التي تحمل طرق واساليب وعادات وتقاليد فلسطينية مستمدة من التراث الفلسطيني.

هـ- كتب التراث والمراجع:

يزخر التراث الفلسطيني المستمد من التراث العربي الإسلامي بالعديد من الكتب والمراجع والمخطوطات التي تؤرخ وتوثق لأنواع التراث المختلفة ومراحل تطورها منذ القدم لتأكيد مدى ارتباط الانسان الفلسطيني بجذور الأمة العربية والإسلامية التي يمكن للمتخصصين والباحثين الإعلامين الإطلاع عليها والاستفادة من مضمونها خلال الأعمال الإدرامية أو البرامج والتقارير التليفزيونية.

و- المراجع الاجتماعية والتاريخية المعاصرة (شهود العيان):

تمتلك الشخصيات ذات العمر الطويل (مشايخ، مخاتير، وجهاء، أعيان، افراد عاديين) الذين اكتسبوا خبرة عالية على مدى حياتهم وعاصروا أجيال سابقة وتعرفو على عادات وتقاليد المجتمع الفلسطيني بمختلف المناطق وحكموا بالعرف بين الناس والحل ما بين الجماعات المتنازعة يمكن من خلال اجراء حوارات ولقاءات مستمرة مع

هؤلاء يشكل توثيق مرئي مسموع لمعلومات مهمة تستفيد منها الأجيال اللاحقة ليتعرفوا على حياة آبائهم وأجدادهم.

بالإضافة إلى تقديم أعضاء فرق الفنون الشعبية والممثلين والفنانين الشعبيين وأهل المادة الشعبية والمتخصصين الأكاديميين في مجال الثقافة والتراث.

ز- المتاحف وقرى الفنون والحرف:

تتمتع المتاحف وقرى الفنون والحرف بميزة الثبات الاستقرار في مواعيد ومكان العرض لمختلف أنواع التراث الفلسطيني وتقام وتصمم على أساس تبقى وتستمر المعروضات في أمكنها وعدم تنقالها بين الحين والأخر مما يسبب التلف والكسر والفقدان للكثير منها وتفقد رونقها وحيوتها وخاصة إذا كانت من الأدوات القديمة التي تتأثر بعوامل الزمن والتهوية ما يتطلب تخصيص اجنحة لكل مجال من مجالات التراث مع افتتاحها للجمهور والزوار للاطلاع عليها مع التركيز عليها من قبل وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون الذي ينقل الصورة والحركة والألون والمؤثرات المرئية وما يتمتع به من امكانيات تقنية وفنية تساهم في التأثير على المشاهد لإدراك مدى أهمية هذه الأعمال أو الأدوات اليدوية والحرفية وما تجسدة من الحفاظ على التراث الفلسطيني.

أماكن نشأة المادة التراثية

أ- مدينة القدس

يجب التركيز على مدينة القدس أكثر من غيرها من المناطق نظرا لمكانة القدس والمسجد الأقصى من الناحية الدينية والتاريخية باعتبارها منارة ومنبع التراث العربي الفلسطيني، فالملاحظة من خلال المتابعة على الصور والتي يبدو عليها قديمة جداً ورديئة وهذا يعود على الاحتلال من جهة الذي يفرض قيود وحصار على المدينة المقدسة وكذلك على العاملين في التليفزيون الذين يجب عليهم أن يستخدموا كافة الطرق البديلة للحصول على المادة التراثية بالصوت والصورة من خلال إيجاد مراسلين ومصورين يقوموا بتزويد التليفزيون بكل ما هو جديد وحديث عن المدينة المقدسة وإنتاجها بأفضل

الوسائل والامكانات التكنولوجية الحديثة، ولا يمنع ذلك من الاعتماد على أهل بيت المقدس في ذلك.

ويمكن انتاج مواد إعلامية تراثية خاصة بمدينة القدس وما يرافقها من عرض لصور المسجد الأقصى ووقوعه تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي، وما رافق ذلك من انتفاضة يسعى التلفزيون من خلالها على تأكيد قدسية المدينة من القوالب والاشكال التلفزيونية المحببة للجماهير، بالإضافة إلى توفير الدعم المالي والانتاجي من خلال مساهمات الدول والمؤسسات والأفراد في الدول العربية.

ب- الأراضي المحتلة عام 1948:

وجود العديد من المساجد والأماكن والمساكن التراثية في مدن فلسطين المحتلة عام 1948 والتي لا تزال قائمة لغاية الآن كما هول الحال في حيفا ويافا وعكا يمكن استثمارها من ناحية في ترسيخ الهوية الثقافية الفلسطينية وتواجد الفلسطينيين في هذه الأرض من قبل تواجد الكيان الإسرائيليعليها مع الاعتماد على الوثائق والمراجع التي تؤكد التصاقها بالفلسطينيين وتنقيحها واعادة صياغتها في قوالب واشكال تلفزيونية مميزة تقدم بسهولة ويسر للمشاهد

ويمكن التغلب على مشكلة الحصول على الصور من خلال الاستعانة بالفلسطينيين المتواجدين في الأراضي المحتلة عام 48 أو مصورين مستقلين مهنيين والقيام باسقاط الصوت والمونتاج داخل الاستوديوهات الفلسطينية أو العربي.

ج- الضفة الغربية وقطاع غزة:

تميز الضفة الغربية وقطاع غزة بكثرة المدن والقرى التي تعتمد على العادات والتقاليد في تيسير شؤون حياتهم الاجتماعية وعلاقاتهم الأسرية، ونلاحظ بأن منشأ المادة التراثية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة بنسبة لا بأس بها، ولعل ذلك يعود للحرية الإعلامية التي تتمتع بها المنطقتان وكذلك التمويل المالي لعملية الإعداد والتصوير والمونتاج ولكن لا يعني ذلك عدم التطوير والاهتمام بالمجالات الأخرى من التراث.

د- مخيمات اللاجئين بالخارج:

تشكل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية مخزون استراتيجي للتراث الفلسطيني تحمل الموروث الثقافي والفكري والعادات والتقاليد والحياة الفلسطينية بمختلف مكوناتها منذ الهجرة وتحتفظ بها العائلات والأفراد وتنقلها للأجيال القادمة رغم ما يعانيه اللاجئين الفلسطينيين في المهجر من الفقر والبطالة وحرمان.

الأساليب المتبعة في تصوير وإخراج المادة التراثية

يمكن للتليفزيون أتباع أسلوب تسجيل المادة التراثية من الأستوديو خلال عملية الإنتاج التراثي وعرض بعض الأدوات الحرفية كالفخار والخزف، أو تسجيل المادة من أماكنها، مما يتطلب المزيد من التصوير خارج الأستوديو خاصة أن التراث يعتمد على الطبيعة والأماكن التي ينبع منها التراث ويتواجد فيها مما يضفي الواقعية بشكل أفضل لتأثيرها المباشر على المشاهدين.

يستطيع المصورين الوصول إلى الأماكن الطبيعيةوالتي يصعب الذهاب إليها بسبب صعوبة التنقل بين محافظات الوطن وخاصة ما بين محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس والأراضي المحتلة عام 1948 فيلجأ القائمين على التلفزيون بالاعتماد على الديكورات والخرائط ضمن مساحة الأستوديو المتاحة، بالإضافة إلى استخدام المؤثرات الصوتية الطبيعية خلال المعالجة الفنية لمادة التراث والموسيقى كمؤثر صوتي والمؤثرات الصناعية مما يؤكد على أهمية المؤثرات الصوتية الطبيعية في إعطاء دلالات ومعاني مرافقة للمناظر والمشاهد واللقطات الخاصة بالتراث بأنواعه المختلفة وهي لغة لا تقل أهمية عن لغة الكلمة والصورة.

أشكال المادة التراثية التي يمكن تقديمها:

مثل البرامج كاملة: أن تخصص برامج كاملة لتناول وطرح قضايا تراثية ثقافية تعكس الواقع والهوية الفلسطينية على أن لا يقل عن ساعة مع التأكيد على أهمية جذب انتباه المواطن ليتابع فقرات البرنامج منذ لحظة التقديم الأولى مع تناول مدى ما يتعرض

له التراث الفلسطيني من تهويد ونهب والصاقه إلى الإسرائيليين وخاصة في الأماكن المقدسة كالقدس.

بالإضافة إلى إعداد فقرات ضمن برامج أخرى واجراء حوارات ولقاءات وأحاديث وندوات ومناقشات مع المتخصصين من باحثين ورواة من كبار السن وإعداد وتقديم أفلام تسجيلية تتناول الواقع التراثي الفلسطيني وأوبريتات شعبية أو ضمن المجلة التليفزيونية وانتاج مواد إعلامية محببة للإطفال تتناسب مع مستواهم الفكري والنفسي كالعرائس والرسوم المتحركة خاصة وان نسبة كبيرة من هذه المواد تأتي من الغرب وما تحمله من أفكار وأنماط سلوكية وثقافية تختلف عن الثقافة العربية والإسلامية في حين تهمل القنوات الفضائية العربية انتاج مثل هذه الأشكال خلال عرضه للمواد التراثية باعتبار أنها مكلفة جداً رغم انها تنفق المبالغ الطائلة على الدراما والبرامج الترفيهية على حساب الدراما الهادفة التي تتناول التراث والثقافة العربية والإسلامية.

أساليب تقديم المادة التراثية:

في الغالب يفضل أسلوب التصوير الميداني من الواقع لتقديم البرامج والفقرات التراثية، كالأفلام التسجيلية الوثائقية، وأسلوب تقديم المواد الدرامية (مسلسلات وتمثيليات وأفلام) أسلوب الحوارات والمقابلات للشخصيات، أسلوب الأغاني والموسيقى، أسلوب تقديم المعلومات مباشرة عبر مقدم البرنامج، وأسلوب السؤال والجواب.

من الطبيعي أن التصوير الميداني من الواقع من أفضل الأساليب الأكثر جاذبية، وخاصة عندما يتناول التراث بما يجسده من جمال وطبيعة خلابة وأماكن مقدسة ومساكن ومساجد أثرية وصناعات تقليدية لا يمكن تصويرها إلى من خلال الواقع الذي يتسم بالبعد الحقيقي الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض وهذا ما يرغب به المشاهدون بالإضافة إلى الأفلام الوثائقية التسجيلية التي تعتمد أيضاً على الواقع في تصويرها وإعدادها.

الرسوم التوضيحية والأشكال البيانبة والخرائط للمواد التراثية:

يمكن استخدم الصور للأماكن المقدسة والتراثية والتاريخية القديمة والجديدة وكذلك الرسوم التوضيحية للمادة التراثية والخرائط للمدن وازيائها وأدواتها ونسبة التراث بها وأنواعه، وقد حيث هناك الكثير من الصور التي تتناول التراث تم التقاطها في فترات زمنية قديمة يستطيع التليفزيون من الأستفادة منها واستثمارها من خلال تقديمها في المواد التراثية المختلفة.

وقت عرض المادة التراثية:

يلاحظ أن التليفزيون الفلسطيني ركز على فترتي الظهيرة والصباح في تقديم المادة التراثية وتجاهل أهمية عرض المادة التراثية في فترتي ذروة المشاهدة وهي المساء والسهرة مما يؤخذ على التليفزيون ذلك ويتعارض مع رغبة المشاهدين في الدراسة الميدانية إذ أن المبحوثين يفضلون مشاهدة المواد التراثية في التليفزيون في فترة المساء حيث بلغت نسبتهم 72.5%، الصباحية والسهرة الممتدة، ولعل ذلك يعود لوقت الفراغ المناسب في الفترة المسائية ووقت الراحة والاسترخاء أمام شاشات التلفاز وليس كما يعرض التلفزيون المواد التراثية في فترة الصباح والظهيرة والتي يكون المشاهدون خلالها مشغولون بأعمالهم وهذا بالطبع ما تؤكد عليه معظم نتائج الدراسات بأن أفضل توقيت لمشاهدة التلفزيون لدى الجمهور التي يكون فيها وقت الفراغ بعد العمل والجهد في فترة الصباح، ومنها دراسة أيمن ابو زيد (2006) التي تشير إلى أن 79.5% من المبحوثين يشاهدون القنوات الفضائية خلال فترة المساء[1] .

(1)أيمن أبو زيد "اعتماد المشاهد المصري على القنوات الفضائية خلال الأزمات " رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، 2006).

الأهتمام بالجوانب الفنية للمواد التراثية المقدمة

يجب الإهتمام بالديكور والإضاءة والإخراج وفنون الجرافيك التصوير والصوت في البرامج التراثية رغم أهمية هذه العناصر في إخراج شكل البرنامج بصورة تجعل المشاهد ينجذب لمتابعتها.

أيام البث المفضلة للمادة التراثية:

أيام الإجازة التي تتراوح حسب المؤسسة التي يعمل بها الجمهور ما بين الخميس والجمعة والسبت التي يكون فيها الجمهور متفرغ لمشاهدة التلفزيون، وتخف حدة الأعمال والنشاطات والفعاليات الثقافية والسياسة والندوات التي تشغلهم عن المشاهدة.

الموسيقى والمؤثرات الصوتية:

الأهتمام بالمؤثرات الصوتية الطبيعية خلال المعالجة الفنية لمادة التراث التي يقدمها التلفزيون التليفزيون والمؤثرات الصناعية والموسيقى لإعطاء دلالات ومعاني مرافقة للمناظر والمشاهد واللقطات الخاصة بالتراث بأنواعه المختلفة وهي لغة لا تقل أهمية عن لغة الكلمة والصورة.

نشأة التلفزيون الفلسطيني وتطوره

نشأة التليفزيون الفلسطيني

التلفزيون الفلسطيني مؤسسة وطنية تشكل جزءاً أساسياً وهاماً في البيئة الوطنية العامة للمجتمع الفلسطيني على طريق تلبية حقوقه الأساسية في التحرر والاستقلال وقيام دولته المستقلة على أرض الوطن، وقد ورد مشروعية إقامته بقرار يحمل رقم (4596) صادر بتاريخ 1993/7/6 عن الرئيس الراحل ياسر عرفات، كما وردت مشروعية الحق الفلسطيني في امتلاك محطتي بث إذاعي وتلفزيوني في إحدى بنود اتفاقية

إعلان المبادئ الموقعة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية يوم 1993/9/13 مؤكدة بذلك على أهمية قيام التلفزيون الفلسطيني [1].

وبدأ البث التلفزيوني يوم 1994/9/30 في الساعة الرابعة مساءً على الموجة (UHF-32) لمدة ست ساعات يوميا فقط، وقد اقتصرت البرامج في هذه الفترة على نشرات الأخبار وإذاعة خطابات الرئيس، وبعدها بدأ البث التجريبي للتلفزيون في 1994/11/15 وأخذت ساعات البث تتزايد من ست ساعات إلى ثلاثة عشر ساعة، ثم البث الدائم في مطلع 1995 حيث وُضِعَ برج الإرسال التلفزيوني على أعلى قمة في مدينة غزة (جبل المنطار) وتم تشغيل الإرسال التلفزيوني بمحرك قوته 1000 وات ليغطي البث كافة مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية [2]، وكانت محطة الإرسال من معسكر أنصار والأستوديو في مقر الرئاسة (المنتدى) على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وبالقرب من ميناء غزة.

وأخذ المسئولون في التلفزيون على عاتقهم مواكبة التطور المحيط في المنطقة وذلك بتجهيز التلفزيون بأحدث الأجهزة، حيث استعان تلفزيون فلسطين بالإدارات التلفزيونية العربية لتزويده بالبرامج والمسلسلات والأفلام والموسيقى والأغاني والمواد الإعلامية الهامة وجاءته هدايا عديدة من الوطن العربي، كما يعتمد تلفزيون فلسطين على العلاقات الدولية التي تعمل على تزويده بالنواحي الفنية والتقنية والصيانة وبخاصةً أن ميزانية تلفزيون فلسطين محدودة للغاية وليست ثابتة وتعتمد على العلاقات الثنائية [3].

---

(1) نواف عدوان. الإذاعة والتليفزيون. في: نشرة غير دورية. تصدر عن هيئة الإذاعة الفلسطينية، غزة 2000. ص34.

(2) أسماء عبد القادر البزم. التلفزيون الفلسطيني والتغير الاجتماعي. رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الاجتماعية، 2001) ص102.

(3) تلفزيون فلسطين. في: نشرة غير دورية. تصدر عن هيئة الإذاعة الفلسطينية، غزة، 2000. ص9.

ومنذ البداية والتلفزيون الفلسطيني يتطور، ففي البداية كانت البرامج كلها مستوردة وبمرور الوقت اهتم المسئولون بإعداد البرامج المحلية منذ بداية الإرسال، وذلك بإعداد خمسة برامج ثم عشرة حتى وصلت إلى أكثر من أربعين برنامجاً في الدورة البرامجية الأولى للعام 1999، وأصبحت هذه البرامج تحتل مساحة زمنية واسعة، فاستطاع تلفزيون فلسطين أن يُثبت وجوده في فترة زمنية قصيرة رغم البدايات الصعبة والظروف السياسية المعقدة والامكانات البشرية والفنية القليلة [1]، ووصلت نسبة البرامج المحلية في نهاية عام 2003 إلى 70% من البرامج التي بُثَّت خلال دورة برامج شهر رمضان [2] وبلغت نسبة البرامج المحلية إلى أكثر من خمسين برنامجاً في الدورة البرامجية الأولى للعام 2007 وعلى الرغم من أن تلفزيون فلسطين بدأ متواضعا من حيث الامكانات المادية والأجهزة ومن حيث الخبرات إلا إنَّه يعمل حاليا على مدار أربع وعشرين ساعة، وتم ربط استوديوهات غزة واستوديوهات الضفة مما مكن المشاهد الفلسطيني من متابعة الأحداث بشكل أفضل وساهم في تطوير وتحسين الأداء، وقد غطى البث منطقة غزة والضفة الغربية، والخط الأخضر، وبعض أطراف جمهورية مصر العربية والأردن وسوريا ولبنان [3].

أهداف تلفزيون فلسطين [4]:

1- تنشئة الشباب الفلسطيني تنشئة سياسية، والعمل على تفهمه وإفهامه لهذه السياسة ،وغرس حب الوطن والوطنية في عقله وذهنه.

---

(1) أسماء عبد القادر البزم. مرجع سابق. ص99.

(2) ماهر الريس. صحيفة الحياة الجديدة. فلسطين، ع 2905، يوم 18-11-2003. ص6.

(3) فدوى الجعبري. استخدام المثقفين العرب لقناة فلسطين الفضائية. رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2003) ص53.

(4) هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني. في: النشرة الإعلامية. تصدر عن لدائرة العلاقات العامة، غزة، نيسان 1998. ص2.

2- الحفاظ على العادات والتقاليد الفلسطينية، والعمل على التمسك بها، والإطلاع على التراث الشعبي الفلسطيني الأصيل.

3- نشر الوعي الوطني والسياسي وتعريف الشعب بحقوقه وواجباته، حتى يتمكن من الوصول إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

4- الحفاظ على البيئة والصحة والثقافة والأداء، والعمل على رعاية الأدب الفلسطيني ونشره.

5- رعاية الشباب الفلسطيني من الناحية الثقافية والتعليمية والترفيهية.

6- رعاية الصناعة والزراعة الفلسطينية والعمل على تقدمها باستخدام أحدث الأجهزة.

7- تفعيل قضية الأسرى في السجون الإسرائيلية، ونقل همومهم ورسائل ذويهم.

8- الاهتمام بالطفل الفلسطيني والعمل على توعيته وتعليمه.

قناة فلسطين الفضائية:

تقرر إقامة قناة فلسطين الفضائية بناء على قرار من الرئيس الراحل ياسر عرفات وتم تكليف السيد هشام مكي بالمسئولية عن العمل، ومنذ ذلك الحين أخذت قناة فلسطين الفضائية تخطو خطوات ثابتة وراسخة على صعيد النهوض بإعلامنا الفلسطيني من مستوى المحلية إلى واقع العالمية والوجود على خارطة الإعلام الدولي، وبناءً على ذلك أقرت القيادة الفلسطينية إقامة وتفعيل قناة فلسطين الفضائية التي بدأت بثها التجريبي بإشارة اختبار يوم 7 يناير 1999 على القمر المصري نايل سات بالنظام الرقمي (101- 7 غرب) بتردد مقداره 11823 ميجاهرتز، ثم بدأت بثهاً تجريبياً آخر على القمر العربي عرب سات بالنظام الرقمي (A3- 26 شرق) بتاريخ 1999/6/23 وبتردد مقداره 11747 ميجاهرتز لتغطي بداية بثه رسمياً منطقة الشرق الوسط وجنوب أوروبا وغرب آسيا وشمال ووسط أفريقيا [1].

---

(1) قناة فلسطين الفضائية. في: النشرة الإعلامية. تصدر عن دائرة العلاقات العامة، غزة، 2001/6/1. ص4.

ثم بدأ البث الرسمي على القمرين في 1999/7/1 لتطل على العالم بوجه فلسطيني صادق وشفاف وبلسان عربي وهوية عربية، وتم التوسع في نطاق التغطية للوصول إلى أمريكا الجنوبية عبر القمر (إنتلسات)، ولأمريكا الشمالية عبر القمر (تلستار5) عبر شبكات الكيبل المدفوعة، وبهذا تم الوصول إلى المغتربين من الفلسطينيين والعرب المقيمين في الدول الأجنبية [(1)].

وعملت قناة فلسطين الفضائية على التوجه بالإعلام الفلسطيني بأسلوب ومضمون إعلامي لإحداث النقلة النوعية في مستوى الوعي الفكري والثقافي، ومتابعة الحدث على الساحة الفلسطينية في كافة المدن والقرى والمخيمات لتصل إلى العالم من واقع التأثر إلى واقع التأثير والفعل، وتهدف قناة فلسطين الفضائية في بثها الفضائي المباشر إلى تقديم برامج تعكس الهموم والأهداف السياسية الفلسطينية، وتكشف ملامح الوجه الثقافي للشعب الفلسطيني وإسهامات أبنائه على مر العصور في التطور الإيجابي للحضارة البشرية وكذلك التواصل الفلسطيني مابين الوطن والمهاجرين [(2)].

وفي ظل هذا التقدم والتطور السريع لقناة فلسطين الفضائية، واجهت العديد من الصعوبات والاتهامات من قِبَل بعض الدول مثل أمريكا وإسرائيل (فقد طلبت أمريكا بعدم دعم قناة فلسطين إعلاميا) [(3)].

وفي مواجهة ذلك لم يجد الإسرائيليون أمامهم إلا اتهام تلفزيون فلسطين وقناة فلسطين الفضائية بالتحريض، وذلك على لسان الوزير الإسرائيلي رعنان كوهين الذي

---

(1) سلاح رشاد الدواوسة. استخدامات الجمهور الفلسطيني للقنوات الفضائية العربية والإشباعات المتحققة: دراسة ميدانية مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة(القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2002) ص122.

(2) مجد هاشم الهاشمي. الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل. (عمان: دار المستقبل للنشر والتوزيع، 2001) ص242.

(3) هشام مكي. حوار خاص عن تلفزيون فلسطين وقناة فلسطين الفضائية. مع مجلة سيدتي. العدد 1004، 1999/9/5.

اتَّهم قناة فلسطين الفضائية بالتسبب في قتل اليهود من خلال ما أسماه (التحريض على قتل اليهود كوسيلة للتقرب إلى اللـه)، كما استقال رئيس سلطة البث الإسرائيلي أوري بورات من منصبه لأنه فشل في مواجهة الفضائية والإعلام الفلسطيني، وتعالت الأصوات بين السياسيين والعسكريين الإسرائيليين في البرامج الحوارية التي يبثها التلفزيون الإسرائيلي باللغة العربية بأن العلاج الوحيد للإعلام الفلسطيني المرئي هو إسكاته [1].

وبالفعل تعرضت مقرات الفضائية في الضفة الغربية وقطاع غزة للقصف بالقذائف والصواريخ الإسرائيلية أكثر من مرة، فنسفت القوات الإسرائيلية بالديناميت مقر هيئة الإذاعة والتلفزيون في خطوة اعتبرها الفلسطينيون عملاً من أعمال التدمير المتعمد، حيث اقتحمت عشرون دبابة ومدرعة إسرائيلية شوارع مدينة رام اللـه وحاصرت المبنى وصادر المحتلون الملفات وأجهزة الحاسوب ومن ثم قاموا بتفجير المبنى[2].

ومن جانب آخر كانت هناك صعوبات مهنية، وهي عدم توفر الامكانات المادية والتكنولوجية اللازمة، وكانت إسرائيل وراء منع دخول أية أجهزة أو معدات لقناة فلسطين، حيث تمنع دخول الأجهزة عبر المعابر التي تُحكِم السيطرة عليها، وبرغم ذلك عملت قناة فلسطين الفضائية على إدخال العديد من المعدات بطريقة رسمية وغير رسمية على أساس أنه لابد أن توجد قناة فلسطين الفضائية[3].

---

(1) حملة متواصلة ضد الإعلام الفلسطيني. في: صحيفة الحياة الجديدة. العدد 2057، الصادر بتاريخ 2001/5/12. ص13.

(2) إسرائيل تنسف مقر هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني. صحيفة الإتحاد الظبيانية. العدد 9747، الصادر بتاريخ 2002/2/14. ص12.

(3) رائد أبو ربيع. تأثير التغطية الإخبارية في القنوات الفلسطينية على إتجاهات الأطفال الفلسطينية نحو الانتفاضة. رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات الإعلامية، 2003) ص57.

أهداف قناة فلسطين الفضائية [1]:

قام القائمون على قناة فلسطين الفضائية مع بداية تأسيسها بتنظيم ورشة عمل في شهر سبتمبر 1998 لغرض تحديد الأهداف والأولويات، وقد شارك في هذه الورشة مجموعة من الإعلاميين والنخبة الفلسطينية والخبراء العرب والأجانب، وتم صياغة مجموعة من الأهداف يمكن إيجاز أهمها في الآتي:-

1- إبراز الهوية الفلسطينية وعكس جوانبها المضيئة.

2- الدعوة للتواصل الفلسطيني _ الفلسطيني مابين الوطن والمهاجر وتعزيز الرغبة في العودة إلى أرض الوطن للتواصل والإسهام في تحمل أجزاء من ثقل عملية البناء الجارية.

3- الانتقال من مرحلة التأثر إلى واقع التأثير والفعل.

4- النهوض بالإعلام الفلسطيني من مستوى المحلية إلى مستوى العالمية والتواجد على خارطة الإعلام الدولي.

5- مخاطبة الإنسان الفلسطيني والعربي بأسلوب ومضمون إعلامي لإحداث نقلة نوعية في مستوى الوعي الفكري والثقافي.

6- متابعة الحدث على الساحة الفلسطينية في كافة المحافظات والمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية.

7- الاتفاق مع العديد من القنوات الفضائية العربية لتغطية الأحداث ساعة بساعة عبر بث مشترك معها.

8- كشف ملامح الوجه الثقافي للشعب الفلسطيني وإسهامات أبنائه على مر العصور في التطوير الإيجابي للحضارة البشرية.

---

(1) أحمد الدوري. الثقافة الفلسطينية عبر الفضائية. في: مجلة الموقف الفلسطيني. تصدر عن المنار للنشر والتوزيع، نابلس، ع35، يناير 2001. ص22.

الإمكانات البشرية والمادية:

كانت قناة فلسطين الفضائية في البداية ولعدم وجود المبنى المخصص لها تَبثُّ على النظام الرقمي لمدة سبع إلى ثماني ساعات من مبنى الرئاسة في المنتدى على شاطئ مدينة غزة، ثم بعد ذلك ازداد البث لتسع ساعات، ثم تطور إلى أثنى عشر ساعة حتى أصبح على مدار أربع وعشرين ساعة من خلال ثلاثة استوديوهات مُجهَّزة بكل شيء، منها أستوديو ديجيتال وكان الأول من نوعه في الشرق الأوسط [1].

ولقناة فلسطين الفضائية سياسة برامجية محددة متوافقة مع التوجهات الفلسطينية المستندة إلى مجموعة المفاهيم الثقافية والتاريخية والسياسية، وبما يحقق الأهداف الوطنية أو إبراز الهوية الفلسطينية، ويتم تمويل الفضائية الفلسطينية بشكل كامل من السلطة الوطنية الفلسطينية، غير أن الفضائية تحظى بين الحين والآخر بدورات تدريبية، وأحيانا ببعض الأجهزة القليلة من جهات عربية، وخاصة اتحاد إذاعات الدول العربية في تونس، كما تسعى قناة فلسطين الفضائية لتطوير علاقات متقدمة مع مجموعة من المنظمات الأورمتوسطة المعنية بالإنتاج السمعي والبصري حيث حصلت الفضائية منها على بعض الدورات التدريبية ويذكر أن قناة فلسطين الفضائية مستقلة عن وزارة الإعلام [2].

أهداف هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني:

1- إبراز المعالم الثقافية والحضارية للشعب الفلسطيني، والإسهام في تطويرها ونشرها بين ثقافات العالم وحضاراته المختلفة.

2- توثيق وتوطيد علاقات الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده في العالم.

---

(1) إنجازات على طريق الفضائية الفلسطينية. في: مجلة الفلسطينية. تصدر عن الخطوط الجوية الفلسطينية, العدد الثاني, مايو/ أيار 2000. ص11.

(2) سلاح رشاد الدواوسة. مرجع سابق. ص123.

3- إبراز الهوية الوطنيـة الفلسـطينية وعـرض وشرح أبعـاد القضـية الفلسـطينية عـلى مستوى العالم.

4- فضح وكشف ممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد أبناء الشـعب الفلسـطيني، وإبـراز معاناته والتأثير في الرأي العـام العـالمي والعـربي، مـن أجـل اسـتقطاب مزيـد مـن المساندين والمناصرين لحقـوق الشـعب الفلسـطيني وخاصـة حـق العـودة وبنـاء الدولة وتقرير المصير[1].

الإمكانات البشرية والمادية:

بلغ عدد العاملين في قطاع غزة في هيئة الإذاعة والتلفزيون حتى شهر يناير عام 2007 إلى 666 موظفاً كان يعملون لغاية قبل الأحداث الأخيرة التي سيطرت فيها حركة حماس على المؤسسات الأمنية والمدنية في قطـاع غـزة في يونيـو 2007 ومـن ضـمنها مبنـى هيئـة الإذاعـة والتليفزيون الفلسطيني، مما حذا يالقائمين على الهيئة بالضفة الغربية للإسـتمرار بالبـث مـن مدينة رام اللـه رغم التوقف التام لجميع العاملين بقطاع غزة لغاية الآن.

أهمية الحفاظ على التراث الفلسطيني

تبرز أهمية الحفاظ على التراث الفلسطيني باعتباره رمزاً من رموز الصـمود ومكافحـة المحتل بشكل عام ودور التلفزيون في ذلك لما يتمتع به من امكانات وسعة انتشار.

وقد أجريت دراسة حول دور التليفزيون الفلسطيني في الحفـاظ عـلى الـتراث أعـدها المؤلف تتعرض للدور الذي يجب أن يقوم به الإعـلام الفلسـطيني بصـفة عامـة والتليفزيـوني بصفة خاصة في الحفاظ على التراث الفلسطيني.

واشتملت الدراسـة عـلى جـزئين: الجـزء الأول دراسـة تحليليـة للمـواد والـبرامج والفقرات التراثية التي يقدمها التليفزيون الفلسطيني وضم الـتراث الفلسـطيني في هـذه الدراسة التراث المادي من أماكن مقدسة وتاريخية والأثرية والتراث الفكـري أو الـذهني،

(1) هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني. التقريـر السـنوي لعـام 2006. في: الـنشرة الإعلاميـة. تصـدر عـن لدائرة العلاقات العامة غزة، يناير 2007. ص7.

الذي يضم كل ما أبدعه الفكر، والتراث الفني الذي يتناول جميع أوجه الإبداع الفني والممارسات المختلفة من طقوسية وغير طقوسية، والتراث اللفظي هو كل ما له علاقة بالكلمة والألفاظ واللهجات العامية والحكايات والحزازير والأمثال الشعبية [1].

والجزء الثاني دراسة ميدانية على 120 مفردة من الصفوة الفلسطينية هي فئة متميزة في المجتمع وظيفياً أو فكرياً أو تعليمياً مما يؤهلها للقيام بدو قيادي أو بادوار المسؤولية في المجتمع، وهي أكثر فئات المجتمع تأثيراً في الحياة العامة وقدرة على اتخاذ القرار[2] والصفوة في معجم المصطلحات الإعلامية هم مجموعة من الأشخاص يشغلون مراكز مرموقة في السلطة أو مجموعة من المبرزين في مجال معين سياسي أو اجتماعي[3].

وقد شملت الصفوة الفلسطينية محل الدراسة أصحاب الرأي والفكر وقادته والأكاديميين والباحثين في مجال السياسة والتاريخ والجغرافيا والآثار والأدباء والكتاب والمهتمين بالقضية الفلسطينية والتراث وعلى درجة من الوعي والفكر والثقافة ويتمتعون بمناصب سياسية واجتماعية واقتصادية يؤثرون من خلالها على المجتمع الفلسطيني.

أهم الحفاظ على التراث الفلسطيني:

1- مشاهدة التليفزيون الفلسطيني:

اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن المبحوثين يرغبون في مشاهدة التلفزيون الفلسطيني، ولكن قد لا يجدوا المضمون الذي يلبي رغباتهم لكي يستمروا بالمشاهدة وقت أطول.

وهي نتيجة خطيرة يجب التوقف عندها لعل ذلك يرجع إلى أن المبحوثين يشاهدون قنوات تلفزيونية عربية مثل الجزيرة والعربية وغيرها تلبي احتياجاتهم ومتطلباتهم لا يقوم بها التليفزيون

---

(1) أحمد الساعاتي. التطور الثقافي في غزة 1914-1967، دراسة في التاريخ الحضاري. ط1(غزة: مركز رشاد الشوا الثقافي، 2005) ص258.

(2) سوزان القليني. مدى اعتماد الصفوة المصرية على التليفزيون في وقت الأزمات: دراسة حالة على حادث الأقصر. في: المجلة المصرية لبحوث الإعلام. ع4. ديسمبر 1998.

(3) كرم شلبي. معجم المصطلحات الإعلامية، (بيروت: دار الجليل، 1994) ص328.

الفلسطيني مما يتطلب من القائمين على التليفزيون إعادة النظر في السياسات والخطط البرامجية التي يقوم عليها التلفزيون بإعداد برامج قادرة على جذب المشاهدين وتلبي احتياجاتهم الثقافية والمعرفية والسياسية وغيرها، أو بسبب توجه المبحوثين إلى القنوات الفلسطينية الجديدة الأخرى كقناة الأقصى وقناة القدس، وقد تكون هناك بعض المواد والبرامج كالثقافية والاجتماعية تتضمن جوانب من التراث الفلسطيني.

2- مدى مشاهدة الفقرات والبرامج التراثية:

لمشاهدة المواد والبرامج التراثية باعتبارها جزء من الثقافة الفلسطينية يحرص المبحوثين على التعرف عليها بما تساهم في ترسيخ الثوابت الوطنية والحقوق الفلسطينية في الأراضي المحتلة وتأكيد الهوية الثقافية الوطنية الفلسطينية.

3- أسباب عدم مشاهدة المواد والبرامج التراثية:

أتضح أن المبحوثين الذين لا يُقبلون على مشاهدة المواد والبرامج التراثية في تليفزيون فلسطين بسبب تقديمها للموضوعات السطحية غير المعمقة، ورداءة الإخراج والمادة المصورة، وتكرار عرض المادة التراثية أكثر من مرة، واعتماد التليفزيون على أساليب التقديم وأشكال الإنتاج التقليدية بنسبة.

كما أضاف بعض الباحثين أسباب أخرى تتعلق:

1- عدم الإبداع والابتكار في الأفكار التي يقدمها التلفزيون الفلسطيني.

2- عدم كفاءة مقدمي ومعدي ومخرجي البرامج التراثية في التليفزيون حيث أن الكثير منهم لا علاقة له بالتراث.

3- عدم توفر ذوي الاختصاص من الضيوف في مجال التراث.

4- عدم اهتمام التليفزيون بالتراث الفلسطينية وإعطاءه المساحة الزمنية المناسبة بالمقارنة مع الموضوعات الأخرى.

وهذا يدعو إلى زيادة البرامج التراثية الجديدة المتعمقة والمتخصصة في مضمونها، وتحسين وتطوير أساليب الإخراج والتصوير في شكلها، والعمل على استخدام التكنولوجيا الحديثة في مجال الإنتاج التليفزيوني باستخدام فن التحريك والجرافيك

والمونتاج الإليكتروني، واستثمار لغة الصورة بكل مكوناتها لجذب المشاهدين لمتابعتها والاندماج معها، واستقطاب ذوي الخبرة والاختصاص من معدين ومقدمين وضيوف في هذا المجال.

ويدعو ذلك إلى الاهتمام بكل مجالات التراث المختلفة الفكرية والمادية والذهنية والفنية وعدم التركيز على جانب دون الأخر، لتكوين صورة ذهنية كاملة عن جميع جوانب التراث وتشكيل ثقافة متكاملة ومعرفة متواصلة لجميع الموضوعات التراثية حتى يدرك المشاهد طبيعة التراث الفلسطيني بتفاصيله المتعددة.

مما جعل المبحوثين يتجهون ويقبلون على مشاهدة قنوات فضائية أخرى تعرض فيها التراث الفلسطيني بشكل أفضل شكلاً ومضموناً.

4- مظاهر الاستفادة من البرامج التراثية :

تتمثل مظاهر الاستفادة من الفقرات والبرامج التراثية في أنها تزيد من المعلومات والمعارف، وتعمل على تعزيز الهوية الثقافية، و تزيد من الانتماء للوطن، وتعرف بأشياء جديدة، وتعمل على تدعيم العادات والتقاليد، وتساهم في تحقيق التفاعل والتقارب الاجتماعي، واكتساب عادات جديدة.

بطبيعة الحال أن البرامج التراثية تزيد من المعلومات والمعارف ؛ نظراً لتناولها تاريخ وحضارة الأمة التي تزخر بالكثير من جوانب المعرفة الأدبية والعلمية والمادية والفنية والنظرية، بالإضافة لتعزيز الهوية الثقافية العربية الإسلامية التي ينتمي إليها الفرد، ومن ثم الانتماء إلى الهوية الوطنية الفلسطينية النابعة من الهوية العربية الإسلامية الأم.

وهذا يؤكد ما تم ذكره سابقاً بضرورة زيادة البرامج التي تتناول التراث لإدراك المبحوثين الذين يمثلون الطبقة المثقفة العليا في المجتمع الفلسطيني وحرصهم على زيادة وعي الجمهور بالهوية الثقافية الفلسطينية من خلال برامج التراث التي تعرض جوانب المستنيرة للحياة في الماضي واكتساب المعرفة في الاهتداء لسير الحياة في الحاضر ورسم الحياة للمستقبل.

5- مدى حرص المبحوثين على مشاهدة مواد تراثية فلسطينية تبث في قنوات تليفزيونية

وقد يرجع ذلك للمضمون التي تقدمه البرامج التراثية في القنوات التليفزيونية الفضائية العربية الأخرى الذي يتناول التراث الفلسطيني لما يمثله من ثقافة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي وخاصة لدى القنوات الفضائية العربية التي تهتم بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية الأمة العربية والإسلامية، وهذا يدعو القائمين على الفضائيات الفلسطينية (فلسطين، الأقصى، القدس) إلى محاولة استقطاب وجذب المشاهدين في الداخل والخارج من خلال إعداد برامج ثقافية وتراثية ذات مضمون وشكل يتناسب مع البث عبر الفضاء الذي يضم مختلف الفئات والأعمار والجنسيات تتناول في محتواها الهوية الفلسطينية المستمدة من الهوية العربية الإسلامية.

وهذا يدل على رغبة المبحوثين وتفضيلهم لمشاهدة المواد والبرامج التراثية باعتبارها جزء من الثقافة الفلسطينية يحرص المبحوثين على التعرف عليها بما تساهم في ترسيخ الثوابت الوطنية والحقوق الفلسطينية في الأراضي المحتلة وتأكيد الهوية الثقافية الوطنية الفلسطينية.

6- أهم القنوات التليفزيونية التي يحرص المبحوثين على مشاهدتها:

تشير الدراسة إلى أن المبحوثين يحرصون على مشاهدة المواد التراثية في القنوات التالية حسب الترتيب الآتي: الجزيرة، اقرأ، الأقصى، الجزيرة الوثائقية، العربية، أبو ظبي، المنار الرسالة، الشارقة، وأرجع المبحوثين سبب ذلك لتناولها موضوعات مختلفة ومميزة وقضايا متعمقة في مجال التراث وتقديمها للمواد بشكل أفضل من حيث الشكل وأساليب الإخراج، تناسب الأوقات التي تعرض فيها المواد التراثية.

وقد يرجع ذلك للمضمون التي تقدمه البرامج التراثية في القنوات التليفزيونية الفضائية العربية الأخرى الذي يتناول التراث الفلسطيني لما يمثله من ثقافة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي وخاصة لدى القنوات الفضائية العربية التي تهتم بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية الأمة العربية والإسلامية، وهذا ما تم ملاحظته في قنوات مثل الجزيرة التي تهتم بمثل هذا التراث مثل برنامج " فلسطين تحت المهجر" "وحق يأبى النسيان"

وغيرها الكثير، وغيرها الكثير من البرامج الخاصة في الكثير من الاوقات والمناسبات، كما هو الحال الآن بتقديم احتفالية(القدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009)، بالإضافة إلى التقارير المستمرة التي تعرض ضمن النشرات الإخبارية بما تمثله القضية الفلسطينية من اهتمام عربي اسلامي مشترك.

وهذا يدعو القنوات الفضائية الفلسطينية (فلسطين، الأقصى، القدس) للاهتمام أكثر بالتراث الفلسطيني ومنحه وقتاً مناسباً في الدورات البرامجية، باعتبارها الأحق والأكثر إلماماً بهذا التراث من غيرها، وسهولة توفر المصادر لجمع المادة العلمية والتصوير من الواقع الميداني، وتخصيص برامج نوعية ومميزة من حيث كفاءة المعدين والمقدمين والفنيين لإخراج مادة تراثية مسمدة من الماضي ولكن بروح العصر، تنسجم مع التكنولوجيا الحديثة في مجال الإعلام التليفزيوني واستثمار كافة خدمات الإنتاج التليفزيوني كالديكور والملابس وغيرها.

7- أسباب حرص المبحوثين على متابعة المواد التراثية الفلسطينية في القنوات التلفزيونية الأخرى:

تشير بيانات الجدول السابق إلى أن نسبة 70% من المبحوثين يشاهدون المواد التراثية في القنوات الأخرى بسبب تناول موضوعات مختلفة ومميزة وقضايا متعمقة في مجال التراث، ونسبة 46.7% بسبب أنها تقدم المواد بشكل أفضل من حيث الشكل وأساليب الإخراج، ونسبة 34.4% بسبب أنها تناسب الأوقات التي تعرض فيها المواد التراثية.

فعلاً هذا ما تم ملاحظته خاصة في هذا العام (القدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009) تناول القنوات القضائية لموضوعات متميزة ومتعمقة في مجال التراث وتناولت قضية القدس خاصة وما يحاك ضد تهويدها.

8- مدى أهمية ما تقدمه القنوات الأخرى من مواد تراثية فلسطينية لدعم القضية الفلسطينية:

ويؤكد ذلك وعي المبحوثين لأهمية التراث ونشره وبثه والتعريف به ليس على مستوى القنوات الفلسطينية فقط، بل يتسع لجميع القنوات الفضائية العربية وإدراكهم لأهمية ذلك في خدمة القضية الفلسطينية، والمساهمة في خلق مقومات الصمود عبر التثقيف والمعرفة بالتراث والهوية الفلسطينية التي يحاول الاحتلال على طمسها ونزعها من الأمة العربية والإسلامية وحصرها بالفلسطينيين أنفسهم بل بالمقيمين في الداخل فقط (غزة والضفة الغربية).

9- أكثر مجالات مواد التراث التي يرغب المبحوثين بمشاهدها أكثر من غيرها

يتضح من بيانات الجدول السابق أن نسبة 80% من المبحوثين يرغبون بمشاهدة التراث المادي والمعماري (كالأماكن المقدسة والآثار)، ونسبة 51.7% يرغبون بمشاهدة التراث الاجتماعي والاقتصادي (كالعادات والتقاليد والمأكولات والملابس)، ونسبة 49.2% من المبحوثين يرغبون بمشاهدة التراث الفلكلوري (كالرقصات الشعبية والأناشيد والأغاني والمأثورات والأمثال والحكايات) ونسبة 47.5% يرغبون بمشاهدة التراث الفكري والعلمي لعل ذلك يتمثل في الأماكن المقدسة والمنازل السكنية الأثرية والصناعات التقليدية من صناعة فخار وخزف وآثار التاريخية يفضلها عادة المشاهد بما يضم من فن وتاريخ عريق يمتدد لآلاف السنين ورثها الآباء عن الأجداد، ويؤكد تمسك الشعب الفلسطيني من خلال الموروث العمراني المعماري والمادي المتواجد على امتداد الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948 وعام 1967 التي لا تقبل التزييف أو طمس معالمها المقدسة الحضارية والتاريخية وتشكلت في وجدان وحياة المواطن الفلسطيني لا يستطيع الاحتلال حذفها أو تشويهها من ذاكرته حتى لو استخدم كافة وسائل الضغط العسكرية والاقتصادية والثقافية لتغييرها.

وتتفق رغبة المبحوثين مع أولوية ما يقدمه التليفزيون الفلسطيني من تراث مادي من خلال الدراسة التحليلية جاء كمرتبة أولى بنسبة 46.6% من المواد التراثية المعروضة ولكن نسبة تقديم التراث بشكل عام قليلة.

10- الموضوعات التي يمكن تقديمها عبر التلفزيون الفلسطيني لتزيد الوعي بالتراث أكثر من غيرها:

أن المبحوثين يرو بأن الأماكن التراثية (كالمواقع المقدسة والمزارات) من الموضوعات التي تزيد الوعي بالتراث وكذلك التراث العلمي والفكري، والعادات التقاليد، والحكايات الشعبية، والأمثال الشعبية، والملابس والتطريز، و الأغاني الشعبية، والمأكولات الشعبية، والألعاب الشعبية.

تعد الأماكن التراثية أقرب لقلب المشاهد بما تحتوي عليه من أماكن مقدسة ذات مكانة تهم المسلمين والمسيحيين عامة أهمها: القدس بما فيها من المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة، والحرم الإبراهيمي بالخليل، وكنيسة المهد ببيت لحم بالإضافة إلى المساجد والمزارات والمقامات والمساكن الأثرية، وكذلك مكونات الصناعات التقليدية كالطين الذي يصنع منه الفخار والخزف بأشكاله المتنوعة والأخشاب.

11- معوقات الإنتاج التراثي في التلفزيون حسب وجهة نظر المبحوثين:

يتضح من بيانات الجدول السابق أن أهم المعوقات التي تواجه الإنتاج التراثي في التليفزيون حسب وجهة نظر المبحوثين تمثلت في الأتي حسب الترتيب:

1- قلة الكوادر البشرية المؤهلة للعمل التراثي.
2- قلة الإمكانيات المالية للإنتاج التراثي.
3- ممارسات الاحتلال الإسرائيلي.
4- سوء التخطيط أو قصوره.
5- قلة الإمكانيات الفنية اللازمة.
6- عدم توفر استوديوهات للإنتاج بالكم والكيف المناسبين.
7- عدم توفر النصوص الجيدة التي تصلح للمعالجة.

8- الاعتماد على شركات الإنتاج الخاص والمحطات الأخرى.

مما يتطلب من القائمين على هيئة الإذاعة والتليفزيون الفلسطيني أخذ هذه المعوقات في عين الاعتبار والعمل على محاولة تذليلها والتخفيف من تأثيرها على الإنتاج التراثي من خلال السبل التي يمكن من خلالها تطوير الإنتاج التراثي في تلفزيون فلسطين حسب رأي المبحوثين في الجدول التالي.

12- السبل التي يمكن من خلالها تطوير الإنتاج التراثي في التلفزيون الفلسطين حسب رأي المبحوثين:

أن أهم السبل التي يمكن من خلالها تطوير الإنتاج التراثي في تلفزيون فلسطين حسب رأي المبحوثين يتمثل حسب الترتيب في الآتي:

1- تشجيع الإنتاج التراثي الوطني.

1-ضرورة وضع خطة مستقبلية للتراث الفلسطيني.

2-الاهتمام بالمستوى الفني للإنتاج التراثي.

3-العمل على تشجيع كتاب النصوص التراثية.

4- استثمار كافة الإمكانيات في إنتاج البرامج التراثية التي تشبع احتياجات المشاهدين.

5- العمل على توثيق حركة الإنتاج التراثي الفلسطيني.

6- الاهتمام ببحوث المشاهدين التي تهتم برصد متابعتهم وموقفهم من الأعمال التراثية.

هي مقترحات تجسد سبل لتطوير الإنتاج التراثي الفلسطيني بشكل عام والتليفزيون الفلسطيني بشكل خاص لمواجهة المعوقات التي يتعرض لها، يتطلب من الجميع المؤسسات الإعلامية والمختصة أخذها بعين الاعتبار ضمن خططها الإستراتيجية طويلة وقصيرة المدد للنهوض بواقع التراث الفلسطيني لكي يساهم في عملية النهضة والنضال الفلسطيني لتحقيق الأهداف التي يسعى لتحقيقها الشعب الفلسطيني بالحرية والاستقلال من الاحتلال.

التليفزيون فلسطين وأخرى للجهات المعنية بالتراث المساندة للتلفزيون الفلسطيني:

أولاً: المقترحات الخاصة بتليفزيون فلسطين:

1- إعداد خطة إعلامية إستراتيجية يقوم على إعدادها وتنفيذها متخصصين في مجالي الإعلام التليفزيوني والتراث تهدف إلى زيادة الفترة الزمنية للمواد والبرامج والفقرات التراثية التي تبث عبر الدورات البرامجية المختلفة، وتحدد الموضوعات والقضايا التي تطرح والشخصيات المعدة والمستضافة فيها واستخدام الأشكال والقوالب الأكثر تأثيراً في المشاهدين التي تعرض وتقدم من خلالها المواد والبرامج التراثية كالأشكال الدرامية والكارتون للأطفال بما يساهم في إثراء الواقع الثقافي .
2- إعداد وتدريب وتأهيل الكوادر البشرية العاملة في التلفزيون بشكل عام والعاملين في مجال إعداد وتقديم وإخراج المواد التراثية بشكل خاص، من حيث التثقيف والإلمام بالجوانب المعرفية بمجالات التراث المختلفة والأساليب الفنية التقنية اللازمة.
3- توفير كافة الإمكانيات المالية والفنية اللازمة للإنتاج التراثي من خلال المؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية، بإنشاء استوديوهات للإنتاج بالكم والكيف المناسبين.
4- العمل على تذليل العقبات والعراقيل الإسرائيلية التي تحول دون التنقل بين محافظات الوطن من خلال استخدام وسائل الضغط والتغلب عليها باستخدام التكنولوجيا الإعلامية الحديثة في التوثيق والبث المباشر لفضح ممارسات الاحتلال فيما يتعلق بالانتهاكات التي تتعرض لها الاماكن المقدسة والتاريخية.
5- تطوير تشجيع الإنتاج التراثي الوطني من خلال دعم مؤلفي وكتاب النصوص الجيدة التي تصلح للمعالجة.

6- يمكن الاعتماد على شركات الإنتاج الخاص والمحطات التليفزيونية الأخـرى في خلـق التعاون والتبادل الثقافي، بالاضافة إلى الاتصال والتنسيق مـع مؤسسـات الانتـاج الإعلامي الفلسطينية في الخارج خاصة في مخـيمات اللاجئـين في الـدول العربيـة التي تعتبر مخزون للتراث الفلسطيني .

7- ضرورة الاهتمام بالمستوى الفني للإنتاج الـتراثي للرقـي بـه إلى الأفضـل بمـا يواكـب العصر والتطورات الحديثة وعدم التقليل من شأنه باعتباره من التاريخ القـديم، بل تكيفيه وإعادة تقديمه وإخراجه بشكل يتناسب مع روح العصر .

8- استثمار كافة الإمكانيات في إنتاج البرامج التراثية التي تشبع احتياجات المشـاهدين والعمل عـلى تلبيـة احتياجـاتهم المعرفيـة وتقـديمها بالأسـاليب والأشـكال التـي يفضلونها لتحدث التأثير.

9- العمل على توثيق حركة الإنتاج التراثي الفلسطيني من خـلال الأرشـيف الإليكـتروني ومكتبة أشرطة الفيديو لتشمل جميع المواد التراثية التـي تنـتج محليـاً وخارجيـاً وتوزيعها على وسائل الإعلام المختلفة لبثها ونشرها باستمرار.

10- الاهتمام ببحوث المشاهدين التي تهتم برصـد متـابعتهم ومـوقفهم مـن الأعـمال التراثية التي يقدمها التلفزيون لتطوير وتحسين الانتاج والتقديم.

11- يجب التركيز على فئة الشباب والأطفـال عنـد إعـداد المـواد والـبرامج المتخصصـة بالتراث الفلسطيني بما تمثله هذه الفئتان مـن أهميـة كـبرى في حمـل المـوروث الثقافي والفكري للأجيال القادمة.

12 – الاستفادة من مجالات التراث الفلسطيني عند إعداد المـادة الإعلاميـة في تعـديل وتغيير الاتجاهات والسلوكيات السلبية التي ظهرت في المجتمع الفلسطيني فيما يتعلق بالانقسام والشقاق والدعوة إلى الوحدة الفلسطينية مـن خـلال اسـتلهام التراث وتأكيد التكاثف والتعاون والتضامن كما كـان الحـال في عـادات وتقاليـد الأجيال السابقة.

13- قيام التلفزيون ليس فقط بابراز التراث ونشره بل تسويقه ثقافيا من خلال استخدام كافة الأساليب الإنتاجية الحديثة ووسائل التسويق والإعلان وتوزيعه على كافة الجهات المختصة.

14-العمل على إنشاء قناة فضائية متخصصة في مجال التراث بالتعاون مع الوزارات والمؤسسات الفلسطينية المعنية كما هو الحال في المجالات الأخرى للتعريف بالتراث الفلسطيني العربي وتوضيح أهميته والمخاطر التي يتعرض لها وذلك لربط المواطن الفلسطيني في المهجر والعربي بالهوية الثقافية الفلسطينية بالأرض المقدسة.

15- الإعداد لحملات إعلامية مستمرة واسعة النطاق بالتعاون مع الفضائيات العربية تشرح وتوضح للرأي العام العالمي مدى انتساب التراث الفلسطيني لجذور الأمة العربية والإسلامية وكشف المخططات الصهيونية والزيف الإسرائيلي بإلصاق وانتساب التراث الفلسطيني إلى الكيان الإسرائيلي من خلال ذكر الحقائق والأدلة التي تثبت ذلك.

16- التنسيق والتعاون والتخطيط المستمر بين التليفزيون الفلسطيني والجهات التي لها علاقة بالحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية ومعنية بالتراث والعمل ضمن آلية موحدة حتى لا يكون هناك ازدواجية في العمل.

17- العمل على زيادة الوعي لدى الجماهير بأهمية التراث باعتباره منارة الوطن والأمة يجب التمسك به مع إمكانية مواكبة العصر من تطورات تقنية وتكنولوجية وتسخيرها لخدم الهوية الثقافية التراثية الفلسطينية.

18- قيام التلفزيون الفلسطيني بعرض جميع أنواع ومجالات التراث ضمن المواد والبرامج التي يقدمها وليس فقط بالمواقع الدينية الأثرية الرئيسية فقط وفي جميع الأوقات وليس في المناسبات والاحتفالات فقط.

19- إبراز التليفزيون الفلسطيني الجوانب المشتركة التي تربط التراث الفلسطيني بالتراث العربي والإسلامي بهدف ترسيخ الوحدة وتأكيد الترابط بين الشعوب العربية والإسلامية.

ثانياً: مقترحات موجهة للوزارات المعنية

(الثقافة والسياحة والآثار والأوقاف والتربية والتعليم) لدعم ومساندة وتزويد التليفزيون بالمعلومات والحقائق والموضوعات حول التراث:

1- تشكيل مجلس أعلى للحفاظ على التراث يتولى مهمة حفظ التراث من الإندثار والضياع والاهتمام بترسيخه لدى الأجيال الحالية والقادمة.

2- يقوم المجلس بعمل خطة محددة يتم فيها تسجيل كافة التراث الفلسطيني بأنواعه ومجالاته المختلفة لمعاينته وتنقيته من الشوائب، ومن ثم بث ونشر هذا التراث عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بمختلف الأساليب والأشكال المتنوعة.

3- إصدار تشريعات وقوانين ولوائح خاصة تدعم وتساند الجهات المختصة للحفاظ على الموروث الثقافي والفكري والأماكن المقدسة واعتبارها أماكن أثرية لا يسمح بالمساس بها.

4- ضرورة توثيق المواد العلمية التراثية سواء كانت مطبوعة أو إلكترونية تساهم في بقاءه على مدار السنين والقرون القادمة للاستفادة منه لدى الأجيال القادمة.

5- قيام المؤسسات الحكومية والأهلية وأصحاب رؤوس الأموال بشراء واقتناء المواد والأماكن والمنازل الأثرية والعمل على ترميمها.

6- ضرورة الإعداد والتجهيز لافتتاح المتاحف والقرى الفنية والتراثية سواء كانت عامة أو خاصة.

7- دعوة ومطالبة المؤسسات الدولية والعربية وخاصة المهتمة بالتراث كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) والمنظمة الإسلامية

للتربية والثقافة والعلوم(الايسيسكو) للاهتمام أكثر بالحفاظ على المقدسات الإسلامية وحماية الأماكن التراثية الفلسطينية خاصة من الهدم والحفر والتجريف الإسرائيلي لكل ما هو أثري على الأرض الفلسطينية.

8- تشجيع الإبداع والابتكار في مجال التراث وتوفير المناخ اللازم لنموه وازدهاره عن طريق تعزيز القدرات الذاتية وعدم الاعتماد على الغير من خلال تشجيع الإنتاج الوطني المحلي.

9- تجديد الثقافة والتراث الوطني وتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة من خلال تشجيع التبادل الحضاري بما لا يمس بالذات الوطنية.

10- تخصيص ميزانيات تكفي حاجة الجهات الثقافية الراعية والمطورة للتراث الفلسطيني.

11- تطعيم المناهج التربوية في جميع المراحل التعليمية بموضوعات عن التراث الفلسطيني بجانب المناهج التاريخية الفلسطينية والعربية.

12- تشجيع السفارات والجاليات الفلسطينية والعربية للقيام بدورهم أكثر فاعلية لتوضيح الحقائق وكشف زيف الاحتلال الإسرائيلي في نسبة للكثير من تراثنا إليه رغم ثباته للشعب الفلسطيني.

13- تجريم ومنع محاولات تهريب الآثار وبيعها لعصابات دولية وغالباً ما تكون يهودية لتسوقها عالمياً على أنها آثار يهودية.

الفصل السادس

دراسات حول التراث والثقافة والإعلام

من واقع ما تم تجميعه من دراسات سابقة حول التراث والثقافة والإعلام تم تقسيم الدراسات السابقة إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: دراسات تتعلق باهتمام التليفزيون بالثقافة والتراث

المحور الثاني: دراسات حول التراث والهوية الثقافية في ظل العولمة

المحور الثالث: دراسات تتعلق بالتراث المادي (المعماري والعمراني) والفني

الفصل السادس

دراسات حول التراث والثقافة والإعلام

المحور الأول: دراسات تتعلق باهتمام التليفزيون بالثقافة والتراث

1- "دور التلفزيون في زيادة الاهتمام بالمأثورات الشعبية " (2008)[1] دراسة تحليلية ميدانية تهدف لدراسة مدى اهتمام التلفزيون بعرض المأثورات الشعبية وحرصه على ذلك ومعرفة أهم أشكالها التي يتم التركيز عليها ومدى إقبال الجماهير على المواد التلفزيونية التي تقدم المأثورات الشعبية، وتقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية مستخدمة منهج المسح من خلال تحليل محتوى عينة من البرامج التلفزيونية التي تعرض المأثورات الشعبية التي تقدمها قنوات التلفزيون المصري التي يمكن لقاطني إقليم القاهرة الكبري متابعتها وشملت هذه القنوات (الأولى – الثانية – الثالثة – الثقافية – التنوير) خلال دورة برامجية كاملة مدتها ثلاثة أشهر في الفترة من 1 - 4 حتى 30-6-2006 وذلك بأسلوب الحصر الشامل لكل البرامج التي تناولت المأثورات الشعبية واستخدمت الدراسة التحليلية صحيفة تحليل المضمون، بالاضافة إلى دراسة ميدانية على عينة بلغت 400 مفردة من جمهور المشاهدين بمختلف الفئات العمرية من (15- 65) سنة تمثل المستويات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة في محافظة القاهرة الكبرى (القاهرة – الجيزة – القليوبية) للتعرف على آرائهم فيما يقدمه التلفزيون من برامج ومواد تحرص على اتخاذ المأثورات الشعبية

(1) سوزان أحمد" دور التلفزيون في زيادة الاهتمام بالمأثورات الشعبية ". رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام - قسم الإذاعة والتليفزيون، 2008).

مادة ومحتوى لها وكيفية تقيمهم لأساليب عرض هـذه الـبرامج ومـن أهـم نتـائج الدراسة:

أولاً: نتائج الدراسة التحليلية:

- تذاع معظم برامج المأثورات الشعبية في أوقـات غـير مناسـبة، حيـث تقـدم النسـبة الأكبر منها في أيام وسط الأسبوع، كما تذاع معظم هذه البرامج في أوقات الظهـيرة ولا تذاع في فترة المساء والسهرة التي تحظى بأعلى نسبة من المشاهدة.
- تخضع جميع برامج المأثور الشعبي الخاضعة للدراسة لدوريـة ثابتـة في البـث، إذ جاءت معظم البرامج المأثور الشعبي بمدة لا يتعدى الغالبية العظمى منها نصـف ساعة، أما فيما يخص مقدمي هذه البرامج فإن النسبة الأكبر منها يقدمها الضيوف ولا يقدمها المذيعون العاديون إلا القليل منها.
- النسبة الأكـبر مـن الـبرامج يقـدمها الضـيوف ولا يقـدمها المـذيعون العـاديون إلى القليل منهم وأن معظـم مـن يقـدم هـذه الـبرامج مـن المتخصصـين سـواء أكـانوا أكاديميين أو فنانين أو أدباء.
- معظم برامج المـأثورات التـي خضـعت للدراسـة تقـدم في قوالـب ثابتـة تتركـز في القالب الغنائي أو الحوار أو الصور الثابتة، ولا تستخدم القوالب الأخـرى كالقالـب الدرامي والمجلة وأفلام الكرتون كما لا تشهد برامج المـأثورات الشـعبية في أغلبهـا مشاركة من قبل الجمهور مما يؤدي على غياب رجع الصدى عن مضمونها.
- تمحور الهدف الأساسي لبرامج الدراسة على مجرد التعريف بتراث الأجداد، ولم يـتم استخدام هذا التراث لتعديل السلوكيات أو معالجة القضايا التي تثـار في المجتمـع أو المشكلات الأخلاقية ويـتم التركيـز في بـرامج المـأثورات الشـعبية المقدمـة عـلى أنواع معينة فقط من المـأثور كالغنـاء الشـعبي والـرقص الشـعبي والأمثـال ويـتم تجاهل البعض الأخر كالألعاب الشعبية والحكايات الشعبية.

ثانياً: أهم نتائج الدراسة الميدانية:

- تشغل المأثورات الشعبية مكانة كبيرة في نفوس أفراد العينة فغالبيتهم يحبون التعرف عليها وأن نسبه قليلة من هؤلاء الأفراد يشاهدون البرامج التي تقدمها.
- الأفراد الذي يرغبون مشاهدة برامج المأثورات الشعبية يفعلون ذلك بدافع التعرف على حياة الأجداد وتاريخهم بصرف النظر عن دور هذه البرامج في تغيير القيم والأنماط السلوكية الخاطئة.
- يرجع الأفراد الذين لا يرغبون بمشاهدة برامج المأثورات إلى إخراجها بشكل ممل وتقديمها عن طريق مذيعين غير أكفاء وتقديمها في أوقات غير مناسبة وعدم تقديم تنويهات عن هذه البرامج.
- يقترح المبحوثين لتطوير برامج المأثورات أن يتم تصويرها داخل الأماكن الطبيعية وأن تذاع في أوقات مناسبة مع زيادة جرعتها.

" الفضائيات والتغيير الثقافي في المجتمع الليبي " (2008) [1] دراسة ميدانية على عينة من الشباب بمدينة بنغازي بالجماهيرية الليبية، تهدف إلى التعرف على ظهور التقنيات الحديثة وتأثيرها على ثقافة الشباب والكشف عن عوامل التغيير الثقافي المترتبة على تلك التقنيات وشملت الدراسة عينة مكونة من 40 مفردة تضم الأفراد الذين تتراوح أعمارهم ما بين 17- 25 سنة يتمثلون طلاب جامعة قاريونس المقيدين بمختلف مراحل الدارسة ذكوراً وإناثاً، وتعد الدراسة من الدراسات الوصفية اعتمدت على منهج أسلوب المسح الاجتماعي بالعينة، واستخدمت الاستبيان والملاحظة والمقابلة كأدوات لجمع البيانات، ومن أهم نتائج الدارسة:

(1) فوزية قناوي " الفضائيات والتغيير الثقافي في المجتمع الليبي ". رسالة دكتوراة غير منشورة (القاهرة: جامعة عين شمس - كلية الآداب - قسم الاجتماع، 2008).

- اختلاف وجهات نظر المبحوثين حول تأثير الفضائيات على القيم الأسرية فقد أجاب 55% بأنها أثرت سلباً في حين أن 45% لا يقرون بوجود هذا التأثير.
- أن القيم الإيجابية التي تدعمها الفضائيات العربية جاءت حسب وجهة نظر المبحوثين بالترتيب كالتالي: القيم الثقافية والانفتاح على العالم، القيم الدينية، قيم الانتماء والولاء، قيم احترام الوقت.
- الجوانب السلبية التي تعكسها الفضائيات تمثلت بالترتيب في: تقديم برامج بعيدة عن الحياء والاحتشام، بث قيم تخالف العادات والتقاليد، عدم تناول الواقع بشكل حقيقي، التقليد والمحاكاة دون انتقاء، الاستهلاك الترفي.

" أغاني الفيديو كليب وانعكاساتها على الحياة اليومية للشباب المصري " 2008 [1]

تهدف الدراسة إلى محاولة الكشف عن أهم تأثيرات أغاني الفيديو كليب على عولمة حياة الشباب اليومية من خلال تلك الأغاني، والتسويق للموضات والملابس العالمية التي لا تتناسب مع قيم المجتمع الشرقي كما تحاول الدراسة تنبيه القائمين على الإعلام إلى الضرر الناتج عن البث المتواصل لمثل هذه الأغاني على شبابنا وهويتهم القومية، مع الاهتمام بالمحتوى المقدم وضرورة انتقاء المضمون المقدم إلى هؤلاء الشباب، والتأكيد على الصورة المقبولة كمجتمع له خصوصيته الثقافية وتقاليده الشرقية واعتمدت الدراسة على أسلوب تحليل المضمون باختيار 30 أغنية على مدى شهر تبث على قناة مزيكا واستخدمت الدراسة استمارة تحليل المضمون والملاحظة كأداتي لجمع البيانات ومن أهم نتائج الدراسة:

- تجلت العولمة وتأثيراتها بوضوح في المضمون البصري للأغاني ؛ حيث غلب عليها الطابع الغربي كما تميزت الموسيقى المصاحبة للأغاني بإيقاعات غربية راقصة وصاخبة.

---

(1)عالية أبو دومة" أغاني الفيديو كليب وانعكاساتها على الحياة اليومية للشباب المصري " دراسة منشورة في: المجلة العربية لعلم الاجتماع. ع1 (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، يناير 2008).

- تراوحت الملابس للمطربات ما بين الملابس الغربية وبدل الرقص الشرقي وأزياء السهرة وملابس النوم والرياضة، وقد سعت الأغاني إلى تعميم النموذج الغربي للأزياء، وتسويق أنماط من الأزياء تبعد تماماً عن روح ثقافتنا الشرقية ومعتقداتها، كما أن ملابس المطربين تأثرت بالصيحات الغربية وتراوحت ما بين بطلونات لاصقة أو شديدة الاتساع، واحتواء الملابس على كلمات وأرقام باللغة الأجنبية معظمها يحمل دلالات جنسية، بالإضافة لارتدائهم العقود والإكسسوارات وتصفيفات غريبة للشعر.
- انعكاسات الأغاني في محاولة نشر بعض الاتجاهات السلبية والقيم السائدة، التي من أبرزها اللامبالاة والسلبية والسطحية والاستهتار والاستنامة إلى الملذات والمتع، ومحاولات التعدي على بعض القيم الثابتة وعادات المجتمع المتعارف عليها في الثقافة الشرقية.
- رصدت الدرسة بعض ملامح التغير في لغة الخطاب الموجهة من المرأة في الإعلام، فلم يعد خطاباً أنوثياً يشوبه الاستسلام، والانتظار لقرارات الرجل، بل بدا خطاباً قوياً، فيه تتوعد وتأمر وتملي شروطها وتهدد وتتهكم من ثقة الراجل بنفسه، وتذكره بقوتها وقدرتها على أخذ القرارات خاصة في حياتها العاطفية، على حين بدا الرجل في الأغاني أكثر ضعفاً واستسلاماً أمام محبوبته.
- تراوح استخدام مصاحبات الأغاني ما بين الرموز الاستهلاكية التي تلاقي اهتماماً وإقبالاً شديداً بين الشباب، وتداعب عقولهم وأحلامهم وأمانيهم المستقبلية، بين مصاحبات تحمل رموزاً جنسية وإيحائية متعارفاً عليها في ثقافتنا الشرقية.
- غلب الطابع الاستعراضي على أداء جميع الشخصيات المشاركة في الأغاني، والذي يتناسب مع طبيعة الأغنية المصورة المعتمدة على الإبهار السمعي والبصري.

- تميزت أماكن التصوير بالأجواء الغربية سواء من حيث المكان أو الديكور غير المألوف وغير المعتاد بالنسبة للأذواق والثقافة.

"What I Watch and Who I Am: National Pride and the Viewing of Local and Foreign Television in Israel" (2008) [(1)]

تهدف الدراسة لاختبار العلاقات بين مقاييس المتغيرات وتفضيلات مشاهدة التليفزيون الإسرائيلي ومدى توافق البرامج الخارجية المستوردة مع الشعب الإسرائيلي وتأثيرها على المواد المحلية، وأجرى الدراسة مركز البحوث بجامعة حيفا خلال شهر سبتمبر من عام 2005 على عينة قوامها 520 من الإسرائيليين البالغين الرشد (من 18 عام فما فوق) بالاتصال عبر الهاتف، ويضم مجتمع الدراسة 112 من عرب إسرائيل (فلسطيني 1948) و116 من الإسرائيليين ذوي اصول الاتحاد السوفيتي سابقاً (هاجروا منذ عام 1989)، والبقية 292 يعتبروا من (المواطنين) الإسرائيليين والذين كانوا قبل عام 1989، ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن 67% من الإسرائيليين يشاهدون ويتابعون القنوات التليفزيونية الإسرائيلية منهم 57% يفضلون مشاهدة البرامج و79% يفضلون المواد التليفزيونية التي تتناول الموضوعات ذات الطابع الإسرائيلي (الوطنية)، ومع حالة توتر الوضع السياسي في اسرائيل تزداد نسبة مشاهدة الأخبار على القنوات الإسرائيلية إلى 88% وتوقع زيادة هذه النسبة إلى 94% مع وقوع أحداث وقصص محلية ضخمة وتنخفض إلى 64% خلال وقوع أحداث خارجية.
- وجود اختلافات بين أفراد المبحوثين إذ أن (المواطنين) الإسرائيليين يهتمون أكثر بالبرامج والاخبار المحلية ذات الطابع الإسرائيلي الخاص في الشخصية والسمات التي تتناول القضايا والموضوعات التي تتعلق (بالشئون الوطنية بالنسبة لهم) بنسبة 87%، في حين درجة الاهتمام تقل لدى المبحوثين

(1) Jonathan Cohen, "What I Watch and Who I Am: National Pride and the Viewing of Local and Foreign Television in Israel" Journal of Communication, March 2008, Vol. 58 No. 1.

الإسرائيليين القادمين من الاتحاد السوفيتي سابقاً بنسبة 49%، وعرب 1948 بنسبة قليلة لا تتجاوز 10%، وهذه الاختلافات يفسر الحاجة الماسة للاسرائيليين (الاصليين)والارتباط والاهتمام الشديد بالموضوعات المحلية التي تقدمها وسائل الإعلام.

5 -"Memory Capsules: Discursive interpretation of cultural heritage through digital media" (2007) [1]

تهدف الدراسة إلى التعرف على كيفية استثمار وسائط الإعلام الرقمية لخدمة التراث الثقافي، والذي يشار إليه باسم 'التراث الافتراضي " والنهج السائد في معظم مشاريع افتراضية التراث هو وصف المظهر الخارجي للتراث في صورة رقمية ويركز على الجوانب التقنية للمشاريع والانتقادات بشأن القيمة الفكرية والتربوية لمحتوى كثير من هذه المشاريع وتقترح الدراسة نهج منطقي لتفسير التراث في البيئات الرقمية التي تمكن النشاط مع القضايا الأساسية المتعلقة بالتراث الثقافي، بما يساهم في عملية فهم أعمق ونظرة أوسع عن أهمية ومعنى التراث ودراسة الحالة التي تهدف إلى تسليط الضوء على الإطار النظري والبحوث أو الأسئلة وترجمة القرارات التي اتخذتها الدراسة إلى دراسة حالة فعلية ؛ لاستكشاف الآثار لتنفيذها وفي النهاية لإظهار نتائج دراسة الحالة والتي يقصد بها تحقيق نهج نوعي يعمل على السماح للخروج بالبصيرة للحياة الواقعية ويترتب على المشاركة والمساهمة التي قدمتها الدراسة لأهالي هونج كونج، وبشكل جماعي فعلي للمجتمع، أن هذه العملية مكنت من تفسير منطقي لمختلف الفئات من التعامل مع التراث أكثر من عام من نهج وصفي لا تفسير، ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن تفاعل الجمهور مع التراث الثقافي ليس من الضروري أن تكون سلبية والتكنولوجيات الرقمية يمكن أن توفر فرصا لتطوير أشكال جديدة للتعبير عن التراث الثقافي والتفاهم والتعاون بشأن القضايا ذات الصلة.

---

(1)Affleck, Janice, "Memory Capsules: Discursive interpretation of cultural heritage through digital media" University of Hong Kong Information science, Architecture. Dissertation, Ph.D, 2007.

- أن المشاركة النشطة من قبل نصف المشـاركين وتشـجيعهم كـان مـن الضروري أن تكون فعالة ومع ذلك وجد أن هناك من العوامل الأساسية التي يمكن أن تؤثر عـلى عملية التنفيذ، مثل سهولة الوصول والحاجة إلى الإدارة، والاعتدال، والتمويل.
- أن المساهمات في هونج كونج تصور على نحو من التنوع والمرجح أن يتم التوصـل إلى تفسير باستخدام إما وصفية أو عندما تمثل من وجهـة نظـر مصـدر موثـوق بـه، مثل المتحف، وقد تبـين أن للمجتمـع افـتراضي يمكـن أن يـوفر الإطـار للمشـاركين في تفسير منطقي لـديها لإمكانيـة اسـتخدام المعرفـة التـي تحـتفظ بهـا مواقـع الـتراث والمتاحف، وعرض مجموعة السمات السلوكية التي يصعب التنبؤ بها ومراقبتها.
- دراسة الحالة دعت الجمهور للمشاركة في تفسـير منطقـي للـتراث الثقـافي في هـونج كـونج، وذلـك باسـتخدام الصـور الفوتوغرافيـة، والصـور، والقصـص، والـذكريات والتفسيرات في منتدى على الانترنت.

" Maintaining Korean as a heritage language " (2007) [1]

تبحث الدراسة اللغة الكورية وكيفية الحفـاظ عليهـا وممارسـات الأسر المهـاجرة في العاصـمة "فينـيكس" وتحـدد اللغـات المسـتخدمة في سـياقات مختلفـة بـين أفـراد الأسرة والمجتمع، ومحو الأمية وممارسات وسائل الإعلام والعوامل التي تـؤثر عـلى كفـاءة اللغـة التراثية، وما الاستفسارات حول وسائل الحفاظ على لغـة الـتراث وحـددت الدراسـة ثلاثـة أنواع من سياسات الأسرة في التعامل مع اللغة: الكورية التي تستخدم في المنزل واستخدام الإنجليزية في البيت، ودعم الأطفـال مـن الآبـاء والأمهـات عـلى اسـتخدام اللغـة الكوريـة باعتبارها اللغة الأم، كمسألة أسياسة وبكفاءة عاليـة وحـددت الدراسـة الآثـار الاجتماعيـة

(1) Park, Chan Young, "Maintaining Korean as a heritage language", Arizona State University: United States – Arizona, Dissertation Ph.D, 2007.

المترتبة على الحفاظ على لغة التراث للعائلات الكورية في الولايات المتحدة، فضلا عن سياق هوية تشكيل لغة التراث للمتحدثين، ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن مشاهدة برامج التلفزيون الكورية مفيدة لمعرفة اللغة الكورية بكفاءة والتحدث مع الوالدين.
- أن استخدام اللغة داخل الأسرة يزيد المعرفة باللغة الكورية لغة التراث لدى المراهقين (الجيل الذي يعتمد على الإنجليزية)، باعتبار البيت مثابة المكان رقم واحد في مجال استخدام لغة التراث، فإن الوالدين يستخدمون لغة التراث الكورية بشكل أكبر من الأجيال الشابة.
- يستخدم المراهقين اللغة الكورية ولكن معظم المبحوثين يتحدثون بالإنجليزية في مختلف أنواع الممارسات بما في ذلك إطلاعهم على الكتب واستخدامهم للإنترنت والبريد الإلكتروني.

وتقترح الدراسة مجموعة من التوصيات إلى الأسر الكورية، وخاصة للآباء والأمهات لكيفية تنفيذ نتائج هذه الدراسة ليربوا أولادهم باتقان اللغة ملمين بلغتين من خلال الحفاظ على التراث كما تدعو الحاجة إلى وعي مجتمعي بتعدد اللغات كأصل وقبول التنوع، بالإضافة إلى الجهود التي تبذلها الأسرة والمجتمع نحو لغة التراث السليمة.

" تأثير الفضائيات على ثقافة المجتمع المصري " (2005) [1] دراسة لبعض مشاهدي الفضائيات في القاهرة، تهدف للتعرف على مدى تأثير القنوات الفضائية على الثقافة المصرية واعتمدت الدارسة على منهج المسح الاجتماعي بالعينة، واستخدمت أدوات المقابلة المتعمقة وصحيفة الاستبيان والملاحظة على عينة عمدية مختارة قوامها 450 مفردة من مدينة القاهرة ومن أهم نتائج الدارسة:

(1) عبير محمود " تأثير الفضائيات على ثقافة المجتمع المصري ". رسالة دكتوراة غير منشورة (القاهرة :جامعة عين شمس - كلية الآداب - قسم الاجتماع، 2005).

- تأثير الفضائيات على القيم الاجتماعية والسياسية وخاصةً على العادات، إذ أخذت شكلاً جديداً مثل الطعام وطرق تناوله، وأوقاته، بعد أن كان يجمع شمل أفراد الأسرة، تحول إلى النمط الفردي والاعتماد على الأكلات السريعة، وفي أوقات غير ثابتة حسب أوقات الفراغ من العمل وكذلك التأثير على الملابس والأزياء، مما يؤثر على قيم التفاعل بين أفراد الأسرة والمناقشات حول مائدة الطعام والتعرف وأخذ الرأي والمشورة في الزي والملبس المناسب لكل فرد في الأسرة، كل ذلك تحول إلى قيم فردية، كالانعزالية والاعتماد على النفس، والاهتمام بالنفس دون مراعاة العادات والتقاليد.
- تؤثر الفضائيات على الاحتفالات لدى أفراد العينة وذلك في الأفراح والمناسبات السعيدة من خلال تغيير القيم الخاصة بالاحتفال، بما يتماشى مع التحولات المجتمعية، للوصول إلى مستوى المعيشة للدول الغربية، كالتقليد والتباهي والاستهلاك الترفي والبذخ والإسراف، أدى ذلك إلى ظهور قيم الأنانية والبعد عن التعاون، بين الأسرة والأهل الذين كان يلتف حولهم أفراد العائلة عند حدوث أي مناسبة لتدبير مراسم الاحتفال والتعاون على نفقاته واندثارها حتى أصبحت بين أفراد الأسرة الأولية فقط.
- أن الفضائيات تسعى لنشر القيم الاستهلاكية في الترويح ووقت الفراغ لدى المشاهدين، وذلك من خلال عرض أماكن مختلفة، لقضاء وقت الفراغ، والمشروعات الترفيهية والتجارية والتي تهدف من ورائها الربح المادي، وتدخل في مجال الترويج التجاري كمراكز التسوق التجارية ومدن الملاهي والقرى السياحية، فتبرز قيم دخيلة على المجتمع المصري تتمثل بقيم الاستهلاك الترفي الذي يهدد منظومة القيم الأصلية، وتحل محلها الثقافة الغربية الاستهلاكية التي لا تتفق مع الأوضاع الاجتماعية ولاقتصادية المحلية.
- تؤثر الفضائيات على قضاء وقت الفراغ كنوع من التجمع وجمع شمل أفراد العائلة والتزاور والتراحم حتى أدت إلى الانفراد والعزلة، والتجمع مع

الأسرة والأهل، وتحولت العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، إلى نوع من الضغوط التي تمارسها الأسرة كالالتزامات الاجتماعية للحياة اليومية بدلاً من اعتبارها نوعاً من الأنشطة الترويحية، فتؤدي إلى الاغتراب والعزلة والأنانية.

- أن نسبة 84.3% من المشاهدين ترى دخول بعض القيم في الذوق العام خلال مشاهدة الفضائيات وليس ذلك في تحديد الأذواق وإنما في توافق وتوحيد الأذواق التي تحددها الثقافات الأقوى وهذه القيم تحمل أذواقاً مبتذلة بنسبة 48.8% والخروج عن المألوف بنسبة 40%، مما أدى إلى إحلال الأذواق الغربية محل التقليدية وتدني مستوى الأذواق في اتجاه أذواق الثقافة العالمية الموحد.
- أن البيئة الثقافية تعرضت للتردي بصورة واضحة، وذلك في إطار سيطرة القيم المادية بنسبة 46.2%.

"The BBC and national identity in Britain, 1922—1954"(2005) [(1)]

تهدف الدراسة إلى التعرف على دور هيئة الإذاعة البريطانية في الحفاظ على الهوية الوطنية في بريطانيا خلال الأعوام 1922- 1954 أي قبل ظهور التلفزيون وفقدان احتكارها في عام 1954 حيث كان تفاعل المجتمع البريطاني على الساحة الإقليمية مع الثقافات، وتساعد على خلق هوية مهجنة مزدوجة لبريطانيا المعاصرة، وكانت هيئة الإذاعة البريطانية توحد الناس من المستمعين في جميع أنحاء المملكة المتحدة، وبغض النظر عن الطبقة أو الجنس أو العرق، وبرامجها شددت على أهمية الوحدة الوطنية، وخاصة أواخر 1930، عندما كانت الفاشية تهدد بتقويض الهوية البريطانية، ومع ذلك في سياساتها وبرامجها خلقت مساحات للتعبير عن الهوية الوطنية الأخرى في بريطانيا: اسكتلنديون والويليزيون والأيرلنديون، بالاعتماد أساسا على حفظ ونشر المصادر

---

(1) Hajkowski, Thomas "The BBC and national identity in Britain, 1922—1954", Northwestern University UnitedStates, Dissertation Ph.D, 2005.

الأولية، وباستخدام منهجية "الأربع" لتاريخ بريطانيا، وهذه الدراسة تكشف تغيير معالم مراسل بي بي سي البريطانية ومن أهم نتائج الدراسة:

- تسعى بي بي سي البريطانية على وجه الخصوص لبناء وحدوي، وتوافقية الهوية البريطانية الوطنية، والإمبراطورية الملكية، وفي كثير من الأحيان على أنها تمثل التراث المشترك ووحدة المصير بين كافة انحاء بريطانيا.
- سعت بي بي سي لترويج الإمبراطورية عام 1950، بعد عملية إنهاء الاستعمار واستمرت الإمبراطورية البريطانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مما يشير إلى نوع من الثقافة.
- شيدت بي بي سي الملكية كمؤسسة التي يمكن البريطانيين جميعاً اعطاء ولائهم باعتباره تعبيرا عن الالتزام بالجنسية البريطانية، ودون التعريض لسلامة هويات كل من اسكتلندا، ويلز أيرلندا.
- لم تتصرف هيئة الإذاعة البريطانية بصفتها وكيلا للهيمنة الثقافية الإنجليزية، بل تعزيز تنمية الهوية الوطنية في اسكتلندا وويلز وايرلندا الشمالية.
- أنشأت بي بي سي شبكات لاسلكية، لتعكس الجغرافيا والتاريخ، والثقافة من أي مكان وفي كل من هذه المناطق، ورغم أن جزءا من هيئة الإذاعة البريطانية، وشبكات الإذاعة الإقليمية أعطيت قدراً كبيراً من الحكم الذاتي، وتمكينها من المشاركة في عدد محدود، ولكنه هام في بناء الأمة.

" أثر البث الفضائي المباشر على الهوية الثقافية العمانية " (2005) [1] استهدفت الدراسة الكشف عن أثر البث الفضائي المباشر على أبعاد الهوية الثقافية العمانية بأبعادها المختلفة من وجهة نظر جمهور المشاهدين، والتعرف على اتجاهات المسئولين عن التليفزيون العماني نحو هذا الأثر أيضاً، وتقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية،

(1) سالم المعشني " أثر البث الفضائي المباشر على الهوية الثقافية العمانية " رسالة دكتوراة غير منشورة (القاهرة:جامعة عين شمس - كلية الآداب -قسم الاجتماع، 2005).

واعتمـدت عـلى مـنهج أسـلوب المسـح الاجتماعـي واسـتخدمت أدوات المقـابلات الحـرة والاستبيان لجمع البيانات من عينة قوامها 522 مفردة مـن طلبـة جـامعتي (قـابوس، ظفـار) وكليتي (التربية، التقنية) وعينة أخرى من المسئولين عـن التلفزيـون العـماني بلـغ عـددها 52 مفردة ما يمثل 14% من نسبة العاملين الإجمالية ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن مشاهدة القنوات الفضائية الوافدة تؤدي إلى إقبال الشباب العـماني عـلى الأزيـاء الغربية وذلك بنسبة 96.4%.
- أن 83.9 من عينة جمهور المشاهدين أجابوا بأن القنوات الفضـائية الوافـدة تشـجع العلم وتحض عليه.
- أكدت غالبية أفراد عينة جمهور المشاهدين أن مشاهدة القنوات الفضائية تـؤدي إلى تعود المشاهد على أنماط سلوكية يحرمها الدين.
- يرى 70.9% من عينة الدراسة أن للقنوات الفضائية الوافدة تأثير سـلبي عـلى القـيم والعادات والتقاليد العمانية.
- أكد 80.4 % من عينة البحـث مـن جمهـور المشـاهدين أن مشـاهدتهم للتلفزيـون العماني قد نقصت بفعل متابعتهم للقنوات الفضائية الوافدة.
- ارتفاع معدل التأثير السلبي للقنوات الفضائية الوافدة عـلى الشـباب العـماني حيـث بلغت نسبته 64.4% من إجمالي عينة الدراسة.

"نحو استراتيجية إعلامية لنقل التراث إلى الأجيال " 2004[1] تنتمي هذه الدراسـة إلى الدراسـات الإسـتشرافية forecasting studies وهـي تعنـى برصـد الواقـع بشـكل دقيق والوقوف على متغيراته بدقة ودراسة العلاقة القائمة بين هذه المتغيرات، ثـم وضـع تصورات علمية محكمة وتفسيرية لحال الظاهرة محل الدراسـة في المسـتقبل، واهتمـت الدراسة بمفهوم الـتراث والغـزو الثقـافي وموقـف البـاحثين العـرب مـن مفهـوم الإحـلال

---

(1)خالد صلاح الدين. نحو استراتيجية إعلامية لنقل التراث إلى الأجيال. دراسة استشرافية. في: مجلـة الفـن الإذاعي، اتحاد الإذاعة والتلفزيون.ج م ع. ع 173، يناير 2004، ص 91-97.

وتجاهل التراث العربي الإسلامي، وتعتمد الدراسة على أسلوبين رئيسين، الأول يتعلق باستقراء الواقع من خلال رصد دقيق لواقع الظاهرة وتاريخ تطورها والعوامل التي تؤثر فيها وعلاقتها بالظواهر الأخرى في المجتمع، والأسلوب الثاني يتعلق بالاستدلال والاستنتاج أي رسم تصورات وتوقعات لتطور الظاهرة مستقبلاً، وتضع الدراسة استراتيجية إعلامية لنقل التراث للأجيال القادمة تعتمد على المتغيرات المتعلقة بالرسالة الإعلامية والقائم بالاتصال ومن أهم ملامحها:

- ضرورة التواصل الثقافي عبر وسائل الإعلام مما يعمل على خلق ثقافة موحدة يسهل من خلالها تبادل الأفكار والمفاهيم والأدبيات بين الأمم.
- إعداد القائمين بالاتصال في وسائل الإعلام إعداداً علمياً بما يمكنهم من القيام بواجبهم في نقل التراث إلى الأجيال على النحو المطلوب.
- التعامل مع عملية نقل التراث بوصفها حملة تنطوي على أهداف طويلة المدى وأخرى قصيرة المدى وتتطلب بدورها تقويماً مبدئياً ومرحلياً ونهائياً للتحقق من مدى تحقيقها لأهدافها الموضوعة.

"American television and the cultural adjustment of Muslim immigrant youths to American culture"(2000) [1]

تبحث الدراسة تأثير وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون في تشكيل وإعادة تشكيل القيم الثقافية والمعتقدات بين مجموعتين من الشبان المسلمين: الطلاب السعوديين والطلاب غير السعوديين المقيمين في الولايات المتحدة واعتمدت الدراسة على الأطر النظرية ودراسة آثار وسائل الإعلام، واستخدمت الدراسة البحثية الاستبيان حول تأثير وسائل الإعلام الأمريكية على تطور قيمهم الثقافية، والعينة تتكون من 301 مفردة من الطلبة المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والثامنة عشرة، الذين كانوا

(1) Al-Musalamy, Hassan "American television and the cultural adjustment of Muslim immigrant youths to American culture", Howard University, United States - District of Columbia, Dissertation Ph.D, 2000.

يدرسون بالأكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن، لتحديد ما إذا كانت هناك اختلافات كبيرة بين مجموعات العينة في تصورهم لدور وسائل الإعلام في تشكيل القيم الثقافية، وبدعم من البعثة الثقافية للسفارة الملكية في المملكة العربية السعودية، والشباب في الولايات المتحدة يقبلون ويقضون الكثير من وقت الفراغ في مشاهدة التليفزيون، في ما يمكن تسميته ثقافة التلفزيون وهو جزء من جيل التلفزيون، والطفولة والحياة تتشكل من خلال التلفزيون، وتهدف الدراسة لتحليل هذا التأثير الكبير على التكيف الثقافي، وتركز على وجه التحديد العلاقة بين طبيعة ومدى مشاهدة التلفزيون والتأثير الثقافي على الشباب المسلم في الولايات المتحدة، ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن مشاهدي التليفزيون الأمريكي كانت فرصتهم أكثر في التكيف مع الثقافة الأمريكية، وهو شئ محتم بسبب أن مشاهدة البرامج التليفزيونية منذ فترة طويلة ومعتادة له تأثير على الحضور والشخصية وبالتالي على القيم الثقافة .
- أن عدد ساعات مشاهدة التلفزيون ومدة الإقامة للطلاب في الولايات المتحدة يرتبط بشكل كبير بمدى التكيف مع الثقافة الأمريكية.
- الطلاب السعوديين يرون أن مشاهدة التلفزيون يساعد في تخفيف حدة التعلم وتكيفهم مع الثقافة الأمريكية.
- زيادة البرامج التلفزيونية يزيد الطلاب السعوديين من تكييفهم مع ثقافة معينة.
- الطلاب السعوديون يشاهدون التليفزيون بشكل أساسي من أجل المتعة والتسلية أم الشبان صغار السن يشاهدون التليفزيون من أجل تعلم الثقافة.
- وحدة السلوك ربما تكون معززة خلال مشاهدة التليفزيون.
- مشاهدة التليفزيون تجعل الطلاب السعوديون يتعهدون أكثر بتحديث النشاطات وفقاً للعصر ويساعد في بعض الوقت بحفظ العادات والقيم الأمريكية.

"تأثير البث التلفزيوني المباشر على الهوية الثقافية" 1998 [1] تندرج الدراسة ضمن الدراسات الاستطلاعية، حيث اعتمدت على مسح التراث بتطبيق استمارة استبيان على عينة من جمهور مدينة الإسكندرية ممثلة للمجتمع المصري بلغت 100 مفردة، خلال النصف الثاني من سنة 1998، وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي من خلال عرض تطور الاهتمام بفكرة البث التلفزيوني المباشر وكذلك الهوية الثقافية العربية، واعتمدت الدراسة على النقد والتحليل لبعض الوثائق والدراسات العربية والأجنبية في معالجة موضوع الدراسة وقد استخدمت الدراسة المسح الاجتماعي بالعينة كطريقة في جمع البيانات واستمارة الاستبيان أداة لتنفيذ جمع البيانات ومن أهم نتائج الدراسة:

- أصبح التلفزيون- ولاسيما بعد انتشار ظاهرة البث المباشر وتزايد المحطات الفضائية - يشكل محوراً مركزياً في حياتنا اليومية، وجزءاً من ثقافتنا، ويعد أيضاً وسيلة تساهم في تكامل المجتمع ثقافياً، ويمارس تأثيراً ليس فقط على الأفراد، ولكن يؤثر أيضاً في المجتمع وفي صياغة السياسات العامة، والواقع أن تأثير التليفزيون ليس مرتبطاً فقط بما يعرض على محطاته المتنوعة، بل بما يتاح له من إنتاج وسائل الاتصال الجماهيري، وكل برامج التليفزيون يمكن أن يكون لها أثر في التكوين الثقافي للفرد والمجموع، وسواء كانت برامج للأطفال أو العائلة أو كانت برامج سينمائية أو حلقات مسلسلة أو أخباراً أو برامج متصلة بالأحداث الجارية، وسواء كانت تمثيليات أو برامج مجرد التسلية، بل أن مثل هذه البرامج تترك أثرها الثقافي في الفرد والمجتمع - بطريق غير مباشر- أكثر مما تفعله البرامج والدراسات والندوات الجادة .
- يعتبر البث التليفزيوني المباشر هو الأداء الأساسية في عولمة الاتصال، وقد انقسم الباحثون إلى مؤيدين ومعارضين لظاهرة العولمة في الإعلام، إذ يرى المؤيدون فيها تدعيماً للتدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال، ونظر إليها

---

(1)طه نجم. الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الإسكندرية: دار المعرفة، 1998).

المعارضون على أنها نفياً للتعددية الثقافية واعتداءاً على حرية وسائل الإعلام وتفويضاً لسلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات، وبغض النظر عن الاتجاهات المؤيدة والمعارضة، هناك حقيقة مؤكدة بأن الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال والمعلومات سوف تشكل عاملاً أساسياً في نشر العولمة بالإضافة إلى تنامي دور الشركات متعددة الجنسيات في مجال الاقتصاد والإعلام وتراجع دور الدولة في النظام الإعلامي العالمي الجديد ولاسيما في مجال البث الإذاعي والتليفزيوني.

- ساهم البث التليفزيون المباشر القادم من الخارج في اختراق الثقافات الوطنية ومن بينها الثقافة العربية، وإن الولايات المتحدة تنفق 250 مليار دولار سنوياً على أساليب الدعاية من أجل ترويج ثقافتها وأنشأت محطة MTV للقيام بهذه المهمة على مستوى العالم، كما أنها تبث الصور المنحرفة والموسيقى والفنون التي تدغدغ الأحلام وتقدم الإعلانات التي تقوم على الخدع والحيل السينمائية مقابل الحصول على مبالغ طائلة، وتمارس الولايات المتحدة أيضاً الهيمنة الإعلامية على كثير من دول العالم من خلال تحكمها في معظم مواد وتجهيزات الصناعة التقليدية للإعلام مثل: الورق والحبر وآلات الطباعة والتصوير وتعتبر جميع تجهيزات المعلوماتية والحاسوبية وغزو الفضاء وبنوك المعلومات تحت سيطرة الولايات المتحدة، وأخيراً تتركز معظم مصادر البث الإعلامي والأقمار الصناعية ومواد تصنيعها في يد الولايات المتحدة، وتستطيع مراكز البث والتصنيع بث الأخبار والمعلومات التي تناسبها والتحكم في الأفكار والأذواق والأزياء الثقافية والانتشار الأدبي واللغوي وأن تشكل صورة العالم بما يوافق مصالحها.
- أثبتت التحليلات النظرية أنه ليس للبث المباشر التأثير السريع في الهوية الثقافية العربية خاصة في المجالات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، ويبدو ذلك لأسباب عديدة، إذ مازالت حصة الديمقراطية في عصر المعلومات ضعيفة

بالنسبة للمواطن العربي، بالإضافة إلى إصرار الحكام والقادة العرب على استخدام الأساليب الأبوية التقليدية للحكومة في قيامها بدور الحاجز أمام تدفق المعلومات للقوى الليبرالية.

"التراث الشعبي في برامج التلفزيون المصري" 1993 [1] دراسة تحليلية ميدانية تهدف إلى تحليل ما يقدمه التليفزيون من مواد للتراث الشعبي، وتحديد الموضوعات الشعبية التي يقدمها التليفزيون، وأشكال تقديمها، والوقوف على إيجابيات هذا التقديم وسلبياته والتعرف على جمهور المهتمين بالتراث الشعبي، وعلاقتهم ببرامجه وتقييمهم لهذه البرامج واعتمدت هذه الدراسة على منهج الدراسات المسحية واستخدمت أداتي في إطار هذا المنهج وهما تحليل المضمون وتحليل الأسلوب، وتحدد مجتمع الدراسة في برامج التليفزيون المصري التي تتعامل مع التراث الشعبي بكافة صوره وعلى اختلاف أشكال هذه البرامج وعلى مختلف القنوات التليفزيونية العاملة في جمهورية مصر العربية، واستخدمت الاستبيان على المهتمين بالتراث ومن أهم نتائج الدراسة:

- حددت الدراسة التحليلية أشكال البرامج التي قدمت من خلالها مواد التراث الشعبي وبينت فقر هذه الأشكال الشديد وعدم قدرتها على إبراز مضامين التراث الشعبي في الشكل المناسب كالشكل الدرامي.
- أوضحت الدراسة التحليلية ما قدمه التلفزيون من موضوعات التراث الشعبي وما لم يقدمه من هذه الموضوعات، وكشفت عن الفجوة الكبيرة بين ما قدم وما لم يقدم.
- بينت الدراسة التحليلية مدى استخدم برامج التراث الشعبي للغة التليفزيونية ومفرداتها في المعالجة الفنية لمواد التراث الشعبي.

---

(1) أمين عبد الغنى " التراث الشعبي في برامج التلفزيون المصري". رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الإعلام - قسم الإذاعة والتلفزيون، 1993).

- أوضحت الدراسة الميدانية خصائص الجمهور المهتم بالتراث الشعبي في مصر وحددت علاقته بهذا التراث، ومدى اهتمامه به.

- بينت الدراسة الميدانية علاقة أفراد الجمهور المهتم بالتراث الشعبي بالتليفزيون وبرامج التراث الشعبي بوجه خاص وتقييم هذا الجمهور لتلك البرامج.

المحور الثاني: التراث والهوية الثقافية في ظل العولمة

"Cultural heritage beyond the "state": Palestinian heritage and nationalism "(2009) [(1)]

تهدف الدراسة التعرف على مجالات التراث الفلسطيني المختلفة وأجريت الدارسة على مدى أربعة عشر شهراً من العمل الميداني الإثنوغرافي في الضفة الغربية بين سبتمبر 2005 وكانون الأول / ديسمبر 2006، وركزت على ما بعد اتفاقات أوسلو، وهي الفترة التي بدأت في عام 1994 مع إقامة السلطة الفلسطينية "غير ذات سيادة " في أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة، وتناولت الدراسة مجال التراث وتسليط الضوء على النشاط والدور البارز للعولمة في المجتمع المدني من الناحية التاريخية وتأثير القوى الاستعمارية (الاستعمار الجديد) وظهور العديد من المنظمات غير الحكومية المحلية والمنظمات غير الحكومية بتمويل من المانحين الدوليين للمجتمع وحددت لها مهمة الإنقاذ "تنشيط" التراث القديم والتي حققت إنجازات عالية في جميع أنحاء تاريخ علم الآثار في الشرق الأوسط من الاهتمام بالمواقع الأثرية، والتي كانت خلال الحقبة الإسلامية والتراث الفلسطيني بما يضم من مواقع هامة في الفترة العثمانية والتركية من مباني تاريخية في المدن والأحياء والقائمة حالياً، وهذا التراث المبدع والخلاق في المباني لاستخدامها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من موقع الإنتاج في الوقت

(1) Cesari, Chiara."Cultural heritage beyond the "state": Palestinian heritage and nationalism", Stanford University, United States- California, Archaeology, Cultural anthropology, Dissertation Ph.D, 2009.

الحاضر. وهي أيضا موقع لتحديات الانقسام التقليدي بين التراث والذاكرة المضادة في الكثير من أهل العلم والأدب ومن أهم نتائج الدارسة:

- التراث في فلسطين يمثل المشروع الاجتماعي والسياسي التحرري، من خلال مجموعة من الأساليب، بما فيها نشر الثقافة في وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات.
- استثمار وظائف التكنولوجيا الحديثة في خدمة التراث من خلال اعتباره من الأعمال الوطنية والبقاء والمقاومة الثقافية.
- زيادة المنظمات غير الحكومية في مجال التراث لممارسات أوسع ومشاركة أكبر في الثقافة الفلسطينية عن الذاكرة والإبداع ومحاولة التماسك والاستحواذ وعلاج فترات المعاناة، وتوفير الشعور بالاستمرارية والاستقرار، وذلك حفاظاً لكرامة الناس الذين يعيشون على أرضية مهزوزة وفي حالة دائمة من الوقتية والقلق.
- دمج الأفكار والأساليب من الانثروبولوجيا في التنمية والعولمة بالبحث في مجال التراث وإجراء الدراسات والبحوث وتسليط الضوء على المناطق الرئيسية، ومواد التراث، وما تسبب به وما زال الاحتلال الإسرائيلي خلال الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وتسليط الضوء على القرارات والتغيرات الهيكلية في أنماط وآثار التراث وأثارها الحالية إلى حد كبير وخصائصها الهامة.
- دراسة التحولات العالمية للتراث الميداني الفلسطيني يأتي من المصادر خارجية كجزء من وظائفها الفرعية العابر، وذلك فوق الكيانات الوطنية.
- أن التراث الفلسطيني من جانب المنظمات غير الحكومية يمثل تعقيدا، مع التشديد على القيود الهيكلية التي تفرضها الجهات المانحة على الفلسطينيين ؛ ونظرا للضعف الفلسطيني بعدم وجود "دولة" يفسر أنثروبولوجياً إما بوصفه شكلا من أشكال "العولمة من أسفل" أو "الحكومة من بعيد".

- من خلال تمكين والتوسع الكبير في شبكة التحالفات بين المنظمات المحلية تعمل على خلق أشكال مبتكرة من التراث التي تشارك في صنع تعميم المعارف على الصعيد العالمي، وتعمل على تعبئة القواعد الشعبية للقضية الفلسطينية.

- انسحاب الدولة من إدارة التراث، في هذه الحالة، يمكن أن تفتح الباب أمام إمكانية للديمقراطية عميقة في التراث، الذي يترجم في ظهور بديل، وفي الوقت نفسه، عبر الحكومة التي تعتمد على المساعدات الدولية تهتم بالتراث، ولكن تكون غير مستقرة، ومجزأة وضعيفة.

"العولمة وملامح الثقافة الشعبية المصرية: دارسة حالة لبعض عناصر التراث الشعبي" 2008 [1] تهدف الدراسة إلى التعرف على تأثير العولمة على ملامح الثقافة الشعبية المصرية وبالأخص عناصر التراث الشعبي (الفخار، السجاد، المنتجات الخشبية) واعتمدت الدراسة على منهج فولكلوري أنثروبولوجي، وتم الاعتماد على دليل المقابلة كأداة رئيسية للدراسة تم تطبيقها على عدد 15 حالة من كل حرفة من الحرف الشعبية الثلاثة، وتم اختيار ثلاث مناطق تمثل كل منطقة منها تجمع حرفة وهي منطقة الفسطاط (الفخار) ومنطقة الحرانية (النسيج اليدوي) ومنطقة تحت الربع (خراطة الخشب) ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن سياسة الباب المفتوح والإغراق بالاستيراد من الخارج وتشجيع القطاع الخاص والشركات متعددة القوميات أدى على تدهور الحرف الشعبية على أقصى درجة، حيث أدى ازدياد تدفق السلع المستوردة في السوق الداخلية إلى نشأة منافسة غير متكافئة بين ما هو مستورد وما هو محلي.

- ارتفاع تكاليف المعيشة وغلاء الأسعار مما كان له أكبر الأثر في الاستغناء عن كثير من العمال الحرفيين والصناعيين ونتج عن ذلك تدهور الأحول المعيشية

(1) نوران أحمد. "العولمة وملامح الثقافة الشعبية المصرية: دارسة حالة لبعض عناصر التراث الشعبي "رسالة دكتوراة غير منشورة (القاهرة:جامعة عين شمس - كلية الآداب - قسم الاجتماع، 2008).

للحرفيين خاصة ؛ نظراً لانخفاض قيمة العمل اليدوي في ظل الاعتماد بصورة أكبر على العمل الآلي.

- أثرت العولمة على الحرف الشعبية باستخدام التكنولوجيا في مراحل الإنتاج ، كما أثرت العولمة على تسويق الحرف حيث أدت السلع المستوردة الأجنبية المنتجة في البلاد الرأسمالية إلى تراجع تسويق المنتجات الحرفية التي تنتجها الورش الصغيرة.
- توصلت الدراسة الميدانية إلى تعدد أساليب الثقافة الشعبية في مقاومة تأثيرات العولمة وتتضح فيما يلي:

أ- تعمل الثقافة الشعبية على التطور المستمر بما يتوافق ومتطلبات العولمة وتغيرات السوق وذلك حتى يمكنها التسويق للمنتج الشعبي، ويتم ذلك باستخدام وسائل التكنولوجيا وأدواتها في تصنيع وتسويق المنتجات في الحرفة.

ب- الاستعانة بهذه الوسائل في المجال الأكاديمي لحرفة النسيج، فتستخدم أجهزة الكمبيوتر لإخراج التصميمات وتجربة الألوان وتنسيقها عبر برامج مخصصة لذلك، كما يتم تحديث أدوات العمل باستبدال القديمة التقليدية (مواتير – أنوال) بأخرى حديثة يتم استيرادها من دول عديدة.

"العولمة والتغير الاجتماعي: دراسة تتبعية لدراسة هتاف الصامتين " 2008 [1]

تعد هذه الدراسة من الدراسات التتبعية التي تتناول بالوصف والتحليل ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات في المجتمع المصري وأهم التغيرات التي طرأت على هذه الظاهرة، وأسباب حدوثها واعتمدت الدراسة على الأسلوب المقارن وتحليل المضمون لجمع

(1)وجدي عبد اللطيف ومحمد عبد المجيد"العولمة والتغير الاجتماعي: دراسة تتبعية لدراسة هتاف الصامتين " دراسة منشورة في: المجلة العربية لعلم الاجتماع. ع1 (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، يناير 2008).

الكلمات والعبارات المكتوبة على هياكل المركبات في محافظات القاهرة والغربية والإسكندرية وكفر الشيخ، ومن أهم نتائج الدراسة:

- وجود بعض الكلمات والعبارات الأجنبية المكتوبة على هياكل سيارات " الملاكي " بصفة خاصة وهي تلك الألفاظ المتداولة بين الشباب، مما يعد أحد مظاهر الغزو الثقافي وتأثير وسائل الإعلام وهذه اللافتات الأجنبية إما أسماء أو صفات، ومنها ما يدل على الفردية والأنانية، ومنها ما يشير إلى تندي القيم والأخلاق.
- مع التغيرات التي شهدها المجتمع تغيرت بعض مضامين اللافتات في حين استمرت مجموعة أخرى ومن بين ما ستمر في تلك اللافتات التي تتضمن معاني العقيدة، والاعتقاد في الأولياء وكذلك بعض القيم كالصبر والخوف من الحسد والستر والرضا والرزق والتوكل على اللـه والقناعة والخضوع لله وعدم التسرع، أما المضامين الجديدة التي برزت فهي تدل على الفردية والأنانية وكذلك التي تسخر من الزمن نتيجة لسيادة القيم المادية بالإضافة للألفاظ الأجنبية السابقة الذكر.
- أظهرت بعض النصائح التأثير الكبير لوسائل الإعلام، كما أظهرت إحدى عبارات النصح عدم الوعي والتعصب غير الواعي والأنانية.
- اشتركت الدراستان في أن أكثر الكلمات تكراراً كان لفظ الجلالة " اللـه " واتسمت الدراسة الحالية بزيادة عدد الكلمات المكررة، وزيادة عدد مرات تكرارها، وقد جاء بعد لفظ الجلالة كلمة "اللمبي" وهي تشير إلى إحدى الشخصيات المستهترة التي صورها أحد الأفلام السينمائية وهو مؤشر قد يشير إلى إعجاب السائقين بهذه الشخصية، وجاء بعدها الكلمات التي تشير للحمد ثم الحسد ثم الصفات التي تدل على الاعتزاز والفخر.
- وجود بعض العبارات الشعبية الجديدة التي تشير إلى إحدى سمات المجتمع المصري المتمثلة في خفة الظل، وذلك بتحريف الأمثال الشعبية والأمثال

والأغاني عن قصد لتناسب غايتهم وعرضها بشكل يعكس خفة الظل المصرية.

"العولمة والقيم الاجتماعية للشباب الفلسطيني" 2006 [1] تهدف الدراسة الكشف عن الآثار والانعكاسات التي تحدثها العولمة علي القيم الاجتماعية للشباب الجامعي، واستخدمت الدراسة الاستبيان وزعت على 150 مفردة من طلاب وطالبات الجامعات الثلاثة (الإسلامية والأزهر والأقصى) ومن أهم النتائج الدراسة:

- أن للعولمة وأهدافها آثار وانعكاسات بالغة الخطورة علي الواقع السياسي الفلسطيني مما أدى إلى تدهور منقطع النظير علي الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعسكرية للمجتمع الفلسطيني.
- أن الجهة التي تقف وراء العولمة هي الولايات المتحدة في تفردها وتمتعها بالقوة التكنولوجية والاتصالية والمعلوماتية التي تساعدها في فرض هيمنتها وسيطرتها على العالم وهذا ما جعل المبحوثين يوصفوا العولمة بالأمركة، ومدى تأثير تلك الهيمنة والسيطرة علي القضية الفلسطينية.
- مدى خطورة العولمة علي ثقافة الشباب الفلسطيني (القيم والمعتقدات الدينية والأفكار والتقاليد وغيرها) وذلك من خلال وسائلها الإعلامية الاتصالية المتمثلة في الإنترنت والجوال والفضائيات وكيف ساهمت تلك الوسائل في إحداث تغيرات اجتماعية وثقافية طرأت على واقع الشباب الفلسطيني.
- التأكيد على أهمية دور كل من الجامعات والمعاهد العليا والمدارس والأسرة والمسجد ومؤسسات السلطة الوطنية في مواجهة العولمة وأهدافها والعمل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية على غرس الصيغ المعرفية الإيجابية التي تسهم في الحفاظ على الثقافة.

---

(1)يحيى الخطيب. " العولمة والقيم الاجتماعية للشباب الفلسطيني "رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية -قسم البحوث والدراسات الاجتماعية، 2006).

" التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير " 2005 [1] تهدف الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على قيمة التسامح الاجتماعي والثقافي في المجتمع المصري، وكيف يتجلى هذا التسامح في التفاعلات اليومية، مع محاولة تحديد مفهوم التسامح كما يتجلى في التراث واعتمدت الدراسة على الأسلوب الوصفي التحليلي والأسلوب المقارن والتحليل الثانوي للبيانات واستمارة المقابلة على عينة متفاوتة تبعاً للنوع والسن والخلفيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تم اختيارها من ثلاث محافظات عمدياً تنتمي الأولى للوجه القبلي (أسيوط) والثانية للوجه البحري (المنوفية) بالإضافة لمحافظة القاهرة ومن أهم نتائج الدراسة:

- الأسباب الرئيسية في حدوث التغير في التسامح إنما هي أسباب داخلية تتعلق بواقع المجتمع وظروفه حيث جاءت زيادة الضغوط في المجتمع في المقام الأول، يليها زيادة الفقر، ثم تأثير وسائل الإعلام ثم زيادة الحرية، وأخيراً زيادة الهجرة.
- وجود فروق واضحة في متوسط التسامح بين محافظات الدراسة، وتركز التسامح بدرجة أعلى في المناطق ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المرتفع، ويقل كلما انخفض هذا المستوى، وكلما زادت الكثافة السكانية في منطقة معينة كلما زادت احتمالات عدم التسامح.
- تركز مرتفعو التسامح لدى الفئات التعليمية الأقل (الأميون والذين يعرفون القراءة والكتابة فقط) ثم لذوي التعليم المتوسط وفوق المتوسط، وأخيراً لذوي التعليم الجامعي وفوق الجامعي كما أتضح أن سكان الريف أكثر تسامحاً من سكان الحضر.

(1) " التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير " تأليف: أشرف عبد الوهاب. تقديم: حسن حنفي ومحمد الجوهري دراسة منشورة في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب الثاني عشر. ط1، (جامعة القاهرة: كلية الآداب- مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2005).

- وجود علاقة دالة إحصائياً بين التسامح والديانة، وتركز منخفضو التسامح لدى عينة المسيحيين بدرجة أكبر من عينة المسلمين.
- التسامح يتجه من الداخل إلى الخارج، ويزداد مع الفئات التي ترتبط بالفرد في علاقات وثيقة ودائمة، ويقل كلما قلت درجة ارتباط الفرد بالفئات التي يتعامل معها ونتيجة لذلك جاء التسامح بدرجة اكبر مع بعض الفئات مثل: أفراد الأسرة والأقارب والأصدقاء في المرتبة الأولى، ثم يأتي التسامح مع الفئات الخاصة كالمرضى والمسنين في المرتبة الوسطى، وأخيراً تقل درجة التسامح عندما تزداد احتمالات عدم وجود علاقات اجتماعية مثلما يحدث مع فئة مدمني الخمور.
- وفيما يتعلق بالآثار الناتجة عن عدم التسامح في مجملها آثار سلبية، فإنها تؤدي إلى زيادة الكراهية والخصام بين أفراد المجتمع، ثم إلى زيادة العداوة، ثم انتشار الفوضى، ثم زيادة العنف بين الأفراد والجماعات، ثم زيادة الظلم، وأخيراً تقييد الحريات.
- سيادة مستويات متدنية من الثقة بين الناس في مناطق معيشتهم ؛ سواء في الريف أو الحضر وتقترب هذه النتيجة إلى حد كبير من تلك النتيجة الخاصة بوجود مستويات منخفضة من التسامح في المجتمع.

" Realist nights and heritage mornings: Comparing representations of British national identity, 1955-1965 and 1980-1990 " (2004) [1]

سعت الدراسة لتحديد الفروق بالجوانب الاجتماعية والثقافية مما ساعد على بلورة وتوضيح المفاهيم المتغيرة للهوية الوطنية البريطانية مع الإشارة بشكل خاص إلى فترتين: 1955-1965 و 1980- 1990، من ناحية مناطق الوفرة والنزعة الاستهلاكية،

(1) Hindmarsh, Justin Christopher, "Realist nights and heritage mornings: Comparing representations of British national identity, 1955-1965 and 1980-1990", Dissertation Ph.D., The University of York (United Kingdom) 2004.

والحراك الاجتماعي، وتراجع الإمبراطورية وإعادة اللحمة الوطنية والأخلاقية، والهجرة، والفرق العرقية، واستخدامت التحليل النوعي الموضوعي المحدد الذي ينطوي على شكل المنتجات الثقافية في هذه الفترات بحكمة بريطانية للسينما والتلفزيون والنصوص وتولي الدراسة اهتمام خاص لنماذج من المنتجات البريطانية الاجتماعية الواقعية لعام 1960 في الوقت المبكر والتراث الدرامي فترة عقدين من الزمن في وقت لاحق وتحليل الجوانب فيما يتعلق بالطرق من خلال خصائص النصوص المختارة في وسائل الإعلام البريطانية من حيث آثارها الاجتماعية والأخلاقية والالتزام السياسي تجاه أوسع التغييرات الاجتماعية والثقافية داخل بريطانيا ومقارنتها مع نتائج أخرى، بالاستجواب واستعادة الهوية الوطنية خلال هاتين الفترتين والتركيز الذي يربط بين التحليل التاريخي والثقافي معا للدراسة.

"قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع: دارسة للثبات والتغير الاجتماعي" 2003[1] اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي وأدواته (المعايشة والملاحظة بأنواعها والمقابلة باستخدام دليل العمل الميداني) والمنهج المقارن ومنهج طرق التقييم السريع على أكثر من منطقة تمثل المجتمع المصري ككل بكافة أنماطه الثقافية (ريف - حضر - بدو) ومن أهم ما تناولته الدارسة:

- قضايا تمكين المرأة بين التراث والواقع من خلال حقها في التعليم مع ذكر مزايا وعيوب تعليم المرأة ونوع التعليم المفضل لها وحقها في الميراث وتوضيح أشكال التحايل.
- قضايا الأحوال الشخصية بين التراث والواقع كالقضايا المرتبطة بالزواج (حق المرأة في اختيار شريك حياتها، وحق المرأة في المهر، والسن عند الزواج).

(1) علياء شكري " قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع: دارسة للثبات والتغير الاجتماعي " دراسة منشورة في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب الثالث عشر. ط1 (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2003).

- قضايا الطلاق والحقوق القانونية وتعدد الزوجات والعنف ضد المرأة وسلبيات سفر الأزواج أو الزوجات للخارج.
- حق المرأة في العمل في الشريعة والقانون الوضعي والواقع، بالإضافة لحقوق أخرى كحق المرأة في الاستقلال بذمة مالية وحق المرأة بالترفية.

"role of a hybrid language in the construction of identity and youth culture in Nairobi, Kenya" (2002) [1]

دراسة على الشباب في نيروبي بالمناطق الحضرية التي تمزج اللغة الإنجليزية والسواحيلية والأعراق والعديد من السمات، من أجل بناء هوية مختلطة تقوم المؤسسات العائلية والكنائس، والمدارس، ووسائل الإعلام الكينية بتشكيل هويات مختلفة فالأسرة تأتي تروج الغات العرقية التي تجسد التقاليد والتراث ومؤسسات التعليم تطلب منهم السواحيلية في وسط متعدد الثقافات الأيديولوجية، وباللغة الإنكليزية، والكنيسة تروج اللغة السواحيلية والإنجليزية ووسائل الإعلام في أشرطة الفيديو والأفلام والموسيقى والإذاعة والتلفزيون والاستماع إلى معظمها باللغة الإنكليزية، كل من هذه اللغات تمثل أيديولوجيات وخصوصا عند الشباب من خلال الاستجابة للغة، (شنغ) تعطي الشباب ما يلزم لهذه المسألة، والطعن في الأيديولوجيات والهويات التي تحاول أن تحدد لها، كما يدل على (شنغ) تضم بناء لغوي ثالث بين الفضائية العالمية، ممثلة عبر الثقافة الأفريقية والمحلية، والتقاليد التي تمثلها.

وتركز الدراسة على مجموعتين من ناشري الثقافة التي تساعد على تشكيل الهوية – الراب والموسيقيين، والعديد من مغنو الراب في كينيا تشعر بالمسؤولية تجاه الشباب التزاما بتعزيز أهمية التراث الأفريقي في الشباب وتعريف الذات، ومغنو الراب بين التقليد والحداثة والوقوف في العالمي والمحلي، عن طريق استهلاك السلع الأساسية، بما فيها الأزياء والموسيقى والثقافة والرمزية في التعبير عن الهوية.

---

(1)Samper, David Arthur " role of a hybrid language in the construction of identity and youth culture in Nairobi, Kenya", University of Pennsylvania, United States-Pennsylvanian, Dissertation, Ph.D, 2002.

" Effects of Portuguese heritage schooling on language attitudes, cultural identity, academic performance, and educational aspirations of Portuguese American students: A comparative study " (2000) (1)

تهدف لدراسة ومقارنة آثار تعليم البرتغالي على اللغة والمواقف، والهوية الثقافية، والأداء الأكاديمي وتطلعات التعليم لمجموعتين من الطلاب البرتغالية والأمريكية، مجموعة واحدة على الأقل لخمس سنوات من التعليم المدرسي للتراث البرتغالي بالمقارنة مع مجموعة تخضع للتعليم الثنائي اللغة وشملت الدراسة ما مجموعه 236 مفردة: 120 في مجموعة التراث البرتغالي و 116 في مجموعة التعليم الثنائي اللغة للأعمار من 12 إلى 17 سنة ويعيشون في جنوب نيو انجلاند واستخدمت الدراسة الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل بيانات وصفية وشملت الإحصاءات مثل الترددات ومقاييس النزعة والتقنيات الإحصائية، واختبار (ت) وتحليل التباين (ANOVA)، ومن أهم نتائج الدراسة:

- كشفت الدراسة عن اختلافات كبيرة بين المجموعتين، الطلاب الذين درسوا التراث في المدارس البرتغالية ذكروا ما يلي:
  (1) مواقف أكثر إيجابية تجاه اللغة البرتغالية.
  (2) ارتفاع مستوى الثقافة البرتغالية.
  (3) الأداء الأكاديمي أعلى.
- أن الطلبة الذين درسوا التراث البرتغالي شهدت المدارس التالي:
  (1) ارتفاع وتيرة المشاركة الفعالة في مجتمعاتهم.
  (2) توثيق العلاقات مع البرتغال.
  (3) ارتفاع وتيرة مشاهدة التلفزيون في منازلهم للغة البرتغالية.

---

(1)Bento, Antonio Maria Veloso, "Effects of Portuguese heritage schooling on language attitudes, cultural identity, academic performance, and educational aspirations of Portuguese American students: A comparative study", University of Massachusetts Lowell, United States-Massachusetts, 2000.

- دراسة التراث البرتغالي بانتظام في المدارس المدارس له فوائد تعليمية كبيرة للطلاب ويحافظ على اللغة البرتغالية والثقافة داخل المجتمع، ويساعد في ترابط 200 مليون يتحدثون البرتغالية في اتحاد البلدان الناطقة بالبرتغالية.

" ديناميات تغيير التراث الشعبي في المجتمع المصري " 2002 [1] دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة، تهدف للكشف عن ديناميات التغيير من خلال دراسة عادات الطعام وتتبع أهم التغيرات التي شملت المجتمع المصري وشملت عينة الدراسة لتسعة حالات ممثلين لكافة الشرائح الطبقية لقرية "المعتمدية" إحدى قرى محافظة الجيزة، واعتمدت الدراسة على عدة مناهج: المنهج الفلكلوري والمنهج الانثروبولوجي والمنهج الأيكولوجي ومنهج دراسة المجتمع المحلي ومنهج دراسة حالة مستخدمة أدوات جمع البيات (دليل العمل الميداني الملاحظة بالمشاركة المقابلات، التصوير الفوتوغرافي) ومن أهم نتائج الدراسة:

حدوث تغييرات ملحوظة في عادات الطعام وآداب المائدة نتيجة عدة عوامل تمارس دوراً حيوياً في إحداث التغيير كعامل الاتصال والتعليم والامتداد العمراني، وأهمها عامل الاتصال على المستويين الفردي والجمعي، وتتمثل التغيرات من خلال وسائل الاتصال الجمعي في:

أ- مارست وسائل الإعلام دوراً ملموساً في تغيير جوانب عادات الطعام وآداب المائدة، ويعد التليفزيون من أكثر وسائل الإعلام إحداثاً للتغيير من خلال ما يبثه من البرامج المختلفة لطرق وإعداد أنواع الأطعمة، إلى جانب التوعية التي تقدمها هذه البرامج فيما يخص الغذاء الصحي لبعض الفئات التي تحتاج لرعاية خاصة

(1) " ديناميات تغيير التراث الشعبي في المجتمع المصري " دراسة منشورة في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب العاشر. تأليف: نجوى الشايب. إشراف وتقديم: علياء شكري. ط1، (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002).

كالحامل والمرضع والأطفال وكذلك التوعية بطرق الطهي الصحية ونوعيات الأطعمة التي يتعين على الفرد الحرص على تناولها وتلك التي يجب الابتعاد عنها.

ب- أهمية الدور الذي تمارسه وسائل الإعلام من خلال ما تبثه من مسلسلات أو أفلام في التغيرات التي تطرأ على الأسرة وتحضرها أو محاولة تشبيهها بالحضر، ومن ذلك طريقة تناول الطعام واجتماع الأسرة حول المائدة واستخدام أدوات المائدة.

ج- أن الراديو يلي التليفزيون في التأثير، وإن كان تأثيره قد قل بعد انتشار التليفزيون، ثم يليها الصحف والمجلات والكتب وينحصر تأثيرها في القلة المتعلمة أو التي توجه اهتماماً للقراءة بصفة عامة.

- "التراث الشعبي والبناء الطبقي" 2002 [1] دراسة لعمليات إنتاج الثقافة الشعبية وتداولها بين فقراء الحضر في القاهرة، وتهدف هذه الدراسة إلى فهم البعد الطبقي لعمليات إنتاج وتداول الثقافة الشعبية لدى فقراء الحضر، وأجرى الباحث عدة زيارات ميدانية مكثفة بسكان الجوابر بحي بولاق مستخدماً خمس أدوات لجمع البيانات وهى (صحيفة الاستبيان - المقابلات الأولية المتعمقة - دليل العمل الميداني - دراسة الحالة - الملاحظة)، ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن استعادة التراث في حياة الفقراء تتم بطريقتين الأولى تعتمد على احتكام الشخص لخبراته الماضية والثانية تعتمد على احتكام الشخص لخبرات الآخرين الماضية مع التراث وتعتمد هذه الطريقة على التفاعل الإنساني وبالتالي تتعدد مصادر الاحتكام إلى التراث ويتفاعل فيها الماضي مع الحاضر.
- أن محددات الاحتكام إلى التراث تختلف باختلاف الأشخاص والمواقف والأحداث والسياقات بالإضافة إلى اختلاف طبيعة العنصر الثقافي ذاته، ويميل الفقراء إلى الاستعانة بالتراث السحري في مختلف المواقف والأحداث التي

(1) السعيد المصري: " التراث الشعبي والبناء الطبقي " رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الآداب - قسم الاجتماع 2002).

تنطوي على مشكلات أو أزمات، ويتم توظيف الأمثال في العديد من مواقف التفاعل وأفعال الكلام.

- قدمت الدراسة بعض الملاحظات حول مظاهر الإبداع الثقافي في مجال الأمثال والأغاني والحكايات ودللت على أن التراث يتجدد عبر انتقاله من جيل إلى جيل وهناك إبداعات للجيل الجديد تملأ فراغات الذاكرة الجماعية وتسقط عمداً من التراث ما لا يتناسب مع حاضرها وتضيف عناصر جديدة تجعل من العنصر التراثي شيئاً حميماً للجيل الجديد وبعض الصياغات الجديدة أو المبتكرة هي تنويع من صياغات قديمة تتناسب مع الحاضر.

"التراث الشعبي وتربية الطفل المصري " 1994 [1] دراسة تحليلية تهدف إلى التعرف على أهم الوسائط التي يمكن عن طريقها أن يتعرف الطفل علي التراث الشعبي وإبراز الدور الذي تقوم به في هذا المجال على عينة من الأطفال واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي واستخدمت أسلوب تحليل المحتوى ومن أهم النتائج الدراسة:

- استلهام الأسلوب الشعبي في وسائل الاتصال الإذاعي والتليفزيوني ولابد أن يقوم على المشاركة المباشرة بين المرسل والمتلقي وتتيح للأطفال قدر الامكان المشاركة الجماعية وليس فقط مجرد بث للبرامج.
- اتصال الطفل بعناصر التراث الشعبي من خلال وسائط الاتصال الإعلامي كالصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون أكثر تعقيداً من اتصاله بعناصر هذا التراث من خلال وسائط الاتصال الشخصي.
- تعد الفنون الشعبية بمختلف ألوانها وأشكالها في مقدمة العوامل التي تلعب دوراً هاماً في تربية ذوق الطفل وتهذيب وجدانه.

---

(1) محمد زاهر " التراث الشعبي وتربية الطفل المصري ". دراسة تحليلية منشورة (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 1994).

المحور الثالث: دراسات تتعلق بالتراث المادي (المعماري والعمراني) والفني

أ- دراسات تتعلق بالتراث المادي (المعماري والعمراني):

" in Her Hands Crafts Women changing the world " (2007) [(1)]

دراسة تتبعية لحرفيات في مجالات متعددة (الصناعات الخزفية، القبعات والسلاسل، الخيام السجاد اليدوي العرائس القماشية، أشغال التطريز والمصوغات المعدنية) في بلدان تقع في كل من القارات الثلاثة الأفريقية والآسيوية وأوروبا وسعت الدراسة للوقوف على طبيعة كل نمط من هذه الحرف وأسلوب حياة Way of Life العاملين بكل نمط، ودور المرأة في كل نمط من هذه الأنماط، كما عرضت للجماعات العرقية في تلك البلدان حيث انتقلت الفنون عبر العصور من الأمهات إلى الفتيات وهي دارسة تاريخ حياة أو السيرة الشخصية Biography لعشرين امرأة تعمل بالحرف السابق ذكرها وفي عدة دول تمثلت في دول أفريقيا (نيجيريا، أثيوبيا) ودول أسيا (تايلاند، أندونسيا) وقارة أوروبا (بلغاريا، الدنمارك)، واستعانت الدراسة بالخطابات العائلية المتبادلة، والصور الشخصية والمذكرات الخاصة بحالات الدراسة والمدعمة بأساليب البحث الأنثروبولوجية ومن أهم نتائج الدراسة:

- تمارس المرأة دوراً رئيسياً في إنتاج الحرف اليدوية، وتبدأ عملها في هذه الحرف من سن مبكر وحتى بعد الزواج.
- لا يساهم العمل في هذه الحرف اليدوية في ارتفاع مكانة المرأة داخل تلك المجتمعات حيث المكانة دائماً للزوج والذي يقوم بإنفاق الأموال على متعته الشخصية فقط من تدخين وخلافه.

(1) Paola Gianturco and Toby Tuttle, "in Her Hands Crafts Women changing the world" , Second edition , power House Books , New York ,2007.

- على الرغم من معرفة المرأة بوسائل تنظيم النسل إلا أن معظم النساء لا يستخدمنها بشكل واضح حيث يعمل الأطفال بشكل واضح بالحرف ويشكلون مصدر دخل ومكانة للأسرة.
- تعمل معظم النساء على رعاية أبنائهن وتعليمهم، فالتعليم يؤدي إلى الحراك الأفقي للأبناء.

"موقف الفكر المعماري المعاصر من التراث " 2005 [1] دراسة تطبيقية على مواقف التفاعل مع التراث الإسلامي في العمارة المصرية المعاصرة بين التبعية والإبداع، تهدف الدراسة إلى البحث عن المواقف المصرية المساهمة في تأكيد الهوية وتحقيق الاستمرارية الحضارية، واعتمدت الدراسة على المنهج النظري والمنهج التحليلي والمنهج التطبيقي بانتقاء عينات من المباني تمثل مواقف عمارة ما بعد الحداثة في مصر بين التبعية والتأييد ومن أهم نتائج الدراسة:

- يعتبر البعد المادي والبعد المعنوي شقين متلازمين في تناول مفهوم التراث فيمثل الشق المادي للتراث كعمل إبداعي يحمل تشكيلاً ومفردات متميزة وكنتاج لأزمنة متباينة يحظى بتقدير المجتمع ويمثل الشق المعنوي مضمون التراث من اعتبارات ثقافية ومكانية فيحمل ملامح المكان ويترجم أسلوب الجماعة في التفاعل مع المحيط.
- يساهم الفهم المتعمق للجانب المعنوي للتراث في تعظيم قيمته الإيجابية كنتاج يحمل قيمة تتجاوز البعد الشكلي ويصعب استنساخه، والتراث يمثل نبعاً للإلهام وله القابلية لأن يستمر وليؤكد هوية الجماعة ويضم الإضافات المتميزة المتعاقبة للأجيال كعملية تراكمية إيجابية ومستمرة ترتبط بالقدرة على الإبداع والابتكار وعدم التطابق مع الموروث.

---

(1)نانسي إميل" موقف الفكر المعماري المعاصر من التراث". رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة:كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية، 2005).

- تمثل عمارة الحداثة المتطورة الانفصال التام عن التراث ويميزها المبالغة في استخدام التكنولوجيا وإقامة عمارة مكتفية ذاتياً تهدف لإبهار المشاهد.
- تأخذ العمارة التفكيكية موقفاً يميل إلى الانفصال عن التراث أكثر من تأييده فيتميز نتاجها المعماري بهدم كل الأسس الهندسية الشكلية والسطحية التقليدية.
- تعتبر عمارة ما بعد الحداثة أكثر الاتجاهات تواصلاً مع التراث وتأييداً له، حيث يعتمد الأساس الفكري لها على المسار المزدوج والتواصل مع الفترات التقليدية للعمارة.

" الكراسي والمقاعد في مصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة " 2005[1] تهدف لدراسة جميع أنواع وطراز الكراسي في مصر القديمة ومن أهم نتائج الدراسة:

- استخلص النجار المصري الأخشاب لصنع الكراسي إما من أخشاب محلية أو مستورة وارتبط بعضها بمعتقداته الدينية وبعضها الأخر لصلابته مثل الجميز والأرز والأثل والنخيل أو لجماله مثل الأبنوس.
- صنع النجارون أنواعاً عديدة من الكراسي كان أكثرها انتشاراً بالنسبة للأفراد وهي تلك الكراسي البسيطة التي شكلت أرجلها على هيئة أرجل الثور.
- استخدام الأفراد لأشكال مختلفة من الكراسي منها ما هو على شكل كتلة بسيطة أو ذو مسند قصير.
- أوضحت الدارسة أن الكرسي المكعب قد استخدمه كل من الأفراد والملوك.
- أن كل جزء من أجزاء كرسي العرش كان له رمزية عند المصري القديم وكان يرمز لكل جزء بفكرة معينة، وأيضاً الأشكال المصورة على الكرسي كان لكل منها معنى رمزي ومعنى ديني.

---

(1) داليا حنفي " الكراسي والمقاعد في مصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 2005).

"المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعماري والعمراني" 2003[1] تهدف الدراسة إلى استخلاص الأفكار التي تبنتها المواثيق والتوصيات والقرارات الدولية للحفاظ على التراث لكي يبنى عليها اتجاها قوميا واضحاً للتعامل مع التراث المعماري والعمراني في مصر وتعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي ومن أهم نتائج الدراسة:

- مفهوم التراث الحضاري أصبح يحمل معنى كل ما خلفته الأجيال السابقة من تراث صنعه الإنسان أو يرتبط بطبيعة وتنسيق الأرض كتعبير مادي عن الحضارة وما يرتبط به من مكونات غير مادية.
- حقيقة التنوع الحضاري بين دول العالم المختلفة واختلاف معنى التراث والقيم المرتبطة به أحد أهم عوامل مشاركة المؤسسات الدولية والإقليمية في تمويل ودعم عمليات الحفاظ التراثي.
- تأكيد العمق الزمني للمكان بالحفاظ على الشواهد الحضارية لكل الحقبات الزمنية التي مرت عليه كأحد عوامل تقييم إجراءات التعامل مع التراث، بحيث يتم احترام إضافات كل الحقبات وعدم التركيز على حقبة زمنية بعينها مما ينقل رسالة خاطئة عن حياة الأجيال السابقة.
- اهتمام المواثيق والتوصيات بالإضافة الحضارية للأقليات والثقافات الجزئية للجماعة الواحدة.
- وجوب مشاركة المجتمع المحلي في تقرير إجراءات الحفاظ على التراث الحضاري واتخاذ القرارات المناسبة بخصوص أعداد الزوار وطرق تعاملهم مع عناصر التراث موضع الاهتمام بحيث لا تؤدي إلى تدميره أو تدهوره.

---

(1) أماني الريس " المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعماري والعمراني " رسالة ماجستير غير منشورة(جامعة القاهرة: كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية، 2003).

" تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية " 2002[1] دراسة ميدانية لسياقات اجتماعية متباينة بمصر، تهدف إلى رصد تأثيرات وأنماط العمران على التفاعلات الجارية للثقافة الشعبية في السياقات الاجتماعية المتباينة، وإلى أي مدى يتأثر كل من النمط العمراني بالثقافة الشعبية والعكس، واعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة مستخدمة المقابلة ودليل الملاحظة على 30 حالة داخل أنماط مناطق الدراسة وهي الحضر وشبه الحضري والريفي والساحلي والصحراوي ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن للعولمة آثاراً سلبية على المجتمع والثقافة، وتوجد مجموعة من ملامح التغيير في الثقافة الشعبية منها: انحسار التقليدي في مواجهة الحداثي، وسيادة الروح الفردية في مواجهة الروح الجماعية والاتجاه للاستهلاك بدلاً من الإنتاج، وسيطرة النزعة المادية على نظيرتها الروحية.
- ارتباط أي تحول بالنمط العمراني أو التباينات بين الأنماط العمرانية المختلفة بالتحولات البنائية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع.
- أن تغييراً شديداً قد أصاب المعتقدات الشعبية (السحر، التفاؤل، التشاؤوم، القوى الغيبية الأولياء الطب الشعبي) وإن استمر الإيمان والاعتقاد فيها سائداً بين بعض الفئات في الأنماط العمرانية المختلفة.
- ازدادت أعداد المساكن المشيدة على الطرز المعمارية الحديثة في كل الأنماط وبقيت المساكن ذات الطرز المعمارية القديمة، إما للتعبير عن مستوى اقتصادي منخفض من حيث طبيعة مواد البناء أو لعدم وجود إمكانية في تغيير هذه الطرز التقليدية.

(1) " تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية " دراسة منشورة في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب السادس. إعداد فريق بحث: محمود جاد وآخرون. إشراف وتحرير: محمود الكردي. ط1، (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002).

- لم تظهر الدراسة الميدانية أي اختلاف فيما يتعلق بالزي عموماً وزي المناسبات خصوصاً لدى العينة.

"أثر التغيرات الثقافية على الأنساق التصميمية للنتاج البنائي" 2002 [1] مع ذكر خاص لظاهرة استحداث التراث في مشروعات الإسكان الفاخرة بالمدن المصرية الجديدة وتهدف الدراسة إلى تتبع دور الفعاليات المشاركة في العملية التصميمية وتأثيرها على ظاهرة استرجاع المخزون التراثي ورصد مردود الثقافات الوافدة على المجتمع المصري وانعكاسها على النتاج البنائي المعماري والعمراني وتتبع أسباب هذه الظاهرة، وركزت الدراسة البحثية على مجال التجمعات السكنية المتميزة لذوى الدخول المرتفعة (الإسكان الفاخر) وخاصة في المدن الجديدة ودراسة العوامل المؤثرة عليه واستخدمت الدراسة المنهج النظري والمنهج التطبيقي العملي ومن أهم نتائج الدراسة:

- يمثل المجتمع المحلي شبكة قوية مترابطة من الجماعات الاجتماعية ذات الثقافات المتميزة والمشتركة في قيم وعادات وتقاليد يتبلور منها النسق الاجتماعي الشامل والذي يفرز بدوره العمارة المحلية التي تحدد تميز هوية وشخصية هذا المجتمع.
- تعتبر الثقافة بمستوياتها المادية وغير المادية من أهم تشكيل النتاج البنائي (المعماري والعمراني) وتتغير ملامح وسمات العمارة والعمران من عصر لآخر تبعاً لتغيير الفكر الجماعي والثقافي للمجتمع.
- العمارة المحلية تعبير حي عن وجدان المجتمع وتحقيق رغباته الدائمة في الانتماء والخلق والإبداع وهي تعبير عن المخزون التراثي الخاص من الموارد والعوامل غير العمرانية للمجتمع.

(1) نهى الصياد " أثر التغيرات الثقافية على الأنساق التصميمية للنتاج البنائي " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية، 2002).

- اتسم المجتمع في مرحلة استمرارية التواصل الحضاري بين العمارة والمجتمع بالحفاظ على الهوية الثقافية الواحدة للمجتمع المصري وثبات القيم والمحددات في قالب روائي.
- إثر تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي في مجالات الحياة المختلفة ظهرت الطبقات الرأسمالية الجديدة من مقاولين وتجار ورجال أعمال والعائدين من الدول العربية والتي أدت إلى ظاهرة تقليد النموذج الغربي (استحداث التراث) كنمط تفاخري.
- وانعكس هذا التقليد في اختيارهم للتجمعات السكنية الفاخرة بالمدن الجديدة للسكن فيها وشراء الفيلات ذات الطابع الغربي لتحقيق بعض الدوافع السيكولوجية في محاولة للانتماء لمجتمع ثقافي اقتصادي عالي وتحقق متطلباتهم في التميز والرقي.

"مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر العتيق" 1999 [1] تناولت الدراسة موضوع مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر العتيق دراسة مقارنة للتأثيرات الحضارية المتبادلة مستخدمة المنهج النظري والمقارن ومن أهم نتائج الدراسة:

- وجود تأثيرات معمارية مصرية في بعض مواقع جنوب بلاد الشام ولاسيما في موقع تل عريني.
- في مجال صناعة الأدوات الحجرية عثر على أدوات مصرية في وادي غزة بفلسطين.
- في مجال تشكيل الأواني الفخارية فقد وجد في موقع عصر البرونز المبكر الأول ببلاد الشام أواني فخارية مصرية بمختلف أنواعها المعروفة خلال عصر ما قبل الأسرات.

---

(1) حسني عمار " مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر العتيق " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية،1999).

- في مجال العمارة تشابهت مساكن الكهوف بالمعادي مع بعـض مسـاكن الكهـوف في جنوب بلاد الشام (بيرشيبا).
- دلت آثار العصر العتيق ونصوصـه القصـيرة في مصر عـلى اسـتمرار اسـتيراد الزيـوت والأخشاب الصنوبرية من بلاد الشام.
- في المجال الفني فقد كانت بلاد الشام لاسيما سوريا ولبنان التي كانـت أكـثر ارتباطـاً بحضارة بلاد النهرين تقوم بدور الوسيط في نقل بعض العناصر الفنية من حضـارة بلاد النهرين وحضارة إيران إلى مصر.
- خـلال عصر حضـارة نقـادة الثالثـة كانـت مصر بلـداً مفتوحـاً ومتصـلاً بـبلاد الشـام فأخذت منها وأعطت لها بكل مقاييس الأخـذ والعطـاء وقـد وصـل الأمـر إلى حـد وجود بعض مواطن استقرار مصرية في جنوب فلسطين.

"التبـادل الحضـاري بـين مصر وأطـراف الهـلال الخصـيب " 1995 [(1)] تناولـت الدراسـة موضوع التبادل الحضاري بين مصر وأطراف الهلال الخصيب من نهاية الدولة القديمة وحتـى نهايـة عصر الانتقـال الثـاني في ضـوء الكشـوف الأثريـة الحديثـة مسـتخدمة المـنهج النظـري والمقارن ومن أهم نتائج الدراسة:

- أن إقليم الهلال الخصيب قد استفاد من موقعه البيئي كأحد حلقات الاتصال بـين قارات العالم القديم كما كـان حلقـة الوصـل بـين أقـدم حضـارتين في الشرق الأدنى القديم هي الحضارتين المصرية والعراقية.
- أوضحت الدراسة علاقة مصر بهذا الإقليم منذ عصور ما قبل التاريخ وكانت هـذه العلاقات قائمة على أساس من الود والتجارة.
- أخذت مصر من جيرانها سكان مناطق أطراف الهلال الخصيب بعـض أفكـارهم في مجال صناعة الفخار فظهر فيها ما يعرف باسم فخار أبيدوس.

(1) حسين محمد حسين " التبادل الحضـاري بـين مصر وأطـراف الهـلال الخصـيب " رسـالة ماجسـتير غـير منشورة، (جامعة القاهرة:كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1995).

- رغم أن عصر الانتقال الأول كان عصر تفكك في السلطة وفتن داخلية إلى أن الشواهد الأثرية أثبتت أن سبل التجارة لم تنقطع تماما بين مصر وجيرانها الشماليين والشرقيين نتيجة الهجرات الامورية عليها بل على العكس كانت هذه العلاقات التجارية قائمة.
- أتضح أن مصر كان لها التأثير الأكبر على جيرانها سكان مناطق الهلال الخصيب طوال فترة اتصالها بهم منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى نهاية عصر الانتقال الثاني.

"تطور السكن والقصور في مصر القديمة من أقدم العصور حتى بداية عصور الدولة الحديثة " 1980 [1] وقسمت الدراسة إلى ثلاث فترات متميزة: الفترة الأولى عصور ما قبل التاريخ والفترة الثانية تبدأ من بداية العصور التاريخية وتشمل العصر العتيق وعصر الدولة القديمة وعهد الانتقال الأول، أما الفترة الثالثة وتبدأ من بداية عصر الدولة الوسطى وتنتهي بنهاية عهد الانتقال الثاني وبداية عصر الدولة الحديثة ومن أهم نتائج الدراسة:

- استكشاف أصول وبداية تكوين العناصر المعمارية والإنشائية التي شكلت العمارة السكنية في مصر في عصور ما قبل التاريخ في العمارة النباتية.
- إظهار المميزات البارزة للمساكن وأسس تصميمها في مصر القديمة وما تعرضت له هذه الأسس من تغييرات في تطورها حتى اكتمالها في بداية عصر الدولة الحديثة نتيجة لتأثير العوامل الطبيعية والجغرافية والجيولوجية والمناخية والتي ضلت باقية دون تغيير ملحوظ قروناً طويلة نتيجة لتأثير العوامل الحضارية والبشرية المختلفة وهي غالباً عوامل متغيرة.

---

(1) محمد سمير " تطور السكن والقصور في مصر القديمة من أقدم العصور حتى بداية عصور الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1980).

- إعادة التقييم للعمارة المصرية القديمة من خلال تقييم العمارة السكنية في هذه الفترة وذلك بتحليل الملائمة البيئية الوظيفية لهذه العمارة، والتي كشفت وجود نظام دقيق لتخطيط المدن ووجود برنامج إسكاني متكامل النماذج المختلفة من المساكن والملائمة مع البنية الطبيعية والعوامل المناخية.

ب- دراسات تتعلق بالتراث الفني

"توظيف التراث في شعر سميح القاسم " 2007 [1] تهدف الدراسة إلى بيان خصوصية التراث لدى سميح القاسم والتكنيكات الفنية والأدوات الشعرية التي استخدمها في ذلك وهل تميز توظيفه للتراث من غيره من الشعراء ؟ وهل وفق في تعامله مع القصيدة التراثية ؟ وتسعى الدراسة إلى توضيح مدى الرقي الفني الذي وصل إلية شعر سميح القاسم كنموذج للشعر الفلسطيني ؟ وما هي تقناياته وما استحدث من تقنيات ؟ وتسليط الضوء على أنماط جديدة من التراث وظفها الشاعر ولم ينتبه إليها الدارسون كتوظيف الشكل التراثي، وذلك من خلال إتباع المنهجيات الحديثة وبيان مدى عمق التجريب في شعر سميح القاسم في استخدامه للتراث ومكانته على خريطة الشعر العربي بالنسبة لهذه الظاهرة، ومن أهم نتائج الدراسة:

- أجاد الشاعر في توظيف التراث في شعره، وتبين من خلال توظيف الثقافة العالية وقدرته على تقديم أي فكرة يريد التعبير عنها في قالب تراثي ومن خلال تتبع البحث لجزئية توظيف التراث تكشفت جوانب فنية عديدة في شعر سميح القاسم منها:
- أن سميح القاسم من أهم المجددين والمبدعين ليس على مستوى الشعر الفلسطيني فقط بل على مستوى الشعر العربي المعاصر أيضاً، حيث نجد لدية تسميات جديدة لنوعية معينة من القصائد مثل مصطلح "سربية" الذي يطلقه على القصائد الطوال فهو أول من أطلق هذا المسمى ولم يكن له وجود قبله.
- توظيف التراث من قبل سميح القاسم باستخدام الرموز اليهودية والعبرية بشكل واضح لأبعد حد وذلك لمواجهه العدو من واقع لغته وعقيدته لذا كثرت استشهاداته من التوراة.

(1) لولوة العبد الله " توظيف التراث في شعر سميح " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية دار العلوم - قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، 2007).

- توظيف التراث لدى الشاعر ظاهرة وجدت في أنواع متعددة من القصائد لديه، ولم تسجل مرحلة معينة من مراحله الشعرية تفوقاً لتوظيف التراث على الأخرى.
- استطاع الشاعر أن يتحرر تدريجياً من نبرة الخطابية والمباشرة في شعره.

" التراث والمعاصرة في مختارات من رواد الخزف المصري المعاصر " 2007" [1] تهدف إلى الكشف عن العوامل المختلفة التي أثرت على أعمال الرواد والتعرف على أسلوبهم في التشكيل الفني ودراسة التراث المصري القديم والإسلامي والشعبي الذي استقى الرواد أعمالهم الفنية وتمثلت حدود الدراسة في دراسة المراحل التاريخية التي مر بها الفنانين الرواد من بداية دراستهم في مجال الفنون واعتمدت الدارسة على المنهج التاريخي والتحليلي ومن أهم نتائج الدراسة:

- للتراث تأثير مباشر في تشكيل ومضمون الإعمال الخزفية للرواد المصريين في مجال الخزف.
- هناك فروق فردية في طرق وأساليب الرواد وإبداعاتهم الفنية فلكل فنان رؤية خاصة في تناوله للتراث من خلال فلسفة الفنان الخاصة.
- أهتم خزافي مصر المعاصرين بالطبيعة كمصدر إلهامهم ومحاولات تجسيدها في أعمالهم الخزفية المعاصرة.
- التأكيد على اهتمام الفنانين بعمل تراكيب متنوعة للطينات، واستخدامهم للطلاءات الزجاجية المتنوعة مثل البريق والمعتم.

الفنون والمصنوعات المعدنية في بلاد الشرق الأدنى القديم ومثيلاتها في مصر"2006 [2] وتتناول الدراسة الفنون والمصنوعات المعدنية في بلاد الشرق الأدنى القديم ومثيلاتها في

(1) إيمان أبو النور: " التراث والمعاصرة في مختارات من رواد الخزف المصري المعاصر " رسالة دكتوراه غير منشورة(جامعة القاهرة: كلية التربية النوعية – قسم الدراسات العليا والبحوث، 2007).
(2) سليمان الحويلي " الفنون والمصنوعات المعدنية في بلاد الشرق الأدنى القديم ومثيلاتها في مصر " رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 2006).

مصر منذ بداية عصر الدولة الوسطى حتى نهاية عصر الدولة الحديثة واستخدمت الدراسة المنهج النظري والمنهج المقارن ومن أهم نتائج الدراسة:

- أنه على الرغم من اختلاف معظم التماثيل المعدنية في الأسلوب والتقنية إلا أنهم قد اشتركوا جميعا في خاصية الوقفة أو وضعية التماثيل التي تحققت أما عن طريق صب وتشكيل التمثال كله كقطعة واحدة أو وضع الأذرع والأيدي بطريقة منفصلة وأحياناً أخرى كان لباس الرأس يصنع منفردا عن التمثال.
- أن معظم التماثيل قد صنعت من البرونز وعدد نادر جداً منها الذي شكل من معادن أخرى كالذهب والفضة.
- أن معظم هذه التماثيل المعدنية التي عثر عليها في بلاد الشرق الأدنى القديم قد تأثرت كثيراً بمثيلاتها في مصر سواء من حيث الجلسة أو الوقفة أو لباس الرأس أو الأسلوب الفني أو ملامح الوجه أو الغرض.
- عثر على عدد كبير من الأطباق والصحاف المعدنية في أنحاء متفرقة من بلدان الشرق الأدنى القديم وكانت تعرف باسم "باتير" أي الأطباق الكبيرة وأنها كانت تشبه كثيراً مثيلاتها في مصر وخاصة تلك التي تعود لعصر الأسرة 18.

" فن تشكيل ونحت التماثيل منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ حتى بداية الأسرة الثالثة " 2006 [(1)] يتناول موضوع الدراسة تماثيل الأسرة الأولى والثانية وينتهي حتى بداية الأسرة الثالثة حيث يشمل عهد الملك "زوسر" ومن أهم نتائج الدراسة:

- دل تنوع وتعدد مواد تشكيل ونحت التماثيل في عصر الأسرات المبكر على دراية ومعرفة المصريين بجيولوجية وجغرافية أرضهم الطبيعية ففي البداية كان الصلصال أو الفخار هو الأكثر شيوعاً لعمل التماثيل ثم العاج يلية نحت الخشب ثم القيشاني يليه الحجر.

---

(1) حسني عمار " فن تشكيل ونحت التماثيل منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ حتى بداية الأسرة الثالثة " رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 2006).

- شكلت تماثيل من بعض المعادن كالنحاس والذهب والذي كان يعد حدثاً تاريخياً هاماً بالنسبة لعصره.
- أخذ فن تشكيل ونحت التماثيل طاقة وقوة جديدة مع بداية توحيد مصر في دولة واحدة.
- حاول المصريون في عصورهم المبكرة تجسيد العالم في كل مفرداته وأن يجعلوه عالماً له أسماء مكتوبة وصفات مجسمة وأضيفت إليها كل ما أنتجته يد الإنسان.
- إن التشابه الكبير بين هيئات وأوضاع التماثيل في مواقعها المتباعدة ولا سيما في المعابد يدل على أن تلك الأعمال كانت جزءاً من مشروع واحد ويعد أحد ثمار الوحدة السياسية.

"الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال " 2005 [1] تهدف الدراسة لوصف وتحليل التأثيرات السلبية للعولمة وآثارها والتكيف الهيكلي على الريف المصري، وما نتج من ذلك من تحولات اجتماعية واقتصادية أدت إلى انتشار ظاهرة الإفقار الريفي في مصر، وما تبع ذلك من محاولات للفلاحين من أجل مواجهه هذا الإفقار أو التكيف مع الفقر بوسائل عديدة كان من بينها تحولهم إلى حرفيين في بعض الحرف التقليدية في قراهم، كي يتمكنوا من التكيف مع الفقر، أو يتمكن بعضهم من صناعة رأس المال، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والاستمارة كأداة لجمع المعلومات وشملت القرى التي أجريت فيها الدراسة (القراموصي، القرين، منشاة رضوان) بالشرقية على حرف ثلاثة (حلج القطن، صناعة ورق البردى، صناعة منتجات ومخلفات النخيل) ومن أهم نتائج الدراسة:

(1) حامد الهادي " الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال " دراسة منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2005).

- أدى ارتباط مصر بالرأسمالية العالمية، من خلال علاقات التبعية، بسبب العوامل الخارجية والداخلية معاً إلى تحولات اجتماعية واقتصادية، أدت إلى تشويهه الاقتصاد الريفي وإفقار الفلاحين وطردهم من أراضيهم، فزادت معاناتهم، وزاد فقرهم، فتطلعوا إلى أساليب واستراتيجيات لمواجهة الفقر والتكيف معه، وكان من بينها تحول الفلاحين في مجتمعات الدارسة إلى حرفيين بشكل كامل أو جزئي.
- أدت التحولات الاجتماعية والاقتصادية في قرى الدراسة إلى تراجع النشاط الزراعي وازدهار أنشطة جديدة، منها إحياء النشاط الحرفي التقليدي.
- أن مجتمعات الحرفيين يتعايش فيها كل من الفقر والغنى معاناً، حيث مثلت العمالة الحرفية الفقر ومثل أصحاب النشاط الحرفي الفني الغنى، ومن هنا كان هدف العمالة الحرفية هو التكيف مع الفقر وتمثل هدف أصحاب النشاط الحرفي في صناعة رأس المال، وأصبح هناك تفاعل اجتماعي واضح بين الفقراء والأغنياء في مجتمعات الدارسة.
- معظم العمالة في الحرف الثلاث كان سبب عملها الحرفي هو أن تدبر احتياجاتها للطعام كسبب رئيسي، أي أن الحرف كانت تمثل محاولة للبقاء على قيد الحياة.
- تمكن الحرفيون من التكيف مع الفقر باحترافهم للحرف التقليدية بمجتمعات الدارسة.

" الفنون الأدبية الشعبية: دراسة في ديناميات التغيير " 2004 [1] تهدف الدارسة رصد المؤثرات الخارجية والداخلية التي تعمل على تغير الفنون الأدبية الشعبية (الغنائية بخاصة) من حيث الشكل والمضمون ونوعية المؤدين والجمهور سواءً كان ذلك بتأثير المؤسسات الثقافية الحكومية أو بسبب التغيرات المجتمعية المختلفة، واعتمدت الدارسة

---

(1) إبراهيم عبد الحافظ " الفنون الأدبية الشعبية: دراسة في ديناميات التغيير "دراسة منشورة في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب الخامس عشر. ط1 (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2004).

على منهجي دارسة الحالة وتحليل المضـمون، واسـتخدمت دليـل العمـل الميـداني والمقـابلات والتسجيل كأدوات لجمع المادة الميدانية من أنحاء مصر أمكن رصد شواهد التغـير في الحيـاة الفنية للمؤدين الشعبيين، وفي أساليب أدائهم لمادتهم، وفي مضامين المادة التي يحفظونها، ثـم محاولة ربط هذه الشواهد كلها بالإطار العام للتغير في المجتمع المصري خلال الخمسين سـنة الأخيرة ومن أهم نتائج الدارسة:

- أن بعض الفنون الأدبيـة الشـعبية التـي ظلـت مصـدراً للمتعـة والتسـلية واكتسـاب المعلومـات وكانـت تقـدم في مقهـى القريـة أو في الموالـد قـد بـدأت في الـذوبان والتراجع.
- كادت الأساليب التقليدية للتعلم والتي سادت بـين المـؤدين الشـعبيين لـزمن طويـل تختفي تماماً بسبب العديد من العوامل.
- أظهر الرصد الميداني ظهور أفراد كثيرين من المؤدين الشعبيين الـذين ينحـدرون مـن أسر الفلاحين بعد أن كان المؤدون الشـعبيون يحظـون بمكانـة أدنى لـزمن طويـل بسبب انحدار أغلب هؤلاء من أصول غجرية.
- تعرضت أساليب الأداء للفنـون الأدبيـة الثلاثـة (السـيرة الهلاليـة – المـوال – الشـعر الصوفي) للتغير بصورة لافتة.
- عنـدما ينقـل الفـن الأدبي الشـعبي مـن السـياق الشـعبي الطبيعـي إلى السـياق الجماهيري، فإن طبيعة العرض وتقاليده تتعرض لمجموعة من التغيرات.
- إن طبيعـة الجمهـور تتغـير بتغـير السـياق، ففـي السـياق الشـعبي يخضـع اختيـار النصوص لرغبة الجمهور الذي يتفاعل بصـورة أكـبر مـع المـؤدي، وتـأتي تعليقـات الجمهور في هذه السياق مباشرة ويأتي تفاعله فورياً بينما يتأجل هـذا التفاعـل في السياق الجماهيري إلى النهاية أو يأتي مصطنعاً وبإيحاء من المشرفين عـلى العـرض أحياناً.
- تمثل عمليات إعادة الإنتاج أحد أهم الديناميات الفاعلة في عملية التغـير في الفنـون الأدبية الشعبية.

"الاحتفالات الشعبية الدينية: دراسات لديناميات التغير وقوى المحافظة والتجديد "

2002

[1] تهدف الدراسة إلى معرفة الاحتفالات الشعبية الدينية من حيث موعدها ومناسبتها ووظائفها والطقوس والممارسات المرتبطة بها، سواءً على المستوى الرسمي أو الشعبي والتعرف على التغيرات التي تحدث في هذه الاحتفالات وأسبابها وعواملها وقوى المحافظة على التراث التي تعمل على حمايته وإحيائه ومن ثم استمراره، واعتمدت الدراسة على منهج الفولكلوري (البعد التاريخي البعد الجغرافي، البعد الاجتماعي) والمنهج الأنثروبولوجي وأدواته المختلفة، باختيار المحافظات التالية (القاهرة - الجيزة -القليوبية -المنوفية -الغربية -الشرقية - البحيرة - الإسكندرية - المنيا) لتطبيق الدراسة عليها باستخدام دليل العمل الميداني والمقابلة ودراسة الحالة لجمع المعلومات ومن أهم نتائج الدراسة:

- تتمثل طبيعة التغير في الاحتفالات الشعبية الدينية في أنه يقوم على قاعدة الاستمرار، حيث لا يعني التغيير إلقاء القديم من أجل إبداع طرق احتفالية جديدة، ولكنه يعني زيادة الطرق والوسائل الاحتفالية القائمة بالفعل، أو ابتداع جوانب جديدة تسير جنباً إلى جنب مع الاحتفالات الموجودة.
- عدم وجود اتجاه محدد للتغير حيث يتجه تارة - في بعض الفترات- إلى المظاهر الترفيهية من خلال زيادة المواكب الاحتفالية وإقامة الزينات والخروج إلى الطرقات، وزيادة الاهتمام بعمليات الطهي وتنويع المأكولات وتعددها، وزيادة الهبات والمنح، وقد يتجه تارة أخرى إلى تغير نكوصي يبدو في تقلص جميع المظاهر الاحتفالية سواء الاجتماعية أو الترفيهية بل وحتى الدينية وقد يحدث ذلك في عصور مختلفة أو في عصر واحد.

(1) منى الفرنواني "الاحتفالات الشعبية الدينية: دراسات لديناميات التغير وقوى المحافظة والتجديد"دراسة منشورة في: مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب السابع. ط1 (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002).

- أظهرت دراسة التغيرات التي حدثت في الاحتفال بالمناسبات الدينية والشعبية أن هناك أبعاداً دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية تمارس دوراً دينامياً في إحداث التغير، كما أن هذه الأبعاد تمارس في نفس الوقت دوراً مزدوجاً من حيث كونها أيضاً عوامل تعمل على المحافظة على العادات واستمرار الممارسات الاحتفالية المرتبطة بالمناسبات والأعياد الدينية.

"بنية الحكاية الفنية في التراث العربي " 2001 [1] تهدف الدارسة إلى دارسة بنية الحكاية الفنية في التراث العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع الهجري وتناولت نوعين من أنواع الحاكية التراثية وهي حكاية الحيوان وفن الخبر ووقع الاختيار على خمسة كتب ممثلة لهذين النوعين من أنواع الحكاية لدراسة البنية الحكائية من خلالها واتبعت الدارسة منهج دراسة القص ومنهج السرد ومن أهم نتائج الدراسة:

- تعددت أنواع الحاكية التراثية وكان لكل نوع بنيته ذات العناصر المتكررة في جميع الإعمال المنتمية إليه.
- دأبت الحكاية العربية على تطوير نفسها على مستوى الشكل والمضمون في إطار النوع الواحد.
- يلاحظ أن مؤلفي حكاية الحيوان في الفترة المدروسة كانوا جميعاً ذوي أصول فارسية علي حين كان الجاحظ والتنوخي عربيين.
- عرف التراث الحكائي العربي حكاية الحيوان وتطورت فيه في عصور اتسمت بالاضطرابات السياسية ومن ثم جاءت حكايات الحيوان للتعبير عن الآراء المضادة أو المنحازة للسلطة.

---

(1) أمان أبو الفتوح محمد" بنية الحكاية الفنية في التراث العربي " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية دار العلوم - قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، 2001).

"الرموز المقدسة في أدوات التزين بمصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة" 1999[1] دراسة تاريخية تهدف إلى التعرف على الرموز المقدسة التي ظهرت في زخارف أدوات التزين في مصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ومن أهم نتائج الدراسة:

- رموز لها دوراً هاما في البناء الاجتماعي لأي مجتمع فالسلوك الإنساني سلوك رمزي في جوهره واستطاع المصريون القدماء التعبير عن معنى واحد باستخدام رموز مختلفة.
- تخدم الرمزية للتعبير عن بعض المسائل أو الأمور التي يصعب التعبير عنها حرفياً في صراحة ووضوح.
- تنوعت زخارف أدوات التزين بين أشكال ورموز الآلهة ورموز الديانة والزخارف البشرية والحيوانية والنباتية والهندسية.
- ظهرت الأمشاط منذ عصر ما قبل التاريخ واستخدمت لغرضين رئيسيين أولهما تمشيط الشعر وتنظيفه وثانيهما تثبيت الشعر وتزينه.
- تعد ملاعق الزينة من أجمل وأرقى القطع الفنية في مصر القديمة وقد عرفت منذ الأسرة الأولى على أقل تقدير، واستمر إنتاجها بعد انتهاء عصر الدولة الحديثة.
- اعتبرت المرآة من أهم أدوات التزين وترجع البداية الحقيقية لانتشارها لعصر الأسرة الخامسة وقد طرأت على شكلها تغيرات عدة في العصور اللاحقة.

استلهام التراث الفرعوني في الشعر المصري الحديث من شعراء الإحياء إلى شعراء أبولو " 1998 [2] تهدف الدراسة التوقف عند الآثار الفرعونية لدى شعراء الديوان

(1) منى الشايب " الرموز المقدسة في أدوات التزين بمصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1999).

(2) حسن عبد المنعم" استلهام التراث الفرعوني في الشعر المصري الحديث من شعراء الإحياء إلى شعراء أبولو " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية دار العلوم - قسم الدراسات الأدبية، 1998).

وشعراء أبولو فضلاً عن شعراء الإحياء الذين تناولهم الدكتور أحمد بدوي متوقفاً عند آثار الفراعنة لديهم، واعتمدت الدراسة على عدد كبير من الدواوين والمجموعات الشعرية التي ضمت بين دفتيها فرعونيات والتي قاربت الستين ومن أهم نتائج الدراسة:

- كل فريق من الشعراء كانت له رؤيته الخاصة للتراث الفرعوني التي تغاير رؤية الفريق الأخر والتي تتفق مع ظروفه السياسية والاجتماعية والثقافية التي تنسجم مع حالته المزاجية.
- التنبية إلى حاجة الشعراء إلى التراث عامة والفرعوني خاصة ليمثل رافداً من روافد الصورة.
- الشعر العربي لم يستلهم التراث الفرعوني العربي كما ينبغي مقارنة بشعر اليونان الذين دارو في فلك تراثهم وتوافدوا عليه دراسةً وإبداعاً.
- الاعتزاز بالفراعنة يشكل مظهراً من مظاهر تكوين الشخصية المصرية وليس تعصباً لوثنية ولت أو نزعة انطوائية متعصبة مرت.
- قلة استغلال الشعراء العرب للأساطير الفرعونية لا يتفق مع كثرتها وتنوعها وأهميتها في حين كان استغلال الشعراء الغرب لها أوفى وأكثر.
- عروس النيل لا تمت للحقيقة في شيء ومع ذلك أخذها الشعراء غير ناظرين لمدى واقعيتها أو مصداقيتها.

التأثيرات الحضارية المتبادلة في الفنون وبعض الصناعات بين مصر وجيرانها في الشرق الأدنى القديم في عصر الدولة الحديثة " 1998 "[1]:

تهدف الدراسة إلى مناقشة أهم الآراء حول التأثيرات الحضارية المتبادلة في الفنون وبعض الصناعات بين مصر وجيرانها في الشرق الأدنى القديم في عصر الدولة الحديثة مستخدمة المنهج النظري والمنهج المقارن ومن أهم نتائج الدراسة:

---

(1) فوزية محمد "التأثيرات الحضارية المتبادلة في الفنون وبعض الصناعات بين مصر وجيرانها في الشرق الأدنى القديم في عصر الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة: كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1998).

- اقتباس فنون بلاد الشام وبلاد النهرين للأسلوب المصري في تمثيل بعض معبوداتها من حيث ما ترتديه أو تمسك به من رموز وإشارات كزهرة اللوتس أو التاج الأبيض.
- تأثر فنون بلاد الشام بموضوع الولائم والاحتفالات وبخاصة في مقابر الأشراف في الدولة الحديثة ويتضح ذلك في نقوش الأختام والمشغولات العاجية.
- التأثير المصري على صناعة الأثاث في الشرق الأدنى بصفة عامة وعلى منطقة سوريا وفلسطين على وجه الخصوص.
- انتقال أسلوب صناعة التوابيت الآدمية ذات الطراز المصري على بلاد الشام والدفن في توابيت من الطمي ذات الشكل الآدمي ظهر في كل من بيسان ودير البلح بفلسطين.
- انتقال بعض أنماط الأواني مصرية الطراز إلى بلاد الشام ثم تقليدها بأيدي محلية ومنها ما عثر عليه في رأس شمر ومجدو وبيسان ودير البلح وتل العجول بفلسطين مثل الطاسات والأباريق والكؤوس مصرية الأصل.
- انتشار التصميم المصري لملاعق المرهم على هيئة فتاة عارية تسبح ممسكة بطاسة انتشاراً واسعاً في فلسطين وسوريا وقبرص.
- انتقال زخرفة شجرة الحياة من فنون بلاد النهرين إلى الفنون المصرية واحتمال انتقال زخرفة النخيل من الفنون السورية إلى الفنون المصرية.
- انتقال الملابس ذات الثنايا التي يطلق عليها العباءة أو الشوال ذات الأصل السومري إلى مصر القديمة.

الحلي في مصر القديمة: موادها وصياغتها والغرض منها حتى نهاية عهد الدولة الوسطى 1968 [1] ومن أهم نتائج الدراسة:

---

(1) نبيلة عبد الحليم " الحلى في مصر القديمة: موادها وصياغتها والغرض منها حتى نهاية عهد الدولة الوسطى " رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة الأسكندرية: كلية الآداب - قسم تاريخ، 1968).

- لمست الدراسة تقدم فن صناعة الحلي في بداية عصر الأسرات الأول وخاصة صناعة الحلي الذهبية والخرز والتمائم ذات الألوان المتباينة.
- لاحظت الدراسة من تتبع التقدم الذي داخل صناعة الحلي في عهد الدولة القديمة أنها بلغت مرحلة مهمة في تطورها مما يدل دلالة واضحة على أنها كانت تتمتع بقوة فنية.
- أن الحلي لم يقتصر استعمالها على الزينة الشخصية فحسب بل كان لها وظيفة أعمق من ذلك ألا وهي الوظيفة المتصلة اتصالاً وثيقاً بكيان ذلك الإنسان واستقراره.
- جاء التطور المادي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالمبادئ والقيم التي آمن بها الإنسان المصري القديم تعبيراً مادياً عن قيمه ومبادئه.

التعليق على الدراسات السابقة

1- أن معظم الدراسات السابقة ركزت على بعض جوانب التراث ولم تتناول التراث بمجالاته المختلفة حيث تناولت فن تشكيل ونحت التماثيل والتبادل الحضاري والنحت والخزف والحلي وأدوات التزين والتراث الفرعوني والتأثيرات الحضارية المتبادلة وهي مجالات مهمة ولكن لم تتطرق إلى الأماكن التراثية المقدسة والعادات والتقاليد والأزياء الشعبية والأمثال والحكايات المأكولات الشعبية الأغاني الشعبية والألعاب الشعبية والزجل الشعبي وغيرها.
2- لم تتطرق هذه الدراسات إلى التراث في دعمه للهوية الثقافية الوطنية وكيفية تسخيره واستثماره في الحفاظ على تماسك وترابط المجتمع بارتباطه بالوطن والتضحية من أجله.
3- قلة الدراسات الإعلامية التي تبحث بموضوع التراث وبشكل خاص ما يخص المجتمع الفلسطيني.

وفي ضوء ذلك تمثل أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

- توضيح فكرة الدراسة وموضوعها مما ساهم في صياغة المشكلة البحثية.
- الاختيار الأمثل لمنهج الدراسة وأدواتها بشكل دقيق ووفق القواعد المنهجية.
- التعرف على مجالات التراث المادية والفكرية واللفظية والفنية التي شملتها الدراسة في جزءها التطبيقي.

المصادر

- " التراث والثقافة الشعبية والتغير الاجتماعي : مقترحات ومحاولات بحثية " . تأليف : مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية . تحرير : محمد الجوهري وحسن حنفي . في : مجلة التراث والتغيير الاجتماعي . الكتاب الثالث . ط1 (جامعة القاهرة : كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2002) .
- محمد أحمد . دراسات في التراث العربي . ط1 (القاهرة : الأنجلو المصرية، 1979).
- خالد جمعة . الأغاني الشعبية الفلسطينية في قطاع غزة . ط1(غزة : الهيئة العامة للاستعلامات، 2001).
- أكرم العمري .التراث والمعاصرة .في : مجلة شهرية إسلامية – سلسلة فصلية . ط1 (قطر : دار الكتب القطرية، 1985).
- سهير جاد . البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون (القاهرة : دار الفجر، 1997).
- الفضائيات العربية ومتغيرات العصر . أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام . ط1 (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2005).
- سامي مرعي . الأرض والإنسان والجهر : دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا (بيروت : الجليل للتجليد، 1993).
- عبد الحكيم بدران . الإعلام والتوعية العلمية (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 1997).
- محمد الأسعد . الفن التشكيلي الفلسطيني (اللاذقية : دار الحوار للنشر ، 2000).
- موزة غباشي . دراسات في التراث الشعبي لمجتمع الإمارات . ط1 (الإمارات : دار القراءة للجميع، 1994).
- محمد جمعة . حاجة الشعوب إلى جمع مأثوراتها الشعبية . مراجعة : رابح جمعة (القاهرة : عالم الكتب، 1999).
- أيكة هو لتكرانس . قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور . ترجمة : محمد الجوهري. حسن الشامي، ط1 (القاهرة: دار المعارف، 1972).
- شارلوت سيمور سميث . موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية . ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998).

- محمـد الجـوهري . علـم الفلوكلـور . ج1، دراسـة في الأنثروبولوجيـا الثقافيـة طـ3، (القاهرة: دار المعارف، 1978).
- التراث الشعبي . في : مجلة التراث والمجتمع . ع 31 (البيرة – فلسطين : مركـز الـتراث الشعبي الفلسطيني، نيسان 1998).
- سليم المبيض . الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، 1986).
- محمد إبراهيم . الثقافة الشعبية : الثبات والتغيير (الإسكندرية : دار المعرفة، 2009).
- سليم المبيض . الحصيدة في التراث الشعبي الفلسطيني (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990).
- نبيل علقم . الفولكلور (رام الـله : جمعية إنعاش الأسرة، 1976).
- فاروق خورشيد . أدب السيرة الشعبية .ط1 (القاهرة : المصرية العالمية، 2002).
- الكسندر هجرتي كراب . علم الفلكلور . ترجمة : أحمد صالح (القاهرة : دار الكتاب العربي، 1968).
- عبد الحميد يونس . دفاع عن الفولكلور (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973).
- أحمد صالح . المأثورات الشعبية والعالم المعاصر . في : مجلة عالم الفكر القاهرة : ع1 .1980،
- أحمد مرسي . الأغنية الشعبية : مدخل إلى دراستها (القاهرة : دار المعارف، 1983) ص183 .
- أحمد مرسي . كل يبكي على حاله : دراسة للعُديد . ط1 (القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1999).
- لويس عوض . ثقافتنا في مفترق الطرق (بيروت : دار الآداب، 1974).
- محمد السهلي . موسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفلسطينية . ط1 (عمان : مركز جنين للدراسات الإستراتيجية، 2001).
- جيهان رشتي : الأسس العلمية للنظريات ألإعلامية . ط1 (القاهرة : دار الفكر العربي، 1975) .
- أمين عبد الغني . الثقافة العربية والفضائيات . ط1 (القاهرة : ايتراك، 2003).
- المرجع السابق، ص71 .
- محمد مهنا . في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية (القاهرة : المكتبة الجامعية، 2002).
- حسين أبو شنب . مدخل إلى فن الراديو والتليفزيون . ط1 (غزة : دار المنارة، 1998) ص130.

- حسين خريس . بين العروبة والإسلام . ع2 في : مجلة شئون عربية . تونس، 1981،.
- محمد حجاب . الإعلام والتنمية الشاملة . سلسلة دراسات وبحوث إعلامية. ط3 (القاهرة : دار الفجر، 2000).
- إبراهيم أمام . العلاقات العامة والمجتمع . ط2 (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1968).
- منى الحديدي وشريف اللبان . فنون الاتصال والإعلام المتخصص . ط1(القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2009).
- ويليام ريفرز وآخرون . وسائل الإعلام في المجتمع الحديث . ترجمة :إبراهيم إمام (القاهرة : دار الفكر العربي . 1971).
- سليمان صالح . ثورة الاتصال وحرية الإعلام . ط1 (الكويت : مكتبة الفلاح، 2007).
- عواطف عبد الرحمن . الإعلام العربي وقضايا العولمة . ط1 (القاهرة : العربي للنشر، 2003).
- إبراهيم إمام . مرجع سابق،.
- عواطف عبد الرحمن . قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي . ط1 (القاهرة : دار الفكر العربي، 1997).
- سعيد سلمان . الهوية العربية والإسلامية في الخليج العربي . ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي، مسقط 21 – 22 أبريل 1985 (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1987).
- تيسير أبو عرجة .الإعلام والثقافة العربية . الموقف والرسالة . ط1 (عمان : دار مجدلاوي، 2003).
- سهير جاد . البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون (القاهرة : دار الفجر، 1997).
- محمود علم الدين . تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول والثاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (القاهرة : عالم الفكر، 1994).
- سعد لبيب، نحو سياسات تليفزيونية جديدة في عصر أقمار الاتصال والبث المباشر، الدراسات الإعلامية . ع61 (القاهرة : المركز العربي للدراسات الإعلامية، 1990).
- ألفت الأغا . البث المباشر والهوية الثقافية، تجربة الآسيان، الدراسات الإعلامية .ع 79 (القاهرة : المركز العلمي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والبيئة، 1995).
- أحمد حجازي . التغريب الثقافي وسوسيولوجيا الاتصال .مجلة القاهرة . ع 116 (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1992).

- صلاح الدين حافظ . حق المعلومات وحرية الرأي (افتتاحية العدد) في : الدراسات الإعلامية،ع 74 (القاهرة : المركز العربي للدراسات الإعلامية، 1994).
- محمود علم الدين، تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي . مجلة القاهرة، ع116 ..
- الفين توفلر . تحول السلطة . ترجمة : لبنى الريدي . ج2 (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
- طه نجم . الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الإسكندرية : دار المعرفة، 2005).
- عبد القادر الهيتي . ثقافتنا والعولمة، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية (مسقط : بحث غير منشور، 1999) .
- طارق أحمد . الإعلام المحلي وقضايا المجتمع (الإسكندرية : دار المعرفة، 2004) ص 114 .
- جلال أمين . تنمية أم تبعية اقتصادية ثقافية (القاهرة : مطبوعات القاهرة . 1983) .
- صباح ياسين . الإعلام والنسق القيمي وهيمنة القوة . ط1 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2006).
- أسعد ملي . مسألة الهوية في عصر العولمة الإعلامية . في كتاب: الدكتورة حكمت أبو زيد من القرية إلى الوزارة : دراسات في علم الاجتماع عن العالم العربي . تحرير : علي المكاوي (جامعة القاهرة : كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية 2008).
- ماجد يوسف . العولمة والإعلام والثقافة في العالم الثالث . في : مجلة الفن الإذاعي . ع 180 (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتليفزيون، أكتوبر 2005) ص117 .
- الفت أغا . البث المباشر والهوية الثقافة . دراسات إعلامية، ابريل – يونيو 1995،.
- عادل عبد الغفار . الإعلام العربي في مواجهة قيم العولمة . رؤية مستقبلية . في : مجلة الفن الإذاعي . ع 187 (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتليفزيون، يوليو 2007).
- فاطمة نبهان . ثقافة التواصل مع التراث : بهرام بيضائي نموذجاً، حرره : عفت الشرقاوي . ثقافة التواصل في عصر العولمة رؤية عربية . ط1 (القاهرة : دار العلوم، 2008).
- الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل . أعمال المؤتمر الدولي السادس (البحرين : مركز الدراسات العربي الأوروبي، 1998).
- عادل عبد الغفار . الإعلام العربي في مواجهة قيم العولمة : رؤية مستقبلية . في : مجلة الفن الإذاعي . ع187 (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتليفزيون، يوليو 2007).
- عاطف العبد ونهى العبد . المدخل إلى الإذاعة والتلفزيون . ط1 (القاهرة : دار الفكر العربي، 2008).

- هبة شاهين . التليفزيون الفضائي العربي (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2008).
- محمد سيد محمد . الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر . ط1 (القاهرة : دار الفكر العربي، 1994).
- فارس عطوان . الفضائيات العربية ودورها الإعلامي . ط1 (عمان : دار أسامة، 2008).
- عباس العقاد . الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين (القاهرة : د.ن، 1974) ص3 .
- عبد الملك التميمي . الاستثمار الثقافي الغربي في منطقة الخليج العربي (الكويت : د.ن، 1979).
- حسين أبو شنب . مدخل إلى فن الراديو والتليفزيون . ط1 (غزة : دار المنارة، 1998).
- عاطف العبد ونهى العبد . الإذاعات والقنوات المتخصصة . ط1 (القاهرة : دار الفكر العربي، 2008).
- محمد عابد الجابري . العولمة والهوية الثقافية : عشر اطروحات في : المستقبل العربي، ع 228، فبراير، 1998م،.
- جيهان رشتى : النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية (دار الفكر العربي : القاهرة، 1977) (1) فريدة النقاش . حول أشكال التبعية الثقافية والإعلامية . الحلقة الدراسية الثالثة لبحوث الإعلام . د.ت،.
- عبد الفتاح النبي . تكنولوجيا الاتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق (القاهرة : العربي للنشر، 1990).
- سعيد لبيب . التخطيط الإذاعي على المدى البعيد (القاهرة : كلية الإعلام- جامعة القاهرة، 1968).
- عدلي رضا . تدفق البرامج من الخارج في تليفزيون جمهورية مصر العربية . رسالة ماجستير منشورة (جامعة القاهرة : كلية الإعلام، 1980) .
- ماجد يوسف . التنوير والتراث والقنوات المتخصصة . في : مجلة الفن الإذاعي . ع 178 (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتليفزيون إبريل 2005).
- عبد العزيز أبو هدبا . ثلاثون ليلة وليلة في المضافة الفلسطينية . مركز التراث الشعبي (البيرة : جمعية إنعاش الأسرة، 1995).
- تيسير أبو عرجه . الإعلام والثقافة العربية . الموقف والرسالة . ط1 (عمان : دار مجدلاوي، 3003) 1 .

- عواطف عبد الرحمن.الصحافة العربية في مواجهة الاختراق الصهيوني(القاهرة:دار الفكر العربي،1995).
- لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني . مجلة التراث والمجتمع . مجلد1 .ع2 (البيرة :، 1974) .
- محمد عبد السلام كفافي . دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي (بيروت : د.ن، 1982).
- يوسف حداد . المجتمع والتراث في فلسطين .ط1 (بيروت : مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1985) ص11.
- نانسي إميل " موقف الفكر المعماري المعاصر من التراث ". رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة :كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية، 2005) .
- داليا حنفي " الكراسي والمقاعد في مصر القديمة حتى نهاية عصر الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 2005) .
- أماني الريس " المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعماري والعمراني " رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة : كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية، 2003) .
- " تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية " دراسة منشورة في : مجلة التراث والتغيير الاجتماعي . الكتاب السادس . إعداد فريق بحث : محمود جاد وآخرون . إشراف وتحرير : محمود الكردي . ط1، (جامعة القاهرة : كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2002) .
- نهى الصياد " أثر التغيرات الثقافية على الأنساق التصميمية للنتاج البنائي " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية الهندسة - قسم الهندسة المعمارية، 2002).
- حسني عمار " مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر العتيق " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1999) .
- حسين محمد حسين " التبادل الحضاري بين مصر وأطراف الهلال الخصيب " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة :كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1995).
- محمد سمير " تطور السكن والقصور في مصر القديمة من أقدم العصور حتى بداية عصور الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1980).
- لولوة العبد اللـه " توظيف التراث في شعر سميح " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية دار العلوم - قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، 2007).

- إيمان أبو النـور: " الـتراث والمعـاصرة في مختـارات مـن رواد الخـزف المصري المعـاصر " رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة : كلية التربية النوعية – قسـم الدراسـات العليا والبحوث، 2007) .
- سليمان الحويلي " الفنون والمصنوعات المعدنية في بلاد الشرق الأدنى القديم ومثيلاتها في مصر " رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة : كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 2006) .
- حسني عمار " فن تشكيل ونحت التماثيل منـذ أواخـر عصـور مـا قبـل التـاريخ حتـى بداية الأسرة الثالثة " رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة : كليـة الآثـار- قسـم الآثار المصرية، 2006).
- حامد الهادي " الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصـناعة رأس المـال " دراسـة منشـورة (جامعة القاهرة : كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2005) .
- إبراهيم عبد الحافظ " الفنون الأدبية الشعبية : دراسة في ديناميـات التغيـير " دراسـة منشورة في : مجلة التراث والتغيير الاجتماعـي . الكتـاب الخـامس عشر . ط1 (جامعـة القاهرة : كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2004) .
- منى الفرنواني "الاحتفالات الشعبية الدينية : دراسات لديناميات التغير وقوى المحافظة والتجديد " دراسة منشورة في : مجلة التراث والتغيـير الاجتماعـي . الكتـاب السـابع . ط1 (جامعة القاهرة : كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2002) .
- أمان أبو الفتوح محمد " بنية الحكاية الفنية في التراث العربي " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية دار العلوم - قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، 2001) .
- منى الشايب " الرموز المقدسة في أدوات التزين بمصر القديمة حتى نهاية عصر الدولـة الحديثة " رسالة ماجستير غـير منشـورة (جامعـة القـاهرة : كليـة الآثـار- قسـم الآثـار المصرية، 1999) .
- حسن عبد المنعم " استلهام التراث الفرعـوني في الشـعر المصري الحـديث مـن شـعراء الإحياء إلى شعراء أبولو " رسالة ماجسـتير غـير منشـورة، (جامعـة القـاهرة : كليـة دار العلوم - قسم الدراسات الأدبية، 1998) .
- فوزية محمـد "التـأثيرات الحضـارية المتبادلـة في الفنـون وبعـض الصـناعات بـين مصر وجيرانها في الشرق الأدنى القديم في عصر الدولة الحديثة " رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة : كلية الآثار- قسم الآثار المصرية، 1998).
- نبيلة عبد الحليم " الحلى في مصر القديمة : موادها وصياغتها والغرض منها حتى نهاية عهد الدولة الوسطى " رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة الأسكندرية : كلية الآداب - قسم تاريخ، 1968).